سليمان الباروني باشا

تحت

في اطوار حياته

بقلم

ابي اليقظان الحاج ابراهيم

الجزء الثاني

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

المطبعة العربية - الجزائر
١٣٧٦ - ١٩٥٦

ن اسعيد محمد بن ايوب
ـرداية ميزاب
HADJ-SAID Med Ben Youb
GHARDAIA M'ZAB

سليمان الباروني باشا

في اطوار حياته

بقلم

ابي اليقظان الحاج ابراهيم

الجزء الثاني

١٣٧٦ - ١٩٥٦

ز - 11

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

المطبعة العربية - الجزائر

سياحة الثانية

الى دواخل عمان وما يكتنفها من الاعمال

لقد رأيت يا اخي الباحث — في الجزء الاول — اشارة في جوابه الاخير المؤرخ فى ٢٠ شعبان ١٣٤٣ الى شوقه الكبير لزيارة الجبل الاخضر مع طلب رئيسه وجماعته له .

فكان من برنامجه فى هذه السياحة الثانية زيارة الجبل الاخضر ، ولكن ليس لدينا على وجه التحقيق متى بدأ في هذه السياحة المباركة ، ولعلها كانت اثر العيد الاضحى من عام ١٣٤٣ ، كما يستفاد من رسائله .

فاولاها فيما اتصل بايدينا مؤرخة في ١٢ ذي الحجة ١٣٤٣ ، وهذا نص محل الحاجة منها :

« . . . اهنئكم بالعيد المبارك ، وصلت صوراً واستقبلني الوالي والاهالي استقبالا فاخراً واليوم اتوجه الى بلدان جعلان ان شاء الله الخ .

وثانيتهما مؤرخة في ٤ محرم ١٣٤٤ وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

اخوان الصفا ، حماكم الله — السلام عليكم ورحمة الله . أرسلت اليكم كتابا من بني بو حسن (جعلان) واليوم وصلت الفابل ماراً ببلاد الحجريين واستقبلت كما في غيرها من البلاد . انقطعت عني كتبكم واني فى انتظارها .

سلامي الى الاصدقاء كافة .

٤ محرم ١٣٤٤ من اخيكم : سليمان الباروني

قلت : يتضح من هذه الظروف الراهنة انه بدأ في هذه السياحة وازمة العلاقات بين عمان وابن السعود والانقليز على اشدها ، فمن مناورات من هؤلاء

وهؤلاء ، ومن اجتماعات قواد الجيوش ورؤساء البلاد ومن استعراض الجيوش هنا وهنا مما جعل لسياحته هذه فيهـا اهمية خاصة ، ومن رسالته التالية تدرك مغزى ذلك ونصها : بسم الله الرحمن الرحيم

القابل ١٨ محرم ١٣٤٤

اخوان الصفا ، حماهم الله . السلام عليكم — وصلت القابل ووصلها وفد من شمال عمان يرأسه مشائخ « دبي » وكان الاستقبال مهيبا .

قدموا لتأكيد الروابط مع الامير الشيخ عيسى وحضرة الامام وتنظيم خطة لصد غارة ابن السعود والانقلاب عن تلك الجهات اذ ظهرت دسائسها كما ذكرت لكم سابقا ، وستسمعون ان شاء الله باتحاد كلمة هذه المملكة حتى مع عظمة السلطان ، بعد ان شتتها الدسائس والاغراض ، وانى منذ نهضت من ذلك السقم المنهك وانا مجد في ذلك سراً وجهراً والنجاح محقق باذن الله ، وقد عادوا اليوم مسرورين بما نالوه من الاحترام . وقدموا للشيخ عيسى فرسا هدية وقدم اليهم هو ذلولا الخ . سلامي الى الاخوان والاصدقاء كافة .

ودمتم لاخيكم : سليمان البارونى

قلت : — قد يتراءى للاخ الباحث ان في هذه الرسالة الغازا ورموزا تبعث على الحيرة والقلق ، ولشرح هذه الرموز نقدم اليه فيما يلي رسالة البارونى باشا نفسه في الموضوع نشرها فى مجلة المنهاج الغراء في الجزء الثالث من السنة الاولى صفحة ١٦١ والرسالة مؤرخة في ١٧ صفر ١٣٤٤ صادرة من القابل ، وهذا نصها تحت العنوان الآتي :

جزيرة العرب

لا خوف على عمان من المعاهدة

رأيت فى جريدة « الشورى » الغراء ، وفي جريدة « العراق » المحترمة

ذكرا لمعاهدة ثلاثية على غزو عمان فلم استغرب ذلك لان مثله من الدول ليس بغريب ، وقد كان لهذا النبا تاثير سيء في صدور المسلمين اينما كانوا ، فانه قد وردت الي كتب من اصدقاء كثيرين في مصر وغيرها يسألون عن حقيقة ذلك وحيث ان المسألة ليست مما يسهل الوقوف على خباياها بسرعة فانى أقول الآن ان عظمة السلطان السيد تيمور موجود الآن فى ولاية ظفار المجاورة لحضرموت من مدة خمسة اشهر ، فلا يمكن الاستفهام منه ولا صلاحية لوزارته فى مسقط في تكذيب او تصديق مثل هذه الاشاعات لو سئلت ، ولا اشك في انه اذا حضر عظمة السلطان من ظفار يعلن براءته من هذه المعاهدة على صفحات الجرائد اذا كان برئيا منها كما هو المنتظر منه .

اما من جهة الدولة البريطانية فالمنتظر من الدول الاروباوية واميريكا المعظمة المعترفة باستقلال مملكة مسقط وعمان استقلالا تاما ان تطلب منها تكذيب ذلك ، واما عظمة السلطان ابن السعود فالمأمول منه ان يبادر الى اعلان براءته من هذه المعاهدة قبل ان يسأله العالم الاسلامي الذي ستزيده هذه الاشاعة الاما على ما يقاسيه من ألم المذابح الحجازية النجدية التي مضى عليها عام كامل واتباع محمد عليه السلام يتطاحنون حول ضريحه المقدس وبيته الحرام لفائدة اعدائه لا غير .

اما مملكة عمان — فلا خوف عليها بأذن الله بالمعاهدة ان صحت ، ولو قصد احد عمان بسوء قبل هذا لحصل فيها بعض تاثير ، اذ كانت قبائلها تتقاتل والرؤساء طامحون الى العصيان ، وكل من بيده حصن يرى انه هو سلطان القطر

اما الآن فقد توحدت كلمة البلاد وانقطعت الفتن وادرك الجميع مضرة الانقسام واحسوا بما يحيط بهم من الخطر براً وبحراً واعلن القابضون على الحصون انهم مستعدون لتسليمها لمن يتصدى للدفاع .

ان اكثر ما كان يخافه اهل عمان هو ان يأتيهم عدو من جهة شمال المملكة براً او بحراً حيث الانظار متجهة الى مدن دبي والشارقة وبوضبي القريبة من جزيرة البحرين لان فيها مغاص اللؤلؤ المشهور في العالم كله ، ولان في جهة الشارقة على ما يقال خليجا عظيما يصلح لأن يكون ملجا لاكبر اسطول بحري وهو على مدخل خليج فارس ، فاذا عمر يكون كباب مغلق على ما وراءه الى البصرة ثغر العراق فهو للبصرة كمدخل الدردانيل بالنسبة للاستانةومن ينظر الى الرأس المعروف برءوس الجبال في خريطة مملكة عمان يتضح له ذلك وقد كانت عمان من قديم الزمان لا تغزا براً الا من تلك الجهات لقربها من نجد والعراق وكان سكان تلك الجهات فى اكثر الاحوال ينضمون الى الغازي .

اما اليوم فقد تنورت الافكار وتحقق العقلاء بالوقائع القديمة من عهد الحجاج ان لا نتيجة من انضمامهم الى المغير على عمان الا تخريب ديارهم وهلاكهم سواء انتصر المغير ام لم ينتصر ، ولذلك كان شهر المحرم الماضي ١٣٤٤ شهر اجتماع وتوثيق عهود ، فقد حضر الى هنا (بلد القابل) مركز شرقية عمان وفد كبير يرأسه الفاضلان النجيبان الشيخ سعيد واخوه الشيخ سهيل نجلا الشيخ بطي رئيس دبي سابقا وقدما فرسا هدية الى الشيخ عيسى بن صالح رئيس الشرقية وكتابا من عمهما الشيخ سعيد بن مكتوم رئيس دبى الحالي حرره باتفاق مع الشيخ سلطان بن زايد رئيس بوضبي لتوثيق عرى الاتحاد وتقرير خطة لمقاومة كل من يقصد تلك الجهات بسوء براً او بحراً ، وهكذا وردت وفود من مراكز الظاهرة وكتب من مشائخ جعلان وغيرهم ، وكان المتوهمون يسيئون الظن بقبيلة الشارقة القريبة من دبى وقبيلة بني بو علي في جعلان لانهم على المذهب الوهابي ، ولهم في السابق ميل الى نجد ، ولكنهم اليوم صاروا فى مقدمة الساعين فى توثيق عرى هذا الاتحاد وشد عضد المتصدي عن الوطن

سمو امام عمان محمد بن عبد الله الخليلي ورؤساء ءال حمود شيوخ بني بو علي اولو عقل ودراية بالاحوال وصلابة فى حب الوطن يرون ان لا خير لهم الا فى الانتظام فى سلك المدافعين عن هذه البلاد . وقداجتمعت بهم من قبل وفارقتهم وهم على هذا الفكر ، ثم وصلت في هذه الايام كتبهم ورسائلهم الى بلد القابل .

والاموال تجمع بسخاء والزكاة تجبى وتذخر والامام يستعد للتقدم بنفسه من نزوى عاصمة الامامة الى الظاهرة والبريمي القريبة من دبى لشحن حصونها بما يلزم واتخاذها مركزاً لقوة تلك الجهات حتى اذا حدث حادث من البر او البحر التحق به المدد المهيأ المرتب فى كل بلاد من رجال ومال وذخيرة ، وسيسمع العالم اذ ذاك بدون شك ان عظمة السلطان تيمور قام بما يوجبه عليه حق الوطن والملك وصوب عمل حضرة الامام واتحد الدفاع .

ان في مملكة عمان من ظفار الى قطر ما لا يقل عن نصف مليون من رجال مسلحين بالموزر العثماني والسلاح الالماني والانقليزي ولديهم من الذخائر ما لا يحصيه عد . ولكل مسلح جمل (مهري) لركوبه وجمل زاده ، فاذا ضرب مدفع واحد (علامة الاجتماع للحرب) فى جهة حضر من فى تلك المنطقة من الرجال في مدة لا تتجاوز الاربع ساعات بكل ما يلزمهم للحرب بحيث اذا كلفوا بالمسير من هناك الى جهة من الجهات لا يحتاجون للرجوع الى بيوتهم قط فهم كجند نظامي موزع في بيوته الى وقت الحاجة . فهل يعقل اخضاع اجنبي مهما كان لامة هذه اوصافها وقد حافظت على استقلالها التام من عهد العباسيين الى اليوم (الا ان يشاء الله ذلك فلله خرق العوائد)

كتبت هذا ليقرأه على صفحات جريدتكم الاسلامية المحترمة رجال الاسلام الذين يهمهم امر اخوانهم المسلمين اينما كانوا ليطمئنوا و يعلموا ان لا خوف على عمان العربية المستقلة باذن الله !

احرر هذا والفؤاد يتمزق اسفا وتحسراً على الامة العربية المسكينة لما اعتقده من ان الانقليز لا يقدمون على حرب بهذه البلاد بانفسهم ولا يخسرون عليها احدا من اولادهم قط . بل سيمهدون السبيل لتصادم القوتين العربيتين الاسلاميتين النجدية والعمانية حتى اذا ضعفتا ونفد ما عندهما من مال ورجال وذخيرة احتلت بكل سهولة جنودها مركز بوضبي ودبي والشارقة وصاحت بملىء فيها هذه غنيمتى من الحرب الاسلامية العربية الحمقاء واصدرت اشاراتها الى المتحاربين قائلة كفا عن الحرب حتى افصل بينكما على ما اشتهيه ويوافق مقاصد اركان حرب جيشي كما صنعت في الحرب النجدية الحجازية اذ ضمت اليها باسم شرق الاردن مراكز العقبة ومعان وتبوك بوسيلة خوف الهجوم على الاردن وستصبح يوما ما على ابواب المدينة المنورة متوسلة بخوف الهجوم على العقبة وما اليها ايضا .

ومن يطالع مقالتي التى كتبتها تحت عنوان « المعاهدة الحجازية الانقليزية سنة ١٣٤٢ » اذ كنت فى باريس ونشرتها جريدة « الصواب » الغراء التونسية يدرك حقيقة مصير الحجاز وحصول كثير مما اشرت اليه قبل وقوعه فى تلك المقالة مثل سقوط مكة المكرمة في يد احد رؤساء الجزيرة وتقهقر الملك حسين الى جدة ونقل المدرعة الانكليزية اياه الى لندن ، فان هذا كله قد وقع ، وقد نقلت المدرعة الانكليزية الملك حسين الى جزيرة قبرص . والأمر لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

هذا ورجال العالم الاسلامي يرون الى اليوم انهم هم الذين اسقطوا الملك حسينا عن عرش خلافته وانهم هم الذين محوا بدهائهم ملكه ، او لا يدرون ان الفاعل لذلك كله هي الدولة البريطانية ، ولكن بايدي ودماء المسلمين العرب وهم لا يشعرون !!!

فهل يمكن الآن للمسلمين اجمعين ان يسقطوا الانكليز عن كرسي العقبة او تبوك فقط ؟ وهل في اعتقادهم صد الانكليز عن التقدم الى المدينة اذا ارادوا ؟ وهم يعلمون ان اكبر كبير منهم شرقا وغربا لا يقدر ولا يجسر على مبارحة بلاده لمجرد السياحة الا بعد تملق وخضوع للحصول على اذن من الحكومة الاجنبية المسيطرة على بلاده والا فهو اسير فى وطنه الى ان يموت .

فتح الله بصائر اهل الاسلام وعلمائه وعقلائه الى ما يدبر لهم من المكائد واراهم سبيل الرشاد والنجاة ءامين .

القابل ـ مملكة عمان صفر ١٣٤٤ سليمان البارونى

البارونى باشا فى مهرجان الاستقبال

في سياحته الثانية لدواخل عمان

١ - في بلدة السباخ

عند مرور موكب الباروني باشا ببلدة السباخ من بلاد إبرا في طريقهم الى نزوى اقتبلهم اهاليها اقتبالا حارا واقاموا لهم حفلا فخما فى يوم ٢٢ صفر ١٣٤٤ مزينا بالخيل والرجال وضرب المدافع وكان معهم والي ابن الشيخ سليمان بن سنان والشيخ محمد بن الامير عيسى والشيخ علي بن حمود .

وبعد انتهاء الاحتفال قام الشيخ عبد الله بن خلفان الجهضمى فالقى خطبة طويلة ختمها بهذه الابيات :

هذه الدار اضاءت بهجة ... وتجلى حسنها للناظرين
بقدوم الليث كشاف الدجى ... قدوة الدين منار المتقين
ذا سليمان البروني الذي ... صار فى الهيجا سمام المجرمين
حاز فخر الدين والدنيا معا ... زده توفيقا ونصرا يا معين
واظهر الحق إلاهي دائما ... واخمد الباطل يا رب ءامين

٢٢ صفر ١٣٤٤ — عبد الله بن خلفان الجهضمى

٢ - في مركز ازكي

عند مرور موكب البارونى باشا ببلد ازكى احتفل بهم اهاليها احتفالا شيقا كذلك القى فيه الاديب الشيخ سالم بن سليمان الرواحي المدرس بجامع ازكى القصيدة الآتية فى يوم ٢٧ صفر ١٣٤٤ ، وهذا نصها :

بشر الامة بالوفد الحسن ... حيث وافا دارنا بدر الزمن

ناصر الملة موفور الحجا ... موسع الخلق اياد ومنن
ابلغ الناس مقالا يرتضى ... يصطفي القول بتخريج حسن
كعبة الفضل وقمقام العلى ... صاحب الصيت بسهل وحزن
قائد الجحفل مسعار الوغى ... قائم الباس على اهل الوثن
باذل العزم على نصر الهدى ... ثابت الجأش لاعزاز السنن
يا سليمان ومن ساد على ... هذه الامة مجدا لم يهن
انت للارض ربيع وحيا ... انت كهف وملاذ فى الزمن
انت من يحفظ عهدا للورى ... ويصون العرض صوناعن مذن
انت من يرفع مجداً نيرا ... انت من يطفيء نيران الفتن
ظهرت منك على قمع العدا ... سطوة تشبه ليثا قد حرن
رجع الكفر الى اوكاره ... اذ رأى منك لايثار المحن
اننا اليوم ببشر مبهج ... يوم وافيت نزارا ويمن
نشكر الله على منته ... شكر من يطلب توفير المنن
اذ راينا لك وجها مشرقا ... يشبه الشمس على خلق حسن
حبذا الاقدام اقدام على ... بركات الله من أنشا المزن
عش هماما قائم الجد على ... بهجة الانس اذا الغيث هتن
دونك النظم اتى مرتجلا ... صاغه الفكر بيانا عن شجن

٢٧ صفر ١٣٤٤ — سالم بن سليمان الرواحى

٣ - البارونى باشا في نزوى

فى اوائل ربيع الاول ١٣٤٤ وصل سعادة البارونى باشا الى نزوى عاصمة الامامة ، وقد استقبله عظمة الامام الخليلي ورجاله وجيشه بموكب فخيم بلغ حد

الابهة والجلال ، وحضر رؤساء ووفود القبائل من سائر البلاد بعمان .

وفي اول جمعة من ربيع الاول ١٣٤٤ القى البارونى باشا بعد صلاة الجمعة بجامع نزوى وقد غص برجال العلم والحرب والسياسة وبسائر الوفود ورؤساء القبائل خطابا فخما وقصيدة رائعة بين يدي عظمة الامام أفرغ فيهما اراءه السياسية ازاء المشاكل الراهنة كتوجيهات لعظمة الامام ليتوخاها فى سياسته الداخلية والخارجية ، وكمنهاج للسير بدولة الامامة الى الامام .

ومع الاسف الشديد لم نحظ بنص الخطاب ، واما القصيدة فاليك مقتطفات منها ، وهذا نصها :

وبدت لعصر الراشدين دلائل ... اذ لاح من جبل الشراة سناء
فأضاء واسطة البلاد واشرقت ... بعمان شمس امامة سمحاء
وعلا امام المسلمين محمد ... عرشا تطاطأ دونه الجوزاء

* * * *

فانهض وشمر فالعوائق جمة ... ولذا الزمان سياسة خرقاء
تذر العقول الراجحات بحيرة ... ويرى بليداً من لديه ذكاء
خل القضا لرجاله واعكف على ... تنظيم جند فالنظام دواء
انى ارى حول الامام عرمرما ... شاكي السلاح انوفه شماء
يرنو الى طلب العلا متوقداً ... ارواحه للمكرمات فداء
لو نظمت اساده لارتج من ... زأراتها ارض وماد سماء
وارى الحصون على الجبال تزينها ... كالتاج تلك الراية البيضاء
تهتز ان قذفت صواعقها الربى ... وتضيق من اصدائها الارجاء
لكن بها من عهد كسرى عدة ... ما في مدافعها الطوال شفاء
فاستبدلن عتيقها بجديدها ... ان الجديد جهنم حمراء

واح التداعى بالقبائل انه ... سهم العدو ومحنة سوداء
واجمع قلوبا بالخلاف تمزقت ... حتى يضم شتاتهن لواء
ولشبل « فيصل » ول طرفك عاقدا ... معه الخناصر فالشقاق شقاء
دع ما تقدم واعملن لمقبل ... فلآل « فيصل » همة ووفاء
وامدد الى نجد يديك مصافحا ... صمصامها بل نارها الزرقاء
واعطف الى سبط الرسول حميد من ... ضاءت بطلعة بدره صنعاء

* * * *

وهنالك اتحدوا ولا تتفرقوا ... وتعاهدوا ولتشهدن حواء
ودعوا وساوس من يفرق واذكروا ... مجد الجدود ليسعد العقلاء
وضعوا الحدود بصورة مقبولة ... ترضى الالاه فيطرب العقلاء
وليعن كل بعد ذا ببلاده ... وكنوزها فلها بتلك غناء
فعساكر وتجارة وصناعة ... وزراعة ومدارس علياء
اذ ذاك يرجع للجزيرة عزها ... ولها جميع المسلمين فداء
اما التطاحن والعدا بمراصد ... فعلى الجميع مذلة وبلاء
وعليهم الوزر العظيم وعاره ... وعليهم تتسلطن الاعداء
هذي نصيحة مخلص في دينه ... ما شابها مدح ولا اطراء
اني امرء ترك المديح لاهله ... مذ انشبت اظفارها الهيجاء
فاعذر فمي نصحي مديح كامل ... وعليك يا قطب الشراة ثناء
اوليتني ما لم أكن اهلا له ... والفضل منك سعادة ورضاء
دم يا امام المسلمين مؤيدا ... منصور جند حولك الكبراء
ما ابن البروني ساح فى اقطارها ... وعليه من دول الصليب غطاء
ثم الصلاة على النبيء واله ... وصحابه فهم هدى وسناء

في ضمن هذه الاستقبالات ارسل الينا الباروني باشا عنها رسالة موجزة ، وهذا نصها :

حمداً وصلاة — ٤ ربيع الثاني ١٣٤٤ — تنوف مركز الجبل الاخضر

اخوان الصفا حماهم الله ، السلام عليكم اجمعين ورحمة الله .

اخبرتكم بوصولي الى الحمراء وقد صعدت منها الى الجبل ، وكتبت اليكم ما تجدونه طي هذا مختصرا — وقد رأيته انفا — وقد كتبت اليكم عن الاحتفالات التي حصلت في بلاد إبرا والمضيبى والبركة وتنوف (مركز الجبل) وفيها لاقانا رئيس العبريين الشيخ ابراهيم بن سعيد واعيانهم ، وكان الاستقبال في تنوف بالغا منتهاه كما في نزوى والحمراء . وسيرافقني الامير الشيخ سليمان بنفسه (اي للمرة الثانية) .

ورد الي كتاب من عظمة السلطان السيد « تيمور » من ولاية ظفار ، وهو صارف همته في تعميرها ، وقد ساح بنفسه في جبالها واوديتها الى نهاية حدودها من جهة حضرموت (المكلا) كان الله في عونه .

كلفت مرارا من بعض اهل الحل والعقد بقبول منصب عال مع الامام فاعتذرت خوفا من ان ينسب الي التحيز ، وانا يهمني ان ابقى للطرفين (السلطان والامام) حتى اتمكن من صلح بينهما يسعد البلاد ان شاء الله .

المنتظر وصول الامير الشيخ عيسى بعد يومين الى نزوى بجيش الشرقية للتقدم الى مراكز شمال عمان كما ذكرت لكم قبل هذا . وعند الحركة اكتب لكم التفصيل .

انتظر وصول القافلة ثم اصعد الى الجبل وسيرافقني الامير بنفسه .

والسلام على الاخوان كافة .

من اخيكم

سليمان الباروني

٤ - في بلدة الحمراء

عندما توجه موكب الباروني باشا الى الحمراء — بلدة في الجبل الاخضر — استعد اهاليها لاستقبالهم استعدادا عظيما ، ونحن ندع سعادة الباشا يصف ذلك الاحتفال بهم فيما يلي — قال رحمه الله :

لما بلغ الشيخ ابراهيم بن سعيد العبري الذي كان تقلد خطة القضاء بمدينة « الرستاق » خبر توجهنا الى « تنوف » استعفى من القضاء وتقلد رئاسة قبائل العبريين فسبقنا اليها — تنوف — واعيان بلاد الحمراء ، ودعونا للزيارة فتقدمنا اليها ، وهي على مسافة نصف يوم من تنوف واستقبلنا اهلها رجالا وركبانا على مسافة ميلين . وكان لدخولنا الى الحمراء منظر مطرب : قد تلبد دخان بنادقهم ومدافعهم في الجو كالسحاب . وكنا نمر بين مزارعها الخضراء تحف بنا الرجال والخيل والمهر . وقد بلغ عدد البنات والخادمات اللتي يحملن جرار الماء المغطات باكواب الزجاج على رءوسهن نحو المائة يراهن الناظر كاسراب الظباء يميناوشمالا ينادين هل من شارب ؟ويرى الاكواب والجرار تلمع كالنجوم عند مقابلة الشمس ، فكان الموكب من اجمل ما شاهدته من المواكب ، وعند مدخل البساتين لاقانا العلامة بقية السلف شيخ عمان علما وسنا الشيخ ماجد بن خميس البالغ من العمر اربعا وتسعين سنة — اي قدر عمر قطب الائمة الشيخ طفيش رحمه الله — وبعد الاستراحة انشد الشيخ ابراهيم المذكور انفا القصيدة الآتية ، وذلك في يوم ١٤ ربيع الانور ١٣٤٤ . وهذا نص القصيدة :

شرفت عمان واهلهـا بوفود من حاز العلى
السيد البطل الكمي الليث جواب الفلى
باشا سليمان الهما م المرتضى زين الملا

ذاك ابن بارون النفو سي الشهير ابن الجلا
ذاك الذي بعلومه ظلم الجهالة قد جلا
ذاك الذى بسيوفه قطع الغلاصم والطلى
كم وقعة في حر نا ر جحيمها الاعداء صلى
كم في طرابلس ابا د المشركين وجندلا
لا تنثني عزماته عنهم ولو عظم البلا
غاص الخضم وسار فى ظلماته مستكملا
ما غاصه للآلىء بل المجدأ مستأصلا
تلقاه ان عظم البلا متبسما متهللا
لا غرو ان غدر الزما ن به فأصبح اعزلا
فلكم عزيز اذله ولكم غني أرملا
فعسى المهيمن ان يعيـ ـد زمانه متفضلا
ويقيمه فى العالمين مجاهدا متبتلا
واليكها يا من بذكـ ر مديحه شعري حلا
عذراء ترفل في الدمقـ س فكن لها متقبلا
واطلب لابراهيم من مولاك ادراك العلا
وصلاة ربي والسلا م على النبيء ومن علا

٥ - في بعض قمم الجبل الاخضر

قال رحمه الله :

. . . من الحمراء صعدت الى احدى قمم الجبل الاخضر المشهورة بالارتفاع (٩٠٠٠ قدم) فصعدنا في يوم واقمنا يوما وليلتين ، ورجعنا فى يوم . وهناك قلت الابيات الآتية وذلك فى يوم ١٦ ربيع الانور ١٣٤٤ :

في جانب الحمراء طود شامخ متمنطق متعمم بسحاب
يمت قمته الرفيعة راجلا وسجدت للخلاق فى محراب
ومع الاثير بعثت منه تحيتى لجميع من في الارض من احبابى
ومع الشعاع رفعت صاعدة الى عرش الالاه مطالبي ومتابي
أرجو من المولى قبول جميعها وشمول كل اقاربى وصحابي

وقلت

اصفى المياه شربت اعلى قمة فوق السحاب الى السماء قريبه
فيها الرياحين الذكية اعبقت ومناظر للعلعلان غريبه
فيها الهواء منقح وطيورها فوق الغصون لدى الصباح عجيبه

وقلت

قف هاهنا وانظرن نزوى وقلعتها ومسقطا قابلا جعلان والجارا
وانظر صحار وحي البحر ملتفتا الى البريمي تجد حصنها نارا
واقبل بوجهك للعينين متجها نحو الحجاز وحي الغرب والدارا
هنا سليمان احيا الليل مبتهلا وها هنا اوقد البارونى النارا
يتلو الكتاب يناجي الله منفردا والليل داج وكان الدمع مدرارا

١٦ ربيع الانور ١٣٤٤ سليمان البارونى

مؤتمر بهلا

في ١٠ ربيع الثانى ١٣٤٤ انعقد بامر عظمة الامام مؤتمر عظيم فى حصن بهلا غربى نزوى حضره اقطاب الامة من العلماء وقواد الجيوش ورؤساء القبائل وكان من بينهم سعادة البارونى باشا .

وقد تداولوا فيه عن التدابير الواجب اتخاذها ازاء ازمة البلاد الشرقية من عمان .

ذاك ابن بارون النفو سي الشهير ابن الجلا
ذاك الذي بعلومه ظلم الجهالة قد جلا
ذاك الذى بسيوفه قطع الغلاصم والطلى
كم وقعة في حر نا ر جحيمها الاعداء صلى
كم في طرابلس ابا د المشركين وجندلا
لا تنثني عزماته عنهم ولو عظم البلا
غاص الخضم وسار فى ظلماته مستكملا
ما غاصه للآلىء بل المدأ مستأصلا
تلقاه ان عظم البلا متبسما متهللا
لا غرو ان غدر الزما ن به فأصبح اعزلا
فلكم عزيز اذله ولكم غني أرملا
فعسى المهيمن ان يعيـ ـد زمانه متفضلا
ويقيمه فى العالمين مجاهدا متبتلا
واليكها يا من بذكـ ر مديحه شعري حلا
عذراء ترفل في الدمقـ س فكن لها متقبلا
واطلب لابراهيم من مولاك ادراك العلا
وصلاة ربي والسلا م على النبيء ومن علا

٥ - في بعض قمم الجبل الاخضر

قال رحمه الله :

. . . من الحمراء صعدت الى احدى قمم الجبل الاخضر المشهورة بالارتفاع (٩٠٠٠ قدم) فصعدنا في يوم واقمنا يوما وليلتين ، ورجعنا فى يوم . وهناك قلت الابيات الآتية وذلك فى يوم ١٦ ربيع الانور ١٣٤٤ :

في جانب الحمراء طود شامخ متمنطق متعمم بسحاب
يمت قمته الرفيعة راجلا وسجدت للخلاق فى محراب
ومع الاثير بعثت منه تحيتى لجميع من في الارض من احبابى
ومع الشعاع رفعت صاعدة الى عرش الالاه مطالبي ومتابي
أرجو من المولى قبول جميعها وشمول كل اقاربى وصحابي

وقلت

اصفى المياه شربت اعلى قمة فوق السحاب الى السماء قريبه
فيها الرياحين الذكية اعبقت ومناظر للعلعلان غريبه
فيها الهواء منفح وطيورها فوق الغصون لدى الصباح عجيبه

وقلت

قف هاهنا وانظرن نزوى وقلعتها ومسقطا قابلا جعلان والجارا
وانظر صحار وحي البحر ملتفتا الى البريمي تجد حصنها نارا
واقبل بوجهك للعينين متجها نحو الحجاز وحي الغرب والدارا
هنا سليمان احيا الليل مبتهلا وها هنا اوقد البارونى النارا
يتلو الكتاب يناجي الله منفردا والليل داج وكان الدمع مدرارا

١٦ ربيع الانور ١٣٤٤

سليمان البارونى

مؤتمر بهلا

في ١٠ ربيع الثانى ١٣٤٤ انعقد بامر عظمة الامام مؤتمر عظيم فى حصن بهلا غربى نزوى حضره اقطاب الامة من العلماء وقواد الجيوش ورؤساء القبائل وكان من بينهم سعادة البارونى باشا .

وقد تداولوا فيه عن التدابير الواجب اتخاذها ازاء ازمة البلاد الشرقية من عمان .

ذاك ابن بارون النفو سي الشهير ابن الجلا
ذاك الذي بعلومه ظلم الجهالة قد جلا
ذاك الذى بسيوفه قطع الغلاصم والطلى
كم وقعة في حر نا ر جحيمها الاعداء صلى
كم في طرابلس ابا د المشركين وجندلا
لا تنثني عزماته عنهم ولو عظم البلا
غاص الخضم وسار فى ظلماته مستكملا
ما غاصه للآلىء بل المدأ مستأصلا
تلقاه ان عظم البلا متبسما متهللا
لا غرو ان غدر الزما ن به فأصبح اعزلا
فلكم عزيز اذله ولكم غني أرملا
فعسى المهيمن ان يعيـ ـد زمانه متفضلا
ويقيمه فى العالمين مجاهدا متبتلا
واليكها يا من بذكـ ر مديحه شعري حلا
عذراء ترفل في الدمقـ س فكن لها متقبلا
واطلب لابراهيم من مولاك ادراك العلا
وصلاة ربي والسلا م على النبيء ومن علا

٥ - في بعض قمم الجبل الاخضر

قال رحمه الله :

. . . من الحمراء صعدت الى احدى قمم الجبل الاخضر المشهورة بالارتفاع (٩٠٠٠ قدم) فصعدنا في يوم واقمنا يوما وليلتين ، ورجعنا فى يوم . وهناك قلت الابيات الآتية وذلك فى يوم ١٦ ربيع الانور ١٣٤٤ :

في جانب الحمراء طود شامخ متمنطق متعمم بسحاب
يمت قمته الرفيعة راجلا وسجدت للخلاق فى محراب
ومع الاثير بعثت منه تحيتى لجميع من في الارض من احبابى
ومع الشعاع رفعت صاعدة الى عرش الالاه مطالبي ومتابي
أرجو من المولى قبول جميعها وشمول كل اقاربى وصحابي

وقلت

اصفى المياه شربت اعلى قمة فوق السحاب الى السماء قريبه
فيها الرياحين الذكية اعبقت ومناظر للعلعلان غريبه
فيها الهواء منفح وطيورها فوق الغصون لدى الصباح عجيبه

وقلت

قف هاهنا وانظرن نزوى وقلعتها ومسقطا قابلا جعلان والجارا
وانظر صحار وحي البحر ملتفتا الى البريمي تجد حصنها نارا
واقبل بوجهك للعينين متجها نحو الحجاز وحي الغرب والدارا
هنا سليمان احيا الليل مبتهلا وها هنا اوقد البارونى النارا
يتلو الكتاب يناجي الله منفردا والليل داج وكان الدمع مدرارا
١٦ ربيع الانور ١٣٤٤ سليمان البارونى

مؤتمر بهلا

في ١٠ ربيع الثانى ١٣٤٤ انعقد بامر عظمة الامام مؤتمر عظيم فى حصن بهلا غربى نزوى حضره اقطاب الامة من العلماء وقواد الجيوش ورؤساء القبائل وكان من بينهم سعادة البارونى باشا .

وقد تداولوا فيه عن التدابير الواجب اتخاذها ازاء ازمة البلاد الشرقية من عمان .

وبعد مذاكرات قرروا الاكتفاء بتقدم الامير الشيخ عيسى بن صالح ببعض جيشه مع قسم من جيش امير الجبل الشيخ سليمان النبهاني يرأسه العلامة الشيخ ابراهيم العبري ، وذلك الى مركز شمال عمان الذي كان مسرحا للدسائس الاجنبية حتى ان الامام كان عازما على التقدم اليها بنفسه .

الا انه بعد حضور مشائخ دبي الى القابل مركز الشرقية وورود رسل ووفود غيرهم من المراكز رأوا انه لا حاجة الى سوق القوة الكبيرة اذ لا مقاومة ولا حرب هناك . وقد تقدم الشيخ عيسى الى هناك .

وقد حكي ان قوافل متعددة حاملة مئونة وذخيرة وصلت مركز البريمي القريب من دبي من طرف امراء بوضبي ودبى استعدادا لاستقبال الشيخ عيسى وجيشه اذا رأى لزوما للوصول الى البريمي بعد وصوله الى مراكز عبرى والعينين والدريز التى هو قاصد اليها . اما امير الجبل فقد عاد من مجتمع بهلا الى مركزه على ان ينتظر النتيجة ، حتى اذا رأى حضرة الامام التحاقه بالامير الشيخ عيسى تقدم بجيشه الذي هو على اهبة الاستعداد عند صدور الامر اليه من الامام (١)

قلت : — اذا تاملت — يا اخي — مما نشرناه عن الباروني باشا من رسائله منذ اوائل سياحته الثانية هذه الى الآن ومن خط مروره فيها ، واذا شخصت الآثار الناجمة عن هذه السياحة مباشرة ، أدركت ان الفضل في التفاف بلاد عمان ورؤساء قبائلها حول عظمة الامام بعد تشتت كلمتها بدسائس واغراض انما يرجع الى سعادة الباروني باشا .

وهي — لعمري — من الاعمال الكبيرة التى لايضطلع باعبائها الثقال الا امثال الباروني باشا لما اوتوا من حصافة وحنكة وخبرة وكياسة وجاذبية ولطف سياسة ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم .

---

١) المنهاج السنة الاولى م ٥ صفحة ٢٨٥

فى تسليم الظاهرة

ءايات الاتحاد ظاهرة

طبق ما كنا نشرناه عن مؤتمر « بهلا » من المقررات فقد تقدم الامير الشيخ عيسى بجيشه الى بلاد الشمال « الظاهرة » فقابلته وفودها بالطاعة والخضوع وتقديم الذخائر والمئون كما اشرنا اليه ءانفا .

ولهذه المناسبة ارتجل رفيق الباروني باشا في هذه السياحة الاديب الالمعي الشيخ ابو سلام سليمان بن سعيد الكندي القصيدة الآتية فى ١٦ جمادى الاول ١٣٤٤ ، وهذا نصها :

نفح النصر فهبوا مسرعين ... وارفعوا الراية بين العالمين
وامرحوا في الارض شكرا فلقد ... نصر الله امام المسلمين
حجة الله التي اظهرها ... بعدما كان بها الدهر ضنين
هو سيف الحق فى الارض فمن ... رام ختلا كان قطاع الوتين
قبض الملك فأدى حقه ... وأتاه الناس كل طائعين
نشر العدل فما من معشر ... نفروا الا أتوه مذعنين
شكت السر اليه امر ما ... يعتريها من امور المعتدين (١
خرج الجيش من العقر الى ... نحو عبري وله النصر قرين (٢
ماجت الارض بهم من طرب ... وتهادوا كاسود في عرين
فأتوها وهي في منعتها ... كعقاب الجو فى حصن حصين
سلمت من يومها الامر لمن ... قد رأته انه البر الامين
علمته انه الكفؤ لها ... فلهذا صافحته باليمين

---

١) ارض السر هى ما بين دبي وبين منتهى الجبل الاخضر من جهة الغرب .
٢) العقر هي المحلة التي فيها حصن نزوى الذي يقيم فيه الامام .

فكساها حللا من عدله ... وكفاها شر كيد الكائدين
كتب السعد على ابوابها ... فادخلوها بسلام ءامنين
أصبحت كل بلاد السر فى ... يده تطلب عفو المذنبين
وغدا العينين كالعينين فى ... جبهة الدهر لكل المبصرين(١
حينما حل به غوث الورى ... طود مجد ملجا للخائفين
نال عزا وعلا وغدا ... ينطح النجم يحي النازلين
أصبح الناس بامن بعدما ... ألفوا الخوف من الدهر سنين
يا امام العصر شكراً للذي ... جعل الفوز لكل الشاكرين
فهنيئا لك يا منصور ما ... نلته رغما لكيد الكائدين
يا رجال «السر» كم من مفخر ... بكم يتلى بايدي القارئين
إذ غدوتم للامام المرتضى ... خير انصار له في الآخرين
بوركت ايامكم من معشر ... وسقى ربعكم ماء معين
يا ابن عبد الله دم مجتهداً ... لا تبالي بمقال المرجفين
حولك الانصار مهما تدعهم ... تلق قوما لن يولوا مدبرين
رضعوا الحرب قديما فلكم ... تركوا الخصم على الترب رهين
سر شمالا واجمع الشمل ولا ... تسأمن والله يجزي الصابرين
هذه فرصة دهر سنحت ... لا تضعها انما الوقت ثمين
فاغتنمها انها سائغة ... واذخرها فهي كنز الذاخرين

* * * *

ايها العرب ارفعوا اعلامكم ... وانشروها علنا للناظرين

---

١) العينين احد مراكز ارض السر

رب الف بيننا واجعل لنا ... ناصراً منك يذل الظالمين
واجعل العرب جميعا اخوة ... وبني الاسلام طرا اجمعين
ولك الحمد إلاهي دائما ... ما دعا الداعي لنصر المؤمنين

١٦ جمادى الاولى ١٣٤٤ — نزوى ... سليمان بن سعيد الكندي

صدى هذه السياسة الحكيمة

يردد رنينه الشعراء عن الباروني باشا بعمان

أنشد في هذا الصدد الشاعر المجيد الشيخ حمدان بن محسن الجابري احد رؤساء قبائل بنى جابر من عمان القصيدة الآتية عندما زار سعادة البارونى باشا قبائلهم ، وهذا نصها :

أبارق المنحنى قد لاح من اضم ... ليلا فحرك اشجانا من الهمم
قد نور الافق فانجابت غياهبه ... كأنه البدر فى داج من الظلم
بشرى عمان لقد حلت بساحتها ... معادن الجود اهل العلم والكرم
بشرى لكم ملة الاسلام ان لنا ... مفاخراً بوفود السيد العلم
نجل الكرام اخي المعروف من قدم ... بورکت من رجل بورکت من قرم
انت الهمام لك الاعلام ناشرة ... بالنصر والعز في الهيجا والسلم
انت السري سليل العلم قدوتنا ... مبارك الاسم حامي الجار من وصم
انت الحكمي ابو الهيجاء عمدتنا ... لله درك ذا الاخلاق والشيم
انت المرجى لامر ان همت به ... تنل من الله اجرا غير منفصم
انت المرجى لنصر الدين فاسع له ... بحسن تدبيرك الاسنى وبالهمم
لك السياسة والاعداء شاهدة ... خزرا عيونهم والحال في وخم
يخشون منك رياحا طالما عصفت ... فزعزعت منكب الالحاد بالنقم
تخشاك ان جردت يمناك بارقة ... اولو البسالة والآساد في الاجم

تخشى الصواعق من لقياك يوم وغى ... ويرتجى الغيث من يمناك في السلم
مزقت شملهم في كل معترك ... بالصارم الذكر الهندي والخذم
تخاله كسناء البرق في خلل ... تخر اعناق اهل البغي والظلم
تركت هامهم جزر السباع على ... وجه البسيطة للعقبان والرخم
اضحت طرابلس لما نزلت بها ... مسرورة بعدما لاقت من الالم
لازلت فوق متون الخيل مبتدراً ... تكر مثل عقاب كاسر قطم
ياليت اهل عمان فى الوغى شهدوا ... يوم اللقا تحت خفق البيض والعلم
مع المدافع والآلات كاملة ... يحمون دين إلاه العرش والعظم
تسقى العدا بكئوس الموت مترعة ... لا تنثني عنك بالاسحار والعتم
بكل ليث عرين ما له ظفر ... غير الحديد ونار الحرب في ضرم
أيا سليمان هاتيك البشائر قد ... لاحت على الفلك الاعلى فلا تنم
تغضي عيونك والاعداء ساهرة ... وانت يا ابن المعالي عالي الهمم
أين الكماة أسود الغاب من مضر ... ومن ربيعة اهل الحمر والدهم
ما لي اراكم هموداً لا تورقكم ... صواعق الخصم في سحب من النقم

* * * *

فقم بنا يا ابن عبد الله انت لها ... فهاك أيدي عمان طوع ملتزم
فقم بنا يا رعاك الله من رجل ... فصادم الكفر أهل الجور والظلم
فقم بنا ويد الاسلام قاهرة ... على الاعادي بلا كره ولا رغم
أتقن سياستك الحسنى فان لكم ... مع السياسات آراء من الحكم
وعندكم سيرة الاسلام مجمعة ... خذوا بهذى ذوي الالباب والشيم
ويا سليمان انت اليوم واحدها ... فمن يقارنها إلاك من شهم
وعندك اليوم اخوان غطارفة ... ما عابهم ابدا زيغ عن الحكم

فقم فدمر ثغور الغاصبين على ... حكم الكتاب بلا ريب ولا وهم
لا تقعدن عن الاسلام فى كسل ... ان التكاسل رأس اللؤم والندم
يا من له فوق هام العز مرتبة ... ومن له نسبة للسيف والقلم
جاوزت مرتقيا افق العلى كرما ... لا زلت مرتديا بالعلم كالعلم
هذي مقالة من يرجوك ناصره ... بضربة تترك الاعداء كالحمم
وما مدحتك فى معشار حقك يا ... من رقى ذروة العلياء والكرم
صلى وسلم ربي ذو الجلال على ... خير البرية من عرب ومن عجم
محمد ما شدت بالايك نائحة ... وما حدا سائق الاظعان بالنغم

* * * *

كما انشد في هذا الصدد الاديب الشيخ محمد بن الامير عيسى بن صالح القصيدة الآتية يوم وصول موكب سعادة البارونى باشا الى بلدة « العز » في رمضان ١٣٤٤ . وهذا نصها :

العز فى الشرق فانزل اكرم النزل ... بلغت ما تبتغى يا غاية الامل
ان البشائر وافتنا بطلعتكم ... فالدهر فى زجل والناس فى جذل
حييت من موكب حفت جوانبه ... بعثير النقع بين الخيل والابل
وللفوارس فوق الخيل هيمنة ... وللمدافع رنات على القلل
تحركت همم الدنيا باجمعها ... واستيقظت لقدوم القائد البطل
أعني سليمان باشا من به شرفت ... عمان حتى علت فخراً على زحل
قد قام محتسبا لله منتدبا ... المدين منتصراً فى اوضح السبل
مشمراً شاهراً للسيف ذو همم ... تسنمت ذروة الجوزاء والحمل
تروي مفاخره اقرانه سندا ... عن صهوة الخيل والهندى والاسل
فاسأل هديت بنو الطليان ما وجدوا ... يوم الكفاح ويوم الروع والفشل

ينبئك مخبرهم ان الهمام له ... قلب يرى غير رعديد ولا وكل
تروي الرماح يداه حين يوردها ... بيضا ويصدرها حمرا بلا وجل
خيوله للقنا حلت قلائدها ... لكن منها حرام حوزة الكفل
ما عمر مع عامر اقدامهم شبه ... بكره لا ولا بسطام ان تسل
ولا الهزبر ابو العباس من شهدت ... مخالفونا له فى الحادث الجلل
اولاك بالسيف كان الحرب بينهم ... لا بالمدافع مع طيارها الهطل
فالرمح حامية والدرع سابغة ... والخيل سابقة والسيف في شغل
لله در نفوس كم لنا نتجت ... من الكماة السراة السادة الكمل
من ذا الذي كسليمان البروني اذا ... دارت رحى الحرب فهو القطب كالجبل
حتى يشتتها يمنى وميسرة ... ويورث القلب منها طعنة الاجل
ذاك الذي خطب العليا فادركها ... بالمشرفي وبالعسالة الذبل
لا زال مرتقيا بالعز مرتديا ... للعلم منتميا فى اكمل العمل

* * * *

ومن اعماله الكبيرة سعيه المخلص الحثيث المثمر لجمع الكلمة وتوحيد الوجهة بين عظمة سلطان مسقط السيد تيمور وبين عظمة الامام الخليلي فكانت الكلمة واحدة والخطة واحدة والهدف واحدا ولو اختلفت الوسائل وتباين الموقف ، على ان موقف سلطنة مسقط نفسها لايزال حافظا لاستقلاله الذاتي ، ولم يكن للاجنبي فى نفس الامر والواقع الا الاشراف البعيد على ما يتبادر .

وبفضل توجيهاته الحسنة قام عظمة السلطان السيد «تيمور» اخيرا باصلاحات شتى وادخل بعض الانظمة فى المملكة تعود بالنتيجة الحسنة الحديثة عليها .

كما ان التحسين فيها اخذ في التدرج كما يدل على ذلك سياحة جلاله السلطان نفسه في بعض اطراف المملكة كولاية ظفار ومعه ولي عهده لتفقد شئونها ،

فأسس عدة مراكز للجباية عن البضائع الاجنبية ، واستقبلته وفود قبائلها حيثما حل ركابه استقبالا حسنا .

ومن آثاره التاريخية توجيه رسالة بليغة فى هذه الظروف الى المؤتمر الاسلامى المنعقد بمصر لقضية الخلافة عام ١٣٤٤ ، وهذا نصها تحت العنوان الآتى :

الاثار النبوية

مسقط ١٩ ذى القعدة ١٣٤٤

قرأت خبر الوفد العراقى المحترم المنتخب لحضور مؤتمر الخلافة بمصر .

وحيث انى كنت في العام الماضي من طرف حضرة امام المسلمين فى عمان بحضور هذا المؤتمر ، كان لي الحق في التشرف بالحضور فيه لكن لسد دول الخلفاء ابواب مستعمراتها الاسلامية امامي لم أجد طريقا الى مصر وقد تلقيت دعوة في غرة رمضان الماضي ١٣٤٤ من فضيلة شيخ الازهر رئيس اللجنة العليا للمؤتمر وكتابا خصوصيا من الكاتب العام فضيلة الشيخ حسين والي فى الحث على اجابة الدعوة فاجبتها فى ٤ رمضان بتلغراف وفى ٥ منه بكتاب طالبا اصدار رخصة لدخولي مصر من حكومتها وانتظرت الجواب ، ولما مضت اشهر وفات وقت انعقاد المؤتمر — ولعله فى شوال — ولم يات منها شيء علمت ان اللجنة عجزت عن تحصيل الرخصة ولم تقدر على الثبات امام اعتراضات حكومة مصر ومعتمدي ايطاليا وانكلتيرا على دخول شخص واحد (الباروني) الى مصر وهو مدعو من طرف لجنة المؤتمر فى الوقت الذي تحاول فيه القيام بامر عظيم وهو جعل مصر كعبة امال العالم الاسلامي اجمع .

فاذا فاتنى الحضور فى المؤتمر فلا يفوتني بيان بعض ما كنت عازما على ابدائه من الرأي على صفحات المنهاج الاغر . وهو ما يأتي :

١ — حيث ان الحكومة التركية اصبحت لادينية (دهرية) ابعد عن

الاسلام من الحكومات المسيحية فلا مسوغ لابقاء الآثار النبوية الطاهرة عرضة للتلف والسخرية في الاستانة بل يلزم نقلها .

وحيث ان عقد الخلافة الحقيقية التى يمكنها محافظة هذه الآثار متعذرة فى الوقت الحاضر من وجوه مهمة .

(وعدم الخلافة مؤقتا ودوام السعي فى ايجادها فى المستقبل اولى من الخلافة المضحكة ومن المسارعة الى البيعة مرة ثالثة)

وحيث ان اقوى الدول الاسلامية القريبة من الحجاز واقدرها على محافظة هذه الآثار المباركة فى هذا الوقت هي الدولة المصرية ، فالمطلوب من المؤتمر الاسلامي المؤقر ان يقرر اعتبار صاحب الجلالة ملك مصر امينا على هذه الآثار الطاهرة ، ويفوض له الامر في مفاوضة بقية الدول الاسلامية المستقلة على شد عضده فى السعى في نقلها الى مصر حيث كانت قبل هذا ومحافظتها على وجه الامانة الموقتة الى ان تتأهل مصر لتحمل اعباء الخلافة باستقلالها الحقيق التام .

وان بقيت مصر على هذه الوضعية الى ان بلغت حكومه الحجاز درجة من القوة تضاهي قوة مصر وتحقق استقلالها واستعدادها لمحافظة هذه الآثار الطاهرة نقلت الى مهدها الاول مكة المكرمة او المدينة المنورة .

٢ — المطلوب من المؤتمر المحترم انتخاب لجنة دائمة يكون مقرها مصر برئاسة فضيلة شيخ الازهر او غيره من افاضل مصر تشتغل بما يتعلق بالخلافة وتكون في اتصال مستمر بالعالم الاسلامي بالوسائط التى تراها موفية بالمراد ، وتدعو الى انعقاد المؤتمر كلما رأت لذلك لزوما او مناسبة الى ان يتهيأ لاعلان الخلافة الحقيقية الشخص والمكان المطلوبين لها .

سليمان الباروني (١)

قلت — : لا غضاضة من الباروني باشا ان يرشح ملك مصر لأمانة الآثار

١) المنهاج السنة الثانية ص ٤٧

النبوية ويسميه امينا قبل اكثر من ربع قرن في الوقت الذي يسميه اساطين مصر ورجالات العرب بالملك الصالح !! وسبحان مقلب القلوب ، ولا يعلم الغيب الا الله . نعم لو قالها قبيل خلعه عن عرش مصر سنة ١٩٥٢ ، لقلنا انها غنيمة ساقها له ليستغفل بها بعض ملوك الاسلام المغفلين ببعض ملايين من الجنيهات ويتخذها وسيلة لسهر بعض الليالي فى مونمارتر للرقص مع بعض اوانس باريس ، لكن حاشا الباروني باشا ان تبلغ به الغفلة الى هذا الحد !!

انقلاب عظيم فى عمان

وزارة الباروني باشا لدى حكومة الامام الخليلي اعزها الله

اسباب ونتائج (١)

١ — حسبما بسطناه سابقا كان الباروني باشا من يوم نزوله بمسقط في غرة محرم ١٣٤٣ لا هم له الا النصيحة والدعوة الى جمع الكلمة والاتحاد والنهوض لمجاراة الامم الحية فكان هذا حديثه وهو راكب وسائر وجالس وعلى فراش المرض الذي كان ينتابه كل مدة فى اكثر بلاد عمان .

٢ — جاهد سعادته فى سبيل ايقاظ هذه الامة الى واجبها جهاداً مستمراً بدون فتور ولا مبالاة ولا يأس حولين كاملين ١٣٤٣ — ٤٤ ، وقد كلف مراراً من طرف رجال الامام بقبول منصب يليق به فلم يقبل لعلمه بان فكرته التي كان يبثها لم تنضج ، ولو انه قبل منصبا مهما كان في ذلك الوقت لما توفق بسهولة الى اتمام مراده ولحصلت عراقيل كثيرة في سبيل ما يقصده من الاصلاح .

٣ — كان من تأثير هذا الجهاد المستمر ان عقد عظمة الامام اجتماعا رهيبا

١) المنهاج السنة الثانية ج ١-٢ من ص ٦٩ الى ص ٧٦

يضم اقطاب دولته واهل الرأي فيهم مثل العلامة الشيخ عيسى بن صالح امير الشرقية والشيخ سليمان بن حمير امير الجبل الاخضر واكابر العلماء مثل شيخ مشائخ عمان الشيخ ماجد بن خميس العبري قاضى المرحوم الامام عزان بن قيس قبل ٦٠ سنة والعلامة الشيخ سعيد الكندي قاضى قضاة مسقط سابقا والعلامة الشيخ عامر بن خميس قاضى قضاة الامام الحالي (١) جمع هؤلاء يستشيرهم في إسناد امر تنظيم الدولة الى البارونى باشا فاجمعوا كلهم مع الامام بعد تجربة سنتين للبارونى باشا على انه اهل لان يقلد أمر تنظيم المملكة على الوجه العصرى الموافق لروح الشريعة الغراء التى هي مصدر كل صلاح وعمران .

٤ — بعد تمام كل هذا اخذت المخابرات بين عظمة الامام والبارونى باشا فى دورها الحاسم ، وهو بمسقط منذ شهر ذي الحجة ١٣٤٤ .

٥ — حينما سافر عظمة السلطان السيد تيمور الى الهند قدم البارونى باشا الى سمائل حيث يقيم الامام مؤقتا فطالت بينهما المذاكرة والمداولة في الرأي مشافهة الى آخر شهر المحرم ١٣٤٥ .

٦ — لما علم البارونى ان فكرته من توحيد الكلمة بين جلالة السلطان وعظمة الامام قد حلت فى جميع القلوب محل الاجلال والتقدير ، وانه بعد تجربة الامام ورجاله سنتين قد تبين ان الرأي العام عندهم مجمع على وجوب تنظيم المملكة على الوجه العصري الموافق لروح الشريعة الغراء ، لم يتوان سعادته في اجابة دعوة عظمة الامام اياه وقبوله باضطلاع امر المملكة بما اوتي من عزم وحزم وصدق واخلاص وخبرة ودراية .

---

١) هو عالم عمان الكبير الذي له في علوم الشريعة ارجوزة تحتوي على مئة الف بيت كما حكاه لنا البارونى باشا نفسه .

اشارة البارونى باشا الى ذلك

من اساليب البارونى باشا انه يعلن بقليل من القول عن كثير من العمل ، ومن ذلك رسالته الآتية للمرحوم السيد الحاج عمر العنق فيما نحن بصدده يحمل اشارات ورموزا لولا ما شرحته الانباء حسبما قدمناه لما وقفنا على جلية الامر . وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

٧ محرم ١٣٤٥ سمائل — عمان

حضرة الجليل الوفي الاخ الحاج عمر العنق ، وفقه الله وحماه ءامين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . انى احمد الله فى صحة وقد عدت الى سمائل بعد سفر عظمة السلطان الى الهند ، اجابة لدعوة حضرة الامام أعزه الله .

. . . حضرة الامام باشر فى بعض الاصلاحات والتنظيم حسب اشارتي وفقه الله . وقد حصل التيقظ للاصلاح لولا القحط العام في المملكة من منذ عشر سنين اعنى من يوم قتل الامام سالم بن راشد الخروصى ، وقد ارتحل من عمان الى الزنجبار للخدمة والتجارة اكثر من اثني عشر الف رجل في مدة الخمس سنين

وقد دخلت السنة الجديدة بالامطار ويؤملون ان تكون سنة خصب ورخاء حقق الله ذلك . سلامي الى الاخوان كافة ، ومن هنا حضرة الامام ورجاله والاخوان يسلمون عليكم كافة . ودمتم فى عز لأخيكم : سليمان البارونى

مرسوم ملكي

بعد تتابع الاسباب المتقدمة ، وبعد الاتفاق التام بين عظمة الامام ورجاله وبين سعادة البارونى باشا على اسناد امر تنظيم المملكة تنظيما عصريا موافقا لروح الشريعة الاسلامية الغراء ، اصدر الامام البلاغ التالي (١)

---

١) لم يشر المرسوم الملكى الى تاريخه ؛ ويظهر انه في اواخر محرم ١٣٤٥

وهم في غضب شديد ينظر الامام اليهم وهو يبتسم كلما سمع حجة دامغة من كلام البارودي باشا .

ولما انتهى من الكلام ، قال الامام ما خلاصته :

اما المضرة فقد شاهدناها ظاهرة ، واما المنفعة فها نحن نسمعها بأذاننا ونلمسها بايدينا ودليلنا المبين لا يسوغ لنا قطعا سلوك طريق المضرة وتجنب طريق المنفعة .

بناء عليه ان هذا الامر قد قضي باتفاق العلماء فلا اقبل بعد اليوم اي اعتراض فيه .

ثم أمر باعلان ذلك فى الاسواق فنادى المنادون بما نصه : من امام المسلمين محمد بن عبدالله الخليلي الى جماعة المسلمين ـ ليعلم الحاضر الغائب اني فوضت الأمر في تنظيم المملكة تنظيما صالحا للشيخ البارودي فبيده الملكية والعسكرية والمالية والسياسة الداخلية والخارجية ، فمن يخالفه او يقف فى سبيل اعماله الاصلاحية يعاقب ولا يلوم الا نفسه .

بهذا النداء الحاسم هدأ الثائرون واعترف كثيرون من المعترضين — وفيهم علماء بخطاهم ، واتت رسائل من كل جهة الى الامام يشكرونه على صنيعه هذا ، ورسائل الى البارودي باشا يشكرونه على قبوله الدخول فى العمل لاعانة اخوانه المسلمين واحياء مملكة مسلمة مستقلة لا اجنبي فيها قط ، وهى عريقة فى العربية من عهد سيل العرم المذكور فى القرآن الكريم .

وفى هذا الشأن وقفنا على رسالة من البارودى باشا الى بعض اصدقائه بمسقط وهي مؤرخة في ٢٥ جمادى الثانية ١٣٤٥ ، وهذا نص محل الحاجة منها :

. . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . اني في عافية والحمد لله وفي جد فيما كلفت به ، ولا اصل لما بلغكم من الأراجيف ، واي وال يمكنه ان يعارض

الأصلاح وعزله فى كلمة من الامام أعزه الله .

اما امير الجبل فأجل من ان يخطر في باله خلاف . بل هو مستبشر وقد رجع الى تنوف في الحين اذ بلغه خبر وصولنا نزوى فطيبوا نفسا والله الموفق .

المرجو ان تفهموا كل غريب يريد الوصول الى هنا ان يكتب الينا اولا وينتظر الجواب احسن من التعب لأني غير مستقر فى بلد واحد . الخ

ودمتم لأخيكم : سليمان البارودي

الثانية ـ طائفة المستنيرين وأرباب المدارك الواسعة ورؤساء البلاد الراسخين فى السياسة واذكياء الشباب من الادباء والشعراء وغالب عامة الشعب فهؤلآء قد تلقوا ذلك الانقلاب العظيم بمظاهر البهجة والسرور ، اذ تمتحت به امامهم ءافاق من الامال الواسعة الكبيرة فى حياة دولتهم وامتهم على يد هذا الامام الجليل الساهر بحق على خير هذه البلاد بواسطة البارودي باشا ذلك الرجل العظيم الذي أحسنت دول الحلفاء صنعا في تضييقها عليه حتى ساقه القدر الى هذه البلاد رحمة ونصيراً

حقا — لو علمت دول الحلفاء ما فى الغيب وان فى تضييقها عليه لنتائج عظيمة تعود بالنفع الكبير على عمان لخففت من غلوائها عليه ، ولكن لأمر اراده الله لعمان تركهم فى طغيانهم يعمهون ، كما قلنا اذ ذاك في مثل هذا الشأن:

تالله لو علم الدخيل بأن في ... إيذائه لكم الحياة لزاما
لأتى بكل مسكن ومنوم ... ولما اثار مشاكلا وخصاما
فليمعن الاضداد فى ظلم وفي ... عسف لنسرع فى المسير اماما
لله ما احلى الشقاء وأعذب ... الالام اذ تشفى لنا استقاما(١

نعم ! لقد تلقت هذه الطبقة العالية هذا الانقلاب بمظاهر البهجة والسرور فأقامت الولائم وعقدت الاحتفالات وتبادلت التهانى وتبارت الخطباء على المنابر

١) الديوان ص ٤١

وتغنت الشعراء باعذب الالحان ، ونحن نورد فيما يلي بعض القصائد التى أنشدت في هذا الباب كنموذج مما ذكرنا والسنة الشعراء رسول عواطف الامة ، فمن ذلك خريدة وهى من نظم العلامة الجليل الشيخ احمد بن سلطان من آل سليم ، وهذا نصها :

هنت عمان بما حازته بلدان ... اذ احرزت بك فتحا يا سليمان
القى اليك مقاليد الامور بها ... من حثه لطريق الهدي ايمان
ومن تحقق فيك الخير واندفعت ... الى الصلاح به نفس وعرفان
من طالما سهرت عيناه فى عمل ... به البلاد غداً يسمو لها شأن
عرفت اقدم موثوق ومضطلع ... فالدين منك له ركن واعوان
تركت دورك في الاتراك السنة ... تثنى عليك فانغام والحان
وموقف لك منه فى طرابلس ... ذكر عظيم وآيات وبرهان
فما ونيت واذ جاءت مبرهنة ... للفاشسية ان الحق ما هانوا
يا مجد من وقفوا تلقاءما حشدوا ... وما اعدوا فذاك الظلم والذان
توهموا دول المعمور تنذرهم ... لما هممت وما باليت من كانوا
حتى راوا عظم ما ابديت من جلد ... حزما واذ انت اجناد وقيمان
فاكبروك وعدوا من حسابهم ... حتى على النفي ما تخلوك اعيان
أأين ما وطئت رجلاك من بلد ... تاطت عليك بها الاعباء سكان

* * * *

يا صفقة ربحت هذي البلاد بها ... ورحمة كلها بر واحسان
جاد الامام بها حب الصلاح فهل ... من المليك مباراة وحسبان
الى الحياة الى فجر النجاة الى ... خير الغداة اذا ما ثم ميدان
الى الوئام الى سبل السلام الى ... سير الامام كفى ما ظل رجعان

ابا سعيد الا عطفا بحالتنا ... فقد وهت باثيل المجد اوهان
ابا سعيد الا عهداً يذكرنا ... عهد الاولى حفظوا ما شاد قحطان
هذي الامانى والآمال وافدة ... من امة كدها بغي وعدوان
اودى بها الجهل واجتار الشقاء بها ... متاوها ملئها هلك وخسران
جرت بها فئة قد كان رائدها الـ ... ـفوضى وديدنها زور وبهتان
ظلت على المكر صبغا من ضلالتها ... كيما تغر بذاك الصبغ عميان
واستفرغت دثرها ظلما وما سئلت ... اكدت ام اكتسحت من بعد اوطان
فللشقاق وللارهاق اقفية ... وللنفاق اساليب والوان
رفقا بنا ايها المولى فقد سنحت ... طير السعادة واستحنتك بلدان
شد المدارس في فيح المدائن كي ... تنجاب عنا عمايات وخذلان
واكمل عليها من ارباب الفنون كما ... يقضى الصلاح وتستوعيه اذان
وارع الشبيبة واستنفر حفائظها ... فهي الاساس بها يشتد بنيان
حيث المعارف ميمون طوالعها ... عذب مناهلها روح وريحان

* * * *

هيا بنى وطني قد حان وقتكم ... فامضوا سراعا عسى الاعمال تزدان
هيا بني وطني قد قام رائدكم ... لبوا النداء فان الوقت جذلان
تلك الشعوب نضت عنها غمائمها ... واستشعرت ان نير الغرب طغيان
قد اشرق الجو في انحاء اسية ... أليس عارا اذا اعياه إعمان
وهل من الذنب ان نسعى لصالحنا ... وهل علينا آزاء الحق نكران
دعوا التباغض وامحوا من ضغائنكم ... لا يدرك الفوز ما لم تمح اضغان
دعوا التساهل واجلوا من عزائمكم ... تزكو لكم من خمول الجهل اذهان
خلوا منافسة فى الدين ان عرضت ... لم ياتنا نبأ عنها وسلطان

فالخطب اعظم مما جر بينكم ... والامر اكبر ما يجريه انسان
فلو سبرتم بامعان عواقبه ... جلا لكم كنه ما فى الامر امعان
حيوا الزعيم وعدوا من تكاثفكم ... حول الزعيم فتعزيز واذعان
فهو الذي سرنا شكر الزمان به ... من بعد ما اعوزتنا منه ازمان
. . . . . .
يرى الخسارة في يوم يمر به ... لم يبن مجدا ولم يعقبه شكران
عسى تذير على شعب المزون به ... شمس كطالعها سعى ونجحان
تحدو الى الرشد منا كل منتدب ... الى المعالي له توق ونشدان

دبي ـ عمان ٢٠ ربيع الثاني ١٣٤٥ احمد بن سلطان ءال سليم

ومن ذلك ما كتبناه نحن في ١ جمادى الاولى ١٣٤٥ تهنيئة من وادي ميزاب لعمان ، كما نشرت فى جريدتنا وادي ميزاب عدد ٨ وفي الديوان صفحة ٥٢ ، وهذا نصها :

خفقت بنود العز والسلطان ... وعلت جنود سيادة بعمان
وتطاولت فيها الحصون وزعزعت ... فرحا مدافعها اعز مكان
وترنحت فيها الغصون وهزها ... شدو البلابل هزة الولهان
وتمايلت فيها المنابر اذ تبا ... رى فوقها الخطباء سحر بيان
والخيل تهتف بالصهيل وقد علا ... منها الغبار وضجة الغرسان
كل يسبح بالثنا بلسانه ... شكراً لمولانا العظيم الشأن
كل ينادى بالسعادة والهنا ... لامامنا ذي الفضل والاحسان
لما كسا باليمن غادة ملكه ... ثوب الفخار وعزة السلطان
لما حبا تاج الامامة درة ... يسمو بها في سائر التيجان
لما تلألأ قصره وبلاطه ... بشعاع بدر سعادة وامان

لما تمايد عرشه متشامخا ... متعاظما بوزارة « الباروني »
ذاك العظيم الشهم فخر الدين والا ... سلام مردي امة الطغيان
الله اكبر عزة الاسلام قد ... عادت كما كانت مدى ازمان
عهدت جلالته اليه بكل ما ... يعلي منار الدين والاوطان
ناطت به تنظيم دولته كما ... تقضى حياة العصر في البلدان
كي يصبغ الشعب الكريم بصبغة ... التحصين والتمدين والعمران
ويتم تجهيز الامامة سرعة ... بالمال بل بالعلم والعرفان
ويشيد من بنيانها ما ينبغي ... مما يليق بامة القرءان
حقا لقد جاءت على قدر له ... ولطف سر صد عن اوطان
لا غرو فهو لها أحق واهلها ... اذ كان للسلطان امهر بان
أفمن يهير بناء رومة وهو من ... عمل الدهاة بصنعة البنيان
يلهو ويعجز عن بناء شبيهه ... وله كتاب الله كالميزان

* * * *

يا ايها الميمون طلعته ويا ... اسد الاسود وسيد الاقران
عظمت بكم ءامالكم فزكت بكم ... اعمالكم في السر والاعلان
سقيا لكم ولدوحة استقلالكم ... فى روضة الاسلام والايمان
بشرى فها قد انجز الاقبال ما ... وعد المجاهد في رضى الرحمان
بشرى فقد هبت لكم من عرشه ... نسمات تلك الروح والريحان
بشرى فقد زفت لكم تلك العرو ... س بحسنها وجمالها الفتان
بشرى فقد فتح السبيل امامكم ... للسعي للتنظيم للاتقان
والجو صاف والهوا طلق وفي ... عرض الفضاء بساحة الميدان
فابنوا المدارس اسسوا ارقى المطا ... بع انشئوا صحفا بدون توان

فهي المعبر عـن ضمير الشعب فى كل الاوان وخير كل لسـان
غوصوا بعمق الماء طيروا في السما واطووا وهاد الارض كالجيران
واستثمروا خيراتها واستخرجوا منها دفائنها بكل تفـان
هذي حصون الدين والدنيا معا هذي الحياة حظيرة الانسـان
يا ايها الامجاد طبتم فادخـلوا باب السلام لساحة الرضوان
واليكم كاس التهانى الآن من «وادى ميزاب» مع ابي اليقظان

الباروني باشا يجيب

اثر ذلك الانقلاب ، واثر تلك التهاني يشرفنا البارونى باشا بالرسـالة الآتية باسلوبه الخاص الخاطف شأن المثقل كاهله بالاعمال ، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

نزوى — ١١ رجب ١٣٤٥

العلامة السياسي الاخ الشيخ . . . . وفقه الله واعانه .

سلاما واحتراما ، وصل كتابك الكريم ووادي ميزاب الأغـر وقد كتبت اليك تقريظا من سمائل ارجو وصوله وقبوله ، وانى الآن في نـزوى مجد فيما انا فيه والله المعين .

ارجو ان قصيـدة دبى في التهنيئة وصلتك على طـريق مصر (وقـد نشرت قبل) وسنرسل اليكم غيرها

وقد أطربت تهنيئة «وادي ميزاب» الاخوان طربا لايقاس بحد .

أوصيك بالاعتدال حتى يتمركـز وادي ميزاب ويعيش عمرا طويلا ان شاء الله . سلم على الاخوان كافة ، ومن هنا عظمة الامام اعزه الله والجماعة يسلمون عليكم اجمعين ، سلموا على اخوان الصفا في الخضراء . ودمتم فى عز لأخيكم :

سليمان البارونى

ومن ذلك ما ذيجه شاعر مسقط وعمان الشيخ عيسى بن صالح الطاءي قاضي مسقط ، وهذا نصها :

أقومي ان للعليا رجالا لهم في نيلها رأي وفكر
لها نحروا الكرى بنصال عزم وفى وثباتها قصد وكر
اذا ليل الغباوة مد سجفـا جلاه منهم عـلم وخبر
فكم ظلمات جهل قد محوهـا كما تمحى من الاسفار سطر
غذوا ارواحهم بلبان عـلم فطال لهم على النظراء قـدر
ففرق بين من ساس البرايا وجربها ومن فى الناس غمر
وفرق بين من هزم السرايا وبين فتى له في الحـرب فر
وفرق بين من ان قال فصلا وبين فتى به خدع ومكر
أقومى اين مجدكم قديما تقاصر عنه عيوق ونسر
ألم تلعب به ايدي رجال بباعهم عن العلياء قصر ؟
أقومي بيت مالـكم مضاع فلا رأي به للمال وفـر
لقد سمـح الزمان لكم بقرم له في خدمة الاسـلام بر
هو الشهم البـاروني ذو المزايا سليل المجد فى الهيجاء ذمر
نمته نفوسة شرفا وجادت بـه لعمـان ايام ودهـر
ولولا المزعجات من الليالي لما اعتورته اجراز وبحر
فكونوا عنده اعوان صدق ولا يأخذكم حسد وكـبر
سليمان أقم للدين صرحا لقد أودى بـه طمع مضر
وجدد عهد من سلفوا ملوكا أيمتنا لهم شأن وذكر
تخيرك الامام العدل فاخدم رضاه واثبتن فلأنت بـدر
ولاتحجم اذا استعصى جهول تساوى عنده زيف وتبر

فطعم الماء في الافواه عذب ... وفى فم من به الاسقام مر
فهذا القطر قم فيه عزيزا ... يحفك من إلاه العرش نصر(١

ومن ذلك القصيدة الرائعة التى أنشدها الشاعر النابغة الشيخ ابو سلام سليمان بن سعيد الكندى لما سمع وهو في قرية بوشر خبر تقليد امام المسلمين المعظم بعمان ابى عبد الله محمد الخليلي رئاسة الحكومة للباروني باشا ، وهذا نصها :

قم سليمان فى صلاح البلاد ... لا تبالي بقول اهل الفساد
انما انت عالم كيف أضحت ... امم الغرب تزدري بالعباد
هي بالعجز ام بجهل بنيها ... نالت المجد ام سمت بالرقاد
لا ولكنها تدك بعلم ... كل صرح بدا بغير عماد
فابذل النفس والنفيس وشمر ... واصرف الجهد من صميم الفؤاد
ان تعارضك فئة في نظام ... لا تلمها لجهلها بالمراد
هكذا كل من سعى في صلاح ... عاكسته الايام بالحساد
انما الحق واضح كيف يخفى ... عن بصير فما لهذا التمادى
لو سلكنا نهج الصلاح لأمسى ... ذكرنا فى السما وفى كل نادي
او درسنا علم التواريخ جيئنا ... بفخار الاباء والاجداد
لكن الجهل حطنا فانحططنا ... ونسينا مكائد الاضداد
كل شيء باول الامر صعب ... فاذا تم كان عين المراد
يا بروني هذه فرصة قم ... فاغتنمها فالدهر حرب الجواد
طالما قلت واجتهدت وها قد ... خدمتك الايام رغم العناد
فالامام المؤيد اليوم ولا ... ك من الامر ما اليه تنادي

١) المنهاج السنة الثانية ص ٢٧

قد قبضت الزمام فامض مجدا ... أنقذ القطر يا عظيم الايادي
نظم الجند واجمع المال واسلك ... بعمان سبيل اهل الرشاد
وانشر العلم والمعارف وامحق ... أثر الجهل من جميع البلاد
فبهذا وذاك نحيى ونرقى ... ذروة المجد يا طويل النجاد

* * * *

يا لقومي الى متى نحن نبقى ... فى غرور نتيه في كل واد
يا لقومى الى متى نحن نرضى ... عيشة الذل بين شوك القتاد
ان قعدنا نشكو الزمان فحسبي ... من رجال اعددتهم للجهاد
خاب ظني فيهم فيا قوم من لي ... بغيور يقوم فيهم مناد
رب ايد امامنا العدل وانصر ... واجره من كيد كل معاد
ذاك قطب الهدى الخليلي من قد ... نشر العدل والهدى في العباد(١

ومن ذلك ما جادت به قريحة الاديب الالمعى سعيد بن سليمان الخروصي لما سمع النداء في الاسواق طبق ما اسلفنا ذكره ، وهذا نصها :

الله اكبر فجر اليمن قد وضحا ... والحق والله باب النصر قد فتحا
فجر تبلج للاسلام عزهم ... وكان من قبل هذا الفجر ما لمحا
لما تربع استاذ السياسة فى ... مرقاه وهو بعرش المجد ما برحا
فاليوم ترسم ءايات السرور على ... باب التهاني وصدر الدين قد شرحا
واليوم ترفع اعلام البشائر فى ... شم الحصون وقد تاه الورى فرحا
واليوم تلبس تيجان العمائم في ... اعلى الرءوس وطير العز قد صدحا
قد توجت دولة الاسلام تاج علا ... من فخره جبهة الجوزاء قد نطحا
ذاك البروني من لا زال متزرا ... بكل مكرمة شما ومتشحا

١) المنهاج السنة الثانية ص ٢٨

ميسور سعي ترى الآمال خاضعة له فيلبس منها كل ما صلحا
ذو الحزم والعزم في الامر الذي حمدت عواقب الراى منه حينما نجحا
ولاه عدلا امام المسلمين على حفظ الامانة لما حملها طرحا
فلا تسل عن معاليه فحسبك ما ترى ودع عنك اخبار الذي نزحا
قد بارزته بنو الطليان في لجب فاصبح النصر في كفيه متضحا
يا من اذا رمت مدحا فى جلالته خلت الثنا باريج المسك قد نفحا
خذها عروسا لقد حاك البديع لها ملابسا واتت تسعى لكم مرحا
واسلم ودم في نعيم لا ترى ابدا هما ولن تلقى بؤسا لا ولا ترحا
وانصر إلاهي امام المسلمين ـ ابا عبد الالاه الخليلي الذي نصحا(١

ومن ذلك ما جادت به قريحة الاديب سالم بن سليمان فى نفس الموضوع، وهذا نصه :

بلبل الايك ترنم بالخبر أتحف الكون بايات البشر
وترنح بانا شيد الحبر اذ فتى الدهر ترقى للعرام

يا يراع الشعر أسلس للقياد حرك الاوتار قد هام الفؤاد
اطرب الناس بنجد ووهاد اذ غدا البدر وزيرا للامام

يا رحاب الارض ميدي مثل بان وانشري الاعلام فى كل مكان
وانثر الازهار فالاقبال بان يوم وافاك سري وهمام

قد دخلت اليوم فى طور جديد وتقدمت على رغم البليد
بارك الله لمحييك المجيد سابق المجد وحام للذمام

ان هذا من حماة كرما قدسوا الاوطان سادوا الهما

١) المنهاج السنة الثانية ص ٢٩

وحموا شرعة خلاق السما هم بنو المغرب فاقوا فى الزحام

تلك ءاثار ايادیهم ترى لامعات كسناء ظهرا
زحزحوا الغرب فئاب القهقرى وغدوا للشرق حصنا لايرام

سل بني التاريخ ما شأنهم اذ بدا الطليان خصما لهم
تجدوا الخبر جليا عنهم انهم عزوا مقاما ووئام

ما استدانوا لهوان الكفرة ما استكانوا لمراد الفجرة
لم يحيدوا عن طريق البررة قدموا النفس لتذليل الطغام

غير خاف كل ما منه بدا من عزوم زلزلت قلب العدا
كم رمى الخصم بمهواة الردى وبنى المجد مشيدا فاستقام

ان في العرب بقايا عرفت فضله حقا وما عنه ثبت
فاصطفته للمعالي مذ رات سعيه فى رفع رايات السلام

والخليلي الامام المرتضى ناشد العدل بسيف منتضى
خصه منه بحب ورضا فغدا اليوم وزيرا للامام

يا سليمان عظيم العظما طاير الصيت بارض وسما
يا شريف النفس يا عز الحمى يا بروني اهنيئك دوام

لك في الكون مقام وجلال واياد توسع الخلق نوال
وزئير يذر الشم رمال وسياسات فعال وكلام

عش عزيزا يا ابن عبد الله فى رتب المجد واسنى الشرف
شاسع النظرة ققاما وفي تتعالى مثل بدر فى التمام

ماذا كان بعد وزارة البارونى باشا

فى حكومة الامام

كان لسعادة الباروني باشا بعد اسناد وزارة الامام الخليلي وتفويض أمر مملكته اليه ، برنامج واسع وخطة حكيمة فى اصلاح شئونها وتنظيم مصالحها لو ساعده القدر وسالمه المرض وجانبته حمى الملاريا .

كان ينوي ان يصلح وينظم تنظيما عصريا سائر الدواوين في جميع الميادين بما يجعل دولة الامامة بعمان تضارع الامم الناهضة ، والدول الحديثة فى مقومات الحياة . وقد اخذ يضع الخطوط الرئيسية :

١ — في المالية - ٢ — فى المعارف - ٣ — فى الجيش - ٤ - فى الصحة

اولا — اما المالية فقد سبقت الاشارة الى انه ما كاد يأخذ في تنظيم اموال الدولة وانتزاع اشتاتها من ايدي المستبدين بها ، وجمعها في يد غنية امينة واحدة وضبط دخلها وخرجها في ديوان خاص حتى قامت قيامة بعض الانتفاعيين الذين يمس مصالحهم هذا النظام ، وزلزلوا من ذلك زلزالا شديدا حتى اخذوا يختلقون ضد البارونى باشا الاختلاقات بما اضطره ان يعقد مع الامام مجلسه الحاسم وهو غاص بالملإ من رجال دولته من بينهم اولئك المعارضون .

فكانت النتيجة بعد محاسبة هؤلاء ان زاد عظمة الامام في تفويض الباشا في امور مملكته ، وهدد المعارضين له بصارم العقاب ، حتى اضطر هؤلاء للاعتذار لدى عظمة الامام وسعادة البارؤني باشا ، والحق احق ان يتبع .

وقد اشار الى خطته هذه في رسالة له الى الاخ المرحوم السيد الحاج عمر العنق . وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

سمائل — ٩ جمادى الاولى ١٩٤٥

جناب الاخ الأجل الفاضل الحاج عمر العنق ، دام موفقا ءامين .

السلام عليك ورحمة الله وبركاته . اني فى خير ولله الفضل .

تلقيت كتابك المؤرخ فى ٢٤ صفر بكل سرور اذ دل على صحتك وتحسن احوالك ، وهناء البلاد وخصبها وراحة الاخوان والحمد لله على ذلك كثيراً .

انى في اجتهاد فى تنظيم المملكة مبتدئيا بماليتها التي كانت ضائعة وبعد حفظها اباشر العمل في غيرها .

وعلى كل حال اطلعتم على تنويه جرائد العراق ومصر بامر عمان والله المعين .

في هذه الساعة وصلني عدد من جريدة وادى ميزاب الغراء فامتلأت افئدة الجميع سروراً واستبشاراً بطلوع بدرها ادامها الله خادمة للاسلام والشعب ، فابلغ تحيتي وتهنئتي للاخ البهام . . . الخ

ومن ذلك رسالة اخرى منه للاخ المذكور ، وهى تعرب عن جملة من اصلاحاته وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الجناة — ٢٨ رمضان ١٣٤٥

جناب الاجل المحترم الاخ الوفي الحاج عمر العنق زيد قدره . السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، اني في صحة تامة ولله الفضل . وقد عدت من سياحة اجريت فيها بعض مصالح ، واليوم بمركز وادي بني رواحة قاصداً سمائل مؤقتا وقد كتبت اليك غير هذا بواسطة « وادي ميزاب » الاغر ارجو انه وصلك .

ثانيا — واما المعارف فقد اخذ في انشاء مدرسة كبرى فى سمائل ، وكان ينوي ان تكون اول واكبر مدرسة ثانوية في سائر بلاد عمان ، وقد صرف عنايته وجهوده لأبرازها الى الوجود بنظام عصرى على الطراز الحديث . وكان

ماذا كان بعد وزارة البارونى باشا

فى حكومة الامام

كان لسعادة الباروني باشا بعد اسناد وزارة الامام الخليلي وتفويض أمر مملكته اليه ، برنامج واسع وخطة حكيمة فى اصلاح شئونها وتنظيم مصالحها لو ساعده القدر وسالمه المرض وجانبته حمى الملاريا .

كان ينوي ان يصلح وينظم تنظيما عصريا سائر الدواوين في جميع الميادين بما يجعل دولة الامامة بعمان تضارع الامم الناهضة ، والدول الحديثة فى مقومات الحياة . وقد اخذ يضع الخطوط الرئيسية :

١ — في المالية ـ ٢ — فى المعارف ـ ٣ — فى الجيش ـ ٤ ـ فى الصحة

اولا — اما المالية فقد سبقت الاشارة الى انه ما كاد يأخذ في تنظيم اموال الدولة وانتزاع اشتاتها من ايدي المستبدين بها ، وجمعها في يد غنية امينة واحدة وضبط دخلها وخرجها في ديوان خاص حتى قامت قيامة بعض الانتفاعيين الذين يمس مصالحهم هذا النظام ، وزلزلوا من ذلك زلزالا شديدا حتى اخذوا يختلقون ضد البارونى باشا الاختلاقات بما اضطره ان يعقد مع الامام مجلسه الحاسم وهو غاص بالملإ من رجال دولته من بينهم اولئك المعارضون .

فكانت النتيجة بعد محاسبة هؤلاء ان زاد عظمة الامام في تفويض الباشا في امور مملكته ، وهدد المعارضين له بصارم العقاب ، حتى اضطر هؤلاء للاعتذار لدى عظمة الامام وسعادة البارونى باشا ، والحق احق ان يتبع .

وقد اشار الى خطته هذه في رسالة له الى الاخ المرحوم السيد الحاج عمر العنق . وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

سمائل — ٩ جمادى الاولى ١٩٤٥

جناب الاخ الأجل الفاضل الحاج عمر العنق ، دام موفقا ءامين .

السلام عليك ورحمة الله وبركاته . اني فى خير ولله الفضل .

تلقيت كتابك المؤرخ فى ٢٤ صفر بكل سرور اذ دل على صحتك وتحسن احوالك ، وهناء البلاد وخصبها وراحة الاخوان والحمد لله على ذلك كثيراً .

انى في اجتهاد فى تنظيم المملكة مبتدئيا بماليتها التي كانت ضائعة وبعد حفظها اباشر العمل في غيرها .

وعلى كل حال اطلعتم على تنويه جرائد العراق ومصر بامر عمان والله المعين .

في هذه الساعة وصلني عدد من جريدة وادى ميزاب الغراء فامتلأت افئدة الجميع سروراً واستبشاراً بطلوع بدرها ادامها الله خادمة للاسلام والشعب ، فابلغ تحيتي وتهنئتي للاخ الهمام . . . الخ

ومن ذلك رسالة اخرى منه للاخ المذكور ، وهى تعرب عن جملة من اصلاحاته وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الجناة — ٢٨ رمضان ١٣٤٥

جناب الاجل المحترم الاخ الوفي الحاج عمر العنق زيد قدره . السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، اني في صحة تامة ولله الفضل . وقد عدت من سياحة اجريت فيها بعض مصالح ، واليوم بمركز وادي بني رواحة قاصداً سمائل مؤقتا وقد كتبت اليك غير هذا بواسطة « وادي ميزاب » الاغر ارجو انه وصلك .

ثانيا — واما المعارف فقد اخذ في انشاء مدرسة كبرى فى سمائل ، وكان ينوي ان تكون اول واكبر مدرسة ثانوية في سائر بلاد عمان ، وقد صرف عنايته وجهوده لأبرازها الى الوجود بنظام عصرى على الطراز الحديث . وكان

في عزمه ان يسافر الى عواصم الاسلام ليجلب منها الاساتذة والمعلمين الاكفاء اذا ساعده القدر وتسامحت معه الدول الكبرى لدخول تلك البلاد التي تحت نفوذها .

ولكن الامراض المزمنة انهكت قواه واقعدت به عن انجاز هذه الغاية السامية ، ولم يحقق منها الا جزءاً يسيراً منها ، وذلك باتمام الطابق الاول فقط من تصميمه الشامل لطابقين ، ومع هذا فقد بقي الطابق الاول مغلقا اذ لم يتيسر له ان يسافر لجلب المعلمين اليها من خارج عمان .

أضف الى هذا ان اهل عمان — غالبا — ما زالوا على الطراز القديم وما زالوا لم يهضموا الاساليب الحديثة فى الحياة ولاسيما فيما يخص التعليم الذي هو اشد مساسا بالدين . وإلا لنسجوا على منواله واتموا برامجه ولو اقعده عنها المرض !

والى هذا المشروع الجليل يشير اشارات خاطفة في رسائله المتواليه ، وفيما يلى نورد نماذج منها :

١ — منها رسالة منه الى اخيه — هذا — مؤرخة — في ٢٠ رجب ١٣٤٧ وهذا نصها : بسم الله الرحمن الرحيم

جناب الاجل الاستاذ الكامل السياسي الاخ . . . زيد قدره

السلام عليك ورحمة وبركاته .

أكتب اليك هذه الأسطر مع تعب لملازمتى الفراش منذ شهر بعد رجوعى من نزوى من الالم المعهود . اما عيسى فمنذ شهر لم يبارح غرفته ، وهذا حالنا مع هواء عمان والامر لله .

اما بناء المدرسة فمستمر من يوم رجوعي من نزوى نسأل الله الشفاء والاعانة حصل لي الاذن من ملك العراق فى الوصول الى بغداد للتداوي حيث منعت بريطانيا دخولي الى كراتشي والهند .

وسأذهب الى بغداد ان شاء الله فى اواخر رمضان بعد اتمام الطبقة الاولى من المدرسة ، لان هذا الالم اتعبني ولازمني واخاف عاقبته ، والله الميسر .

ودم سالما لاخيك : سليمان الباروني

٢ — ومنها رسالة للمرحوم الحاج عمر العنق مؤرخة في ١٥ رمضان ١٣٤٧ وهي تفيد الاستمرار في بناء المدرسة وسفره صحبة الامام لتفقد بعض الحصون رغم ما هو عليه من المرض ، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

. . . احرر لك هذا بقلم الرصاص وفي هذه الورقة وانا في الطريق عائدا الى سمائل صحبة حضرة الامام اعزه الله من تفقد بعض حصون الجهة الغربية . وقد طالت المدة ولم ار منك خطابا كما انى لم اكتب اليك لانى كنت ملازما للفراش مدة ٤٠ يوما ثم حصل الشفاء والحمد لله . وبناء المدرسة مستمر ، وعما قريب تصلنى ءالة الرسم وارسل اليكم صورتها ولو قبل تمامها .

تفصيل بعض الحوادث في كتابى الى الاخ الاستاذ أبى اليقظان فاعذرني الآن وانى سأصل الى العراق للتداوي ، فان الملك فيصلا ارسل الي اذنا ، ودم سالما لأخيك المتشوق اليك والى ذلك القطر العامر . سليمان الباروني

ومنها رسالة اخرى لاخيه — هذا — من بغداد مؤرخة في ١٨ صفر ١٣٤٨ تتضمن ارجاء اصلاحاته عامة فى عمان الى ان يستأصل داء مرضه حتى يتفرغ لها بقوة . وهي فى بطاقة بريد تحمل رسم مسجد الشيخ عبد الرحمان الجيلانى ، وهذا نصها : بسم الله الرحمن الرحيم

. . . وصلت بغداد وباشرت التداوى وصحتي فى تقدم مطرد يوميا والحمد لله وعلى رأي الدكتور سأقيم هنا نحو شهر ءاخر حتى يستأصل الداء ويخرجه من مكامنه في الجسم .

واما اشاعة اعتزالي امور عمان فقد راجت على اثر تقريري عزل ونقل بعض عمال وقضاة هم حجر عثرة فى طريق الاصلاح الذي تنشده الامة ، فلم يوافق الامام اعزه الله على ذلك بل عزل بعضهم واعاده بسرعة . وتقريري تاذيب بعض جباة عبثوا بامر الزكاة فهربوا والتجأوا الى عظمة الامام وهو في نزوى فاعادهم مكرمين .

وفى هذا الاثناء ورد تلغراف في وصول عائلتى بغداد قاصدة الي من طرابلس الغرب فاسرعت المسير الى مسقط فتوهم من لا علم له بخبر العائلة ما بلغكم في سرعة البرق ثم زالت الاوهام بوصول العائلة ، واذ لم يساعدها الهواء واصيبت بحمى الملاريا عادت الى بغداد في الاسبوع الماضى صاحبتها السلامة .

وانا استعد للرجوع الى سمائل ان شاء الله . ودمتم موفقين

مسقط ١٢ شوال سليمان الباروني

ثالثا — واما الجيش فقد رسم له الخطوط الرئيسية كذلك وصرف له عنايته الخاصة وبدأ بقلعة سمائل فنظم دفاتر حصر فيها الذخائر الحربية ودفاتر لتنظيم العسكرية ، واخذ فى تجديد السلاح لها وفي تعقد القلاع والحصون بالمملكة ورأى ان الجيش فى حاجة اكيدة الى التدريب العسكري على النظام الحديث ، وانه فى حاجة لبلوغ هذه الغاية السامية بالجيش الى جلب الضباط من الخارج .

ولكن امراضه المزمنة كانت أمامه عقبة كاداء فى اي اصلاح ، وانه كما رأيت لا يهنأ له عيش ولا يقوم باي عمل ما لم يستأصل ذلك المرض من مكامنه بجسمه الكريم .

رابعا — واما الصحة فانه كذلك كان مشروعها ضمن برامج اصلاحاته من بناء المستشفيات وجلب الاطباء لها ، وقد بدأ فاستدعى دكتوراً حاذقا كان من احبابه واصدقائه منذ الحروب الطرابلسية ١٩١١-١٩١٩ وهو الدكتور

فؤاد بشير الشامي .

ولكن ما كاد يدخل عمان حتى غشيته غاشية حمى الملاريا الخبيثة فنشبت مخالبها فيه فتوفي بسمائل .

وكان مصابه على الباروني باشا ورجال عمان عظيما وخطبه جسيما ، ومن هنا توقفت اعمال الباشا ايضا فى هذا الصدد والامر لله .

ونحن هنا ندع سعادة البارونى باشا يحدثنا بنفسه عن خطوطه الرئيسية لاصلاحاته مجملا لها فى رسالة منه الينا مؤرخة فى ٤ ربيع الاول ١٣٥٢ ، وذلك بمناسبة ما نشرته جريدة الحياة من الحقائق(١) عن اعمال الباروني باشا واصلاحاته فى عمان فرأى فى ذلك مبالغة يجب تمحيصها بما يطابق الواقع توطيدا للثقة باخبارها ، وهذا نص الرسالة :

... وصلت مسقط يوم ٣٠ صفر ووجدت ابراهيم طيبا ، بعد غد اقصد سمائل فحضرة الامام اعزه الله في الشرقية

عمان في هذه السنة فى خصب عام مع امن والحمد لله

اطلعت في مسقط على ما كتبته الحياة الغراء فى عددها ٢ ، وانى لأشكرها على وقوفها على الحقائق التاريخية المسرودة فى مقالها الا انها بالغت فيما كتبته عن عمان ، ولعلها اعتمدت على الاشاعات التى حصلت عند مباشرتى العمل

فقد كان من المقرر انشاء مدارس ومستشفى وتنظيم الجيش والمالية تنظيما عصريا الى غير ذلك الا ان ذلك لم يتم حسب المرغوب

اما المالية فقد نظمت بالنسبة الى السابق وتنبهت الامة الى ما كانت غافلة عنه واصبحت تتوق الى الاقتداء بالاقطار الاسلامية الناهضة وتتشوق الى اخبار الصحف التي كانت لا تعلم لها معنى .

١) جريدة الحياة كان يصدرها في الجزائر الاستاذ باسعيد عدون بن بكير باللغتين العربية والفرنسية وقد برز منها بضعة اعداد فقط في سنة ١٩٣٣ فيما اظن .

واما اشاعة اعتزالي امور عمان فقد راجت على اثر تقريري عزل ونقل بعض عمال وقضاة هم حجر عثرة فى طريق الاصلاح الذي تنشده الامة ، فلم يوافق الامام اعزه الله على ذلك بل عزل بعضهم واعاده بسرعة . وتقريري تاذيب بعض جباة عبثوا بامر الزكاة فهربوا والتجأوا الى عظمة الامام وهو في نزوى فاعادهم مكرمين .

وفى هذا الاثناء ورد تلغراف في وصول عائلتى بغداد قاصدة الي من طرابلس الغرب فاسرعت المسير الى مسقط فتوهم من لا علم له بخبر العائلة ما بلغكم في سرعة البرق ثم زالت الاوهام بوصول العائلة ، واذ لم يساعدها الهواء واصيبت بحمى الملاريا عادت الى بغداد في الاسبوع الماضى صاحبتها السلامة .

وانا استعد للرجوع الى سمائل ان شاء الله . ودمتم موفقين

مسقط ١٢ شوال سليمان الباروني

ثالثا — واما الجيش فقد رسم له الخطوط الرئيسية كذلك وصرف له عنايته الخاصة وبدأ بقلعة سمائل فنظم دفاتر حصر فيها الذخائر الحربية ودفاتر لتنظيم العسكرية ، واخذ فى تجديد السلاح لها وفي تفقد القلاع والحصون بالمملكة ورأى ان الجيش فى حاجة اكيدة الى التدريب العسكري على النظام الحديث ، وانه فى حاجة لبلوغ هذه الغاية السامية بالجيش الى جلب الضباط من الخارج .

ولكن امراضه المزمنة كانت أمامه عقبة كاداء فى اي اصلاح ، وانه كما رأيت لا يهنأ له عيش ولا يقوم باي عمل ما لم يستأصل ذلك المرض من مكامنه بجسمه الكريم .

رابعا — واما الصحة فانه كذلك كان مشروعها ضمن برامج اصلاحاته من بناء المستشفيات وجلب الاطباء لها ، وقد بدأ فاستدعى دكتوراً حاذقا كان من احبابه واصدقائه منذ الحروب الطرابلسية ١٩١١-١٩١٩ وهو الدكتور

فؤاد بشير الشامي .

ولكن ما كاد يدخل عمان حتى غشيته غاشية حمى الملاريا الخبيثة فنشبت مخالبها فيه فتوفي بسمائل .

وكان مصابه على الباروني باشا ورجال عمان عظيما وخطبه جسيما ، ومن هنا توقفت اعمال الباشا ايضا فى هذا الصدد والامر لله .

ونحن هنا ندع سعادة البارونى باشا يحدثنا بنفسه عن خطوطه الرئيسية لاصلاحاته مجملا لها فى رسالة منه الينا مؤرخة فى ٤ ربيع الاول ١٣٥٢ ، وذلك بمناسبة ما نشرته جريدة الحياة من الحقائق(١) عن اعمال الباروني باشا واصلاحاته فى عمان فرأى فى ذلك مبالغة يجب تمحيصها بما يطابق الواقع توطيدا للثقة باخبارها ، وهذا نص الرسالة :

... وصلت مسقط يوم ٣٠ صفر ووجدت ابراهيم طيبا ، بعد غد اقصد سمائل فحضرة الامام اعزه الله في الشرقية

عمان في هذه السنة فى خصب عام مع امن والحمد لله

اطلعت في مسقط على ما كتبته الحياة الغراء فى عددها ٢ ، وانى لأشكرها على وقوفها على الحقائق التاريخية المسرودة فى مقالها الا انها بالغت فيما كتبته عن عمان ، ولعلها اعتمدت على الاشاعات التى حصلت عند مباشرتى العمل

فقد كان من المقرر انشاء مدارس ومستشفى وتنظيم الجيش والمالية تنظيما عصريا الى غير ذلك الا ان ذلك لم يتم حسب المرغوب

اما المالية فقد نظمت بالنسبة الى السابق وتنبهت الامة الى ما كانت غافلة عنه واصبحت تتوق الى الاقتداء بالاقطار الاسلامية الناهضة وتتشوق الى اخبار الصحف التي كانت لا تعلم لها معنى .

---

١) جريدة الحياة كان يصدرها في الجزائر الاستاذ باسعيد عدون بن بكير بالالغتين العربية والفرنسية وقد برز منها بضعة اعداد فقط في سنة ١٩٣٣ فيما اظن .

واما اشاعة اعتزالي امور عمان فقد راجت على اثر تقريري عزل ونقل بعض عمال وقضاة هم حجر عثرة فى طريق الاصلاح الذي تنشده الامة ، فلم يوافق الامام اعزه الله على ذلك بل عزل بعضهم واعاده بسرعة . وتقريري تاذيب بعض جباة عبثوا بامر الزكاة فهربوا والتجأوا الى عظمة الامام وهو في نزوى فاعادهم مكرمين .

وفى هذا الاثناء ورد تلغراف في وصول عائلتى بغداد قاصدة الي من طرابلس الغرب فاسرعت المسير الى مسقط فتوهم من لا علم له بخبر العائلة ما بلغكم في سرعة البرق ثم زالت الاوهام بوصول العائلة ، واذ لم يساعدها الهواء واصيبت بحمى الملاريا عادت الى بغداد في الاسبوع الماضى صاحبتها السلامة .

وانا استعد للرجوع الى سمائل ان شاء الله . ودمتم موفقين

مسقط ١٢ شوال سليمان الباروني

ثالثا — واما الجيش فقد رسم له الخطوط الرئيسية كذلك وصرف له عنايته الخاصة وبدأ بقلعة سمائل فنظم دفاتر حصر فيها الذخائر الحربية ودفاتر لتنظيم العسكرية ، واخذ فى تجديد السلاح لها وفي تفقد القلاع والحصون بالمملكة ورأى ان الجيش فى حاجة اكيدة الى التدريب العسكري على النظام الحديث ، وانه فى حاجة لبلوغ هذه الغاية السامية بالجيش الى جلب الضباط من الخارج .

ولكن امراضه المزمنة كانت أمامه عقبة كاداء فى اي اصلاح ، وانه كما رأيت لا يهنأ له عيش ولا يقوم باي عمل ما لم يستأصل ذلك المرض من مكامنه بجسمه الكريم .

رابعا — واما الصحة فانه كذلك كان مشروعها ضمن برامج اصلاحاته من بناء المستشفيات وجلب الاطباء لها ، وقد بدأ فاستدعى دكتوراً حاذقا كان من احبابه واصدقائه منذ الحروب الطرابلسية ١٩١١-١٩١٩ وهو الدكتور

فؤاد بشير الشامي .

ولكن ما كاد يدخل عمان حتى غشيته غاشية حمى الملاريا الخبيثة فنشبت مخالبها فيه فتوفي بسمائل .

وكان مصابه على الباروني باشا ورجال عمان عظيما وخطبه جسيما ، ومن هنا توقفت اعمال الباشا ايضا فى هذا الصدد والامر لله .

ونحن هنا ندع سعادة البارونى باشا يحدثنا بنفسه عن خطوطه الرئيسية لاصلاحاته مجملا لها فى رسالة منه الينا مؤرخة فى ٤ ربيع الاول ١٣٥٢ ، وذلك بمناسبة ما نشرته جريدة الحياة من الحقائق(١) عن اعمال الباروني باشا واصلاحاته فى عمان فرأى فى ذلك مبالغة يجب تمحيصها بما يطابق الواقع توطيدا للثقة باخبارها ، وهذا نص الرسالة :

... وصلت مسقط يوم ٣٠ صفر ووجدت ابراهيم طيبا ، بعد غد اقصد سمائل فحضرة الامام اعزه الله في الشرقية

عمان في هذه السنة فى خصب عام مع امن والحمد لله

اطلعت في مسقط على ما كتبته الحياة الغراء فى عددها ٢ ، وانى لأشكرها على وقوفها على الحقائق التاريخية المسرودة فى مقالها الا انها بالغت فيما كتبته عن عمان ، ولعلها اعتمدت على الاشاعات التى حصلت عند مباشرتى العمل

فقد كان من المقرر انشاء مدارس ومستشفى وتنظيم الجيش والمالية تنظيما عصريا الى غير ذلك الا ان ذلك لم يتم حسب المرغوب

اما المالية فقد نظمت بالنسبة الى السابق وتنبهت الامة الى ما كانت غافلة عنه واصبحت تتوق الى الاقتداء بالاقطار الاسلامية الناهضة وتتشوق الى اخبار الصحف التي كانت لا تعلم لها معنى .

---

١) جريدة الحياة كان يصدرها في الجزائر الاستاذ باسعيد عدون بن بكير بالاغتين العربية والفرنسية وقد برز منها بضعة اعداد فقط في سنة ١٩٣٣ فيما اظن .

واما المستشفى فقد كنا استدعينا الدكتور فؤاد بشير الشامى العثماني الذي كان دكتوراً معنا للمجاهدين في الحروب الطرابلسية من سنة ١٩١١ الى ١٩١٩ لكن مع الاسف ماكاد يصل مسقط حتى اصيب بالملاريا فوصل الى سمائل في حالة سيئة ، وفي ظرف ذلك الشهر انتقل الى الدار الآخرة ، وكان مصابه علينا عظيما ، فحاولنا ان نقنع الدكتور الامريكاني الذي في مسقط بان يترك التبشير ويسمح له الامام اعزه الله بالاقامة في سمائل اذا هيأنا المستشفى فابى الا ان يكون بصحبته مبشر ، لان الاموال التى تنفق عليه من امريكا انما خصصت للتبشير فاصبح المشروع غير تام .

واما الجيش ففي تنظيمه نقصان لعدم وجود كفاية من المعلمين ، وفى جلبهم من الخارج بعض محاذير لا محل لبيانها الآن .

فالواجب الاستدراك محافظة على الثقة بالصحف مع التحفظ فى المستقبل من مثل هذا ، كان الله في عونكم ووفقكم والسلام عليكم اجمعين .

ابراهيم يقدم لكم تحيته واحترامه من اخيكم المخلص سليمان الباروني

نماذج من احكام الامام

فى عهد الباروني باشا

تقص علينا رسالة من الباروني باشا مؤرخة فى ١١ رجب ١٣٤٥ صادرة من نزوى عاصمة الامامة ، نماذج من احكام الامام بعمان . والرسالة موجهة منه لأخيه هذا ، وهذا محل الحاجة منها ونصه :

— . . . فى السنة الماضية قتل رجلان من قبيلة امير الشرقية الشيخ عيسى ابن صالح عند رجوعها من دبى طمعا في مالهما وسلاحهما ، وبعد البحث تحقق فى هذه الايام ان القاتل لصوص من البدو الساكنين فى الرمل فى جهة الظاهرة والبريمي القريبة من دبي فقبض رئيس البريمي على المتهم وحز رأسه وارسله ،

ولما وصلت به الرسل الى مسقط تعفن فطافوا به في اسواق مسقط ومطرح ودفنوه .

٢ — اما رئيس الدروع فقبض على المتهم المنكر وارسله مع عشرة رجال الى الشيخ عيسى فارسله الى عظمة الامام فامر بوضعه في السجن المضيق في قلعة نزوى والتحقيق جار .

وفى السنة الماضية قتل رجل بلوجستاني ابني عمه فى عمان وهرب ، ثم القى عليه القبض ، وبلغ الخبر الى اولياء المقتولين فى بلوجستان فحضروا وحوكم الجاني بين يدي عظمة الامام وثبت عليه الجرم ولم يقبل الا
رميا بالرصاص بحضور الامام فى سمائل .

هكذا يجري القصاص هنا ، وهكذا تضامن ا

فاذا فكرنا ان الامام سالم بن راشد اول ائ
الاغتيال في سنة ١٣٣٨ لأجل حكم القصاص اصد
انفاذه عليه .

واذا تأملنا في النماذج المذكورة انفا من انفاذ
طبق الشرع العزيز واسوة بسلفه الامام سالم بن
ولم يتنه عن عزمه اغتيال الامام الاول وذهابه شهي

واذا لاحظنا تضامن اهل المملكة في انفاذ ال
تحت نفوذ جلالة السلطان أو ما كان تحت نفوذ عظ
لمملكة عمان من سطوة وسلطة على عتاة الامن وال

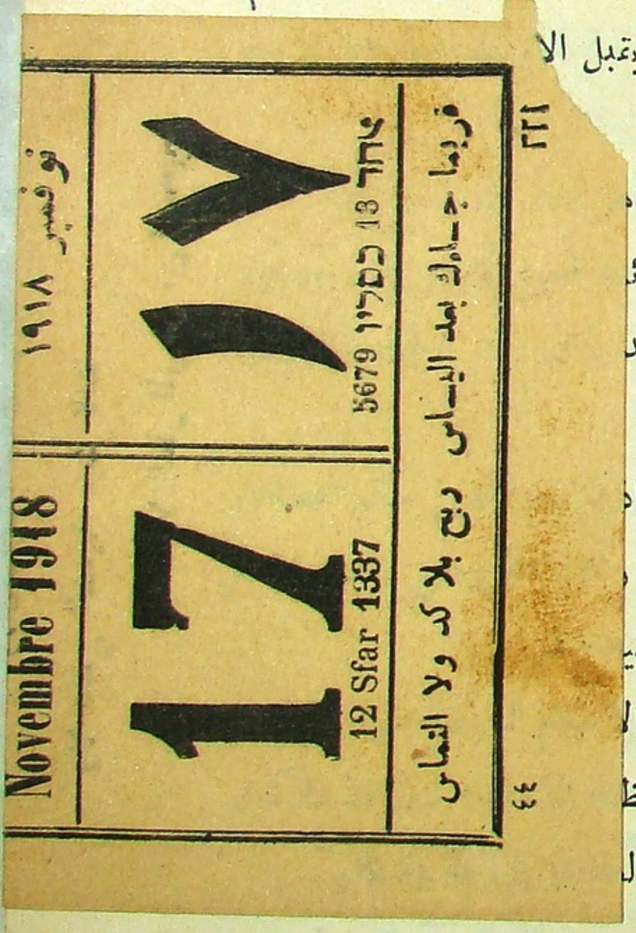

واما المستشفى فقد كنا استدعينا الدكتور فؤاد بشير الشامى العثماني الذي كان دكتوراً معنا للمجاهدين في الحروب الطرابلسية من سنة ١٩١١ الى ١٩١٩ لكن مع الاسف ماكاد يصل مسقط حتى اصيب بالملاريا فوصل الى سمائل في حالة سيئة ، وفي ظرف ذلك الشهر انتقل الى الدار الآخرة ، وكان مصابه علينا عظيما ، فحاولنا ان نقنع الدكتور الامريكاني الذي في مسقط بان يترك التبشير ويسمح له الامام اعزه الله بالاقامة في سمائل اذا هيأنا المستشفى فابى الا ان يكون بصحبته مبشر ، لان الاموال التى تنفق عليه من امريكا انما خصصت للتبشير فاصبح المشروع غير تام .

واما الجيش ففي تنظيمه نقصان لعدم وجود كفاية من المعلمين ، وفى جلبهم من الخارج بعض محاذير لا محل لبيانها الآن .

فالواجب الاستدراك محافظة على الثقة بالصحف مع التحفظ فى المستقبل من مثل هذا ، كان الله في عونكم ووفقكم والسلام عليكم اجمعين .

ابراهيم يقدم لكم تحيته واحترامه من اخيكم المخلص سليمان الباروني

نماذج من احكام الامام

فى عهد الباروني باشا

تقص علينا رسالة من الباروني باشا مؤرخة فى ١١ رجب ١٣٤٥ صادرة من نزوى عاصمة الامامة ، نماذج من احكام الامام بعمان . والرسالة موجهة منه لأخيه هذا ، وهذا محل الحاجة منها ونصه :

— . . . فى السنة الماضية قتل رجلان من قبيلة امير الشرقية الشيخ عيسى ابن صالح عند رجوعها من دبى طمعا في مالهما وسلاحهما ، وبعد البحث تحقق فى هذه الايام ان القاتل لصوص من البدو الساكنين فى الرمل فى جهة الظاهرة والبريمي القريبة من دبي فقبض رئيس البريمي على المتهم وحز رأسه وارسله ،

ولما وصلت به الرسل الى مسقط تعفن فطافوا به في اسواق مسقط ومطرح ودفنوه .

٢ — اما رئيس الدروع فقبض على المتهم المنكر وارسله مع عشرة رجال الى الشيخ عيسى فارسله الى عظمة الامام فامر بوضعه في السجن المضيق في قلعة نزوى والتحقيق جار .

وفى السنة الماضية قتل رجل بلوجستاني ابني عمه فى عمان وهرب ، ثم القى عليه القبض ، وبلغ الخبر الى اولياء المقتولين فى بلوجستان فحضروا وحوكم الجاني بين يدي عظمة الامام وثبت عليه الجرم ولم يقبل الاولياء الدية فاعدم رميا بالرصاص بحضور الامام فى سمائل .

هكذا يجري القصاص هنا ، وهكذا تضامن اهل المملكة .

فاذا فكرنا ان الامام سالم بن راشد اول ائمة العهد الاخير ذهب ضحية الاغتيال في سنة ١٣٣٨ لأجل حكم القصاص اصدره على بعض الجناة وعزم على انفاذه عليه .

واذا تأملنا في النماذج المذكورة وانفا من انفاذ الامام الخليلي حكم القصاص طبق الشرع العزيز واسوة بسلفه الامام سالم بن راشد الخروصي رحمه الله ، ولم يثنه عن عزمه اغتيال الامام الاول وذهابه شهيد الحق !

واذا لاحظنا تضامن اهل المملكة في انفاذ الاحكام الشرعية سواء ماكان تحت نفوذ جلالة السلطان أو ماكان تحت نفوذ عظمة الامام ، تبين لنا ماكان لمملكة عمان من سطوة وسلطة على عتاة الامن والعابثين بالراحة والنظام .

حديث عن مملكة عمان

كما سجلنا من قبل حديثا للباروني باشا مع الاستاذ عمر الطيبي في شأن جهاد طرابلس ، كذلك نسجل هنا حديثا له معه فى شأن مملكة عمان ايضاحا لما تقدم نقلا عن جريدة « فتى العرب » قال الاستاذ ما نصه :

. . . وصلنا مع الزعيم البارونى الى مسقط ونضيف اليوم — انه لما اشتد به مرض الملاريا استأذن عظمة السلطان في الدخول الى دواخل المملكة لتبديل الهواء واجابة دعوة عظمة امام عمان ، وصديقه القديم الشيخ عيسى بن صالح امير الشرقية فأذن له واستقبل استقبالا شيقا فى البلدان التى مر بها بامر الامام وأقيمت له احتفالات وتلقاه الامام فى موكب من كبار رجاله في سمائل واحتفل به وزار الامير عيسى في مركزه ـ القابل ـ وكانت احتفالات عظيمة .

وكذا زار امير الجبل الاخضر الشيخ النبهاني ، ووصل نزوى بعد رجوع الامام اليها ، حيث لا حكم الا لكتاب الله وشريعة رسوله ، وحيث لا اثر لاجنبي بل لا يسمح للاجنبي بالدخول مطلقا ، حتى ان العربي الغريب اذا لم يكن موثوقا به ثقة تامة فانه يمنع من الدخول ايضا .

والى القراء بعض المعلومات الطريفة عن عمان ونزوى عاصمة الامامة .

الامامة الاباضية

لما تم امر التحكيم بين معاوية وعلي بن ابى طالب على الشكل المعلوم ، انفصل الاباضية عن الامام علي وقعدوا عن نصرة خليفه علي ءاخر ما دامت الخلافة تطلب بحد الظبى فقط . وانتخبوا من بينهم اماما هو المرحوم عبدالله بن وهب الراسبي فقادهم الى ان قضى نحبه .

وكانوا اذ ذاك يعرفون بالمحكمة فقط لقولهم للامام علي انت امامنا الواجب

علينا طاعته ونصرته الى ان تفنى ، ولما حكمت الرجال في امرك وخلعوك فنحن احرار فى تولية قيادتنا من نشاء « ولا حكم الا لله »

ويعرفون بالخوارج في كتب التاريخ ، ويعرفون بعد ذلك بالشراة ، لقولهم شرينا أنفسنا من الله بالجنة . ويتمثلون بقوله تعالى « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون »

وما اشتهروا بالاباضية الا اخيراً وكان معظمهم فى العراق ، اما قطعة عمان وحضرموت فكانت كلها على رائهم .

ولهم مع ملوك بني امية ثم ملوك بني العباس حروب طاحنة ومركز امامتهم اذ ذاك مدينة صحار المشهورة في كتب التاريخ على ساحل عمان .

ومن علمائهم ورؤسائهم المشهورين فى ذلك الوقت الذين بسعيهم تأسست امامة عمان وحضرموت ثم امامة المغرب ، وانتقلت اليها بعد حروب مدهشة مع جيوش بني العباس الزاحفين على طريق مصر منهم الامام المحدث ابو الشعثاء جابر بن زيد الازدي العماني نزيل البصرة ، وكان له مرتب من خزانة بني امية وهو من ثقاة الحديث عند الأمام البخاري ورواياته كلها عن ابن عباس وعائشة ام المؤمنين وبعض كبار الصحابة حتى انه قال اجتمعت بسبعين صحابيا فحويت ما عندهم من العلم الا البحر — يعني ابن عباس .

ذكر البارونى انه زار ءاثار بيته فى قرية « فرق » القريبة من نزوى ، وكذا ضريح ابنته الشعثاء هناك .

ومنهم ابو عبيدة ابن ابى كريمة التميمي البصري والربيع ابن حبيب البصري وابن محبوب وعبدالله بن اباض وهو الذي اشتهر مذهبهم باسمه في ايام عبد الملك ابن مروان لقيامه بالدفاع عن نحلتهم وانكار المنكر على عمال عبد الملك ، ورده على الصفرية والازارقة من المحكمة ، لتحليلهم دماء واموال وسبي نساء واولاد

مخالفيهم من المسلمين ، فتبرأ منهم ابن اباض وبقية الشراة المحكمة لاجل ذلك .

فعبد الله بن اباض لم يبايعه الشراة بالامامة ولا ادعاها وانما كان من عظمائهم فنسبهم ملوك بني امية اليه فقبلوا النسبة مفتخرين وحافظوا على اسمهم الاصلي « الشراة » في كتبهم .

ولما هاجم البرتغاليون سواحل عمان لما كانوا استولوا على الشرق كله كاستيلاء الانكليز اليوم ، صار مركز الامامة مدينة نزوى الواقعة في سفح الجبل الاخضر بعيدة عن البحر ، وكانت لهم مع البرتغال حروب عظيمة حتى اخرجوهم من سواحلهم وتتبعوهم الى ان اجلوهم من سواحل العجم والهند والزنجبار وسواحل افريقيا الشرقية الى قريب من رأس الرجا الصالح وحلوا محلهم وكونوا دولة قاهرة ذات اسطول ضخم تكفل التاريخ بتفصيلها .

ولما طرق دولتهم الضعف في المائة الثانية بعد الالف من الهجرة هاجم العجم واستولوا على بعض السواحل وقسم من الداخل واشتدت الحرب بينهم حتى طردوهم وتتبعوهم الى سواحلهم فاحتلوا بعضها .

وكان احمد بن سعيد من قبيلة ءال سعيد من عمان واليا على مدينة صحار وهو جد العائلة الحاكمة اليوم في مسقط .

فاظهر البسالة والثبات في مطاردة العجم ، واشتهر بحسن السيرة والنزاهة والعدل ، فاجمعت الامة العمانية على اهليته فبايعوه اماما فاختار لاقامته مسقط وكان قد اسسها البرتغاليون وحصنوها فصارت عاصمة عمان بدلا عن نزوى فسار بالدولة العمانية سير الابطال فاستقامت له الامور ولم يحز لقب امام أحد من ذريته بعده ، وانما كانوا يلقبونهم بالملوك والسلاطين لنقصان بعض شروط الامامة فيهم وهو اقامة الحدود الشرعية ، ولأن توليتهم كانت شبه وراثة لا بالانتخاب كما تقتضيه قواعد الاباضية .

وحصل من بعضهم تساهل في دخول الخمر الى البلاد وظهور بعض المنكرات بوسيلة وجود قناصل اذ ذاك لبريطانيا وفرانسا وامريكا وبعض رعاياهم الذين لا يتيسر للسلطان منعهم بالقوة ، وحصل من بعض الولاة ظلم نشأ عنه سفك الدماء وفتن بين القبائل ، فاصبحوا عرضة لقيام العلماء ضدهم مطالبين بالاصلاح ومحافظة شعائر الدين ، حتى انهم بايعوا قبل نحو سبعين سنة الامام عزان بن قيس وهو من العائلة نفسها ، واستولى على عمان كلها حتى مسقط ، والتجأ السلطان الى الهند الى ان قتل الامام عزان في مطرح مرسى مسقط فعاد السلطان وسكنت البلاد الى سنة ١٣٣١ هـ فتجددت الثورة بعين السبب مع ما زاد من الاسباب ، واعلنت الامامة الداخلية باسم الامام « سالم بن راشد » وتقدم حتى جاء مسقط ، ولما مات بويع الامام الحالي « ابو عبد الله محمد بن عبد الله الخليلي » وجرى صلح بين الفريقين على ان يكون الساحل للسلطان وداخل البلاد للامام ، وسكنت الامور ، والامام من خيرة اهل تلك المملكة اخلاقا واخلاصا وكفاءة وعلما وتقوى وحبا للخير (١)

ولما هبط الباروني نزوى عهد اليه الامام بالوزارة فأخذ يدير البلاد بحكمة وروية لينهض بها على قدر الامكان مع السعي في اصلاح ذات البين وازالة ما بقي في النفوس من التنافر .

---

١) اما علم « الامامة » فهو ابيض يتوسطه سيف وعدة نجوم .

سلطان مسقط لا يعترف بامامة الداخل

ولكنه يبادلها الرسائل الودية

ولايات عمان وطراز الحكم

من شروط الامامة عند الاباضية ان يتحلى الامام المنتخب بصفات الكمال من الاسلام والحرية والعقل والعلم والشجاعة والتقوى ، ولا يشترطون العصمة اذ لا معصوم غير الأنبياء والملائكة عندهم .

اما طريقة الانتخاب فهي محصورة فى كبار علماء البلاد مع زعيمي اليمانيين والنزاريين في هذا الوقت .

وهم يسمون اليمني بالهناوي ، وزعيمهم الاكبر هو الشيخ العلامة عيسى بن صالح امير الشرقية وتحته زعماء قبائل وبطون كثيرة وهو من عائلة عريقة فى الرئاسة والعلم .

ويسمون النزاري بالغافرى ورئيس الغافرية هو الشيخ سليمان بن حمير النبهاني من سلالة النبهانيين ملوك عمان في الازمنة السابقة وهو امير الجبل الاخضر الآن ، وتحته شيوخ وزعماء لقبائل كثيرة ايضا .

وهذه القسمة سارية في جميع قبائل عمان من قطر الى حضرموت ، وهي حديثة ولها سبب طويل الذيل .

فاذا وقع الاجماع على انتخاب امام وجب على اهالي البلاد ان يسمعوا له ويطيعوا ووجب على منتخبيه ان يكونوا اول السامعين والمؤيدين والمقاتلين بين يديه اذا مست الحاجة .

وكان من اجداد هذا الامام فى الأعصر السابقة جملة ائمة اشتهروا بالعدل والقوة منهم الامام الخليل ابن شاذان وكان فى المائة الرابعة للهجرة .

اما السلطان الحالي السيد سعيد بن تيمور فهو شاب فوق العشرين عربى

محض ذو نشاط وذكاء تواق الى الاصلاح العصري ونشر العلم محبوب عند رعاياه ولأمراء العائلة تعلق زائد به واخلاص ويؤملون ان يعيد للمملكة مجدها كما كانت في عهد اسلافه .

تعلم فى مسقط ثم فى بغداد ، ثم قلده والده رئاسة الوزارة نحو سنتين فاظهر اقتداراً وحسن ادارة بدرجة جعلت والده السلطان تيمور يستقيل ليتقلد ولي عهده فى حياته السلطنة فجلس على العرش في احتفال مهيب كان البارونى حاضراً فيه في شهر شوال سنة ١٣٥٠ هـ

وقدم له البيعة اكبر امراء العائلة اولا وهم عمه الامير نادر ثم عمه الامير احمد ، ثم بقية الامراء فالعلماء فاكابر العاصمة ومن حضر من الرؤساء واطلقت المدافع من القلاع ، وخطب خطبة تعهد فيها بمحافظته على استقلال بلاده التام مع مراعاة معاهدات اسلافه مع الدول والمحافظة على صداقتهن خصوصا بريطانيا

وفى اليوم التالي جاء قنصل بريطانيا وقدم له التهنئة باسم دولته في احتفال رسمي . ولا يوجد الآن في مسقط من القناصل غيره لأن فرانسا وامريكا الغتا قنصليتها قبل الحرب الكبرى لعدم وجود رعايا لهما في مسقط .

التقرب بين السلطان والامام

وقد قرب الزعيم البارونى بين السلطان المستقيل والامام حتى اصبحا يتبادلان الرسائل بدون واسطة . رغما عن عدم اعتراف السلطان بالامامة الجديدة . والبارونى صديقهما معا ومؤتمن في نصائحه عند الجميع (١)

(١) قلت يتأمل فى هذا فان الواقع يفيد ان عظمة سلطان مسقط يعترف بسيادة الامام كما تصرح بذلك معاهدة « السيب » المنعقدة بين الطرفين فى بلدة « السيب » سنة ١٩٢٠ ، وقد امضاها من طرف السلطان المستر « وينجت » قنصل الانكليز فى مسقط ، وقد اتفق فيها الطرفان على المواد الآتية كما سبقت

ومملكة عمان المشتملة على امامة وسلطنة وبعض مناطق ممتازة واسعة جدا كثيرة السواحل .

يحدها على سبيل التقريب من الشمال والشرق والجنوب البحر ومن الغرب الربع الخالي ، وتمتد جنوبا الى حدود مملكة حضرموت وشمالا الى حدود قطر المجاور للبحرين .

ولايات الساحل وولايات الداخل

اما ولايات الساحل مع المناطق الممتازة فهي ظفار المجاورة لحضرموت ، وللسلطان عناية بها . وصور مركز ولاية جعلان وهى مرسى كبير للمراكب الشراعية الكبيرة التى تسافر الى شواطيء الهند والبصرة واليمن والزنجبار وغيرها .

وقريات ومسقط وهي العاصمة ومرساها مطرح والسيب والبركة والسولق والمصنعة والخابورة وصحار وشناص ولوي والفجيرة وخصب والشارقة ودبى وابو ضبى وقطر وغيرها .

الاشارة اليها عانفا في حديث المقال :

١ – على انها معاهدة مصالحة بين طرفين مستقلين متساويين فى السيادة

٢ – على ان يتعهد كل طرف بعدم التدخل فى شئون البلد الآخر .

٣ – تحديد الضرائب على البضائع المارة بمسقط الى عمان بنسبة ٥ فى المائة

٤ – على تبادل المجرمين من بلد الى آخر (١)

ولعل هذه المعاهدة بقيت حبرا على ورق الى عهد حضور البارونى باشا فبذل جهده من جديد فى توثيق العلائق بينهما .

---

١) عن آخر ساعة المصرية الصادرة فى ٢١ ديسمبر ١٩٥٥

الاسواق التجارية

وفي كل منها اسواق عامرة بالتجارة وبعض ابنية لا باس بها على الطراز القديم ، ودوائر للحكومة يسمونها بالحصون .

ولمسقط ولاية على ساحل بلوجستان « السند » تعرف بجوادر .

واما منطقة الداخل فتمتد فى مقابلة الساحل يكتنفها الربع الخالي من جهة الجنوب الغربي والشمالي ، واشهر مدنها وولاياتها : سمائل وهي اقربها الى مسقط وبها ضريح مازن بن غضونة اول من اسلم من اهل عمان فى زمن النبيء صلى الله عليه وسلم ، اذ كان يعبد صنما فسمع نداء من خلفه بالدعوة الى الاسلام كما هو مذون فى التاريخ .

ذكر البارونى انه وقف على قبره وعلى القطعة الباقية من صنمه .

ثم ولايات نخل والمعاول والرستاق وازكى والبركة ونزوى وبهلا والحمراء والمضيبى وسمد وادم ومنح والمنترب وابرا وعبري وينقل والبريمى وتنوف — مركز الجبل الاخضر — وغيرها .

طراز الحكم

الامام فى الداخل كالسلطان في الساحل ، والشيخ فى المنطقة الممتازة هو الحاكم المطلق وفى كل ولاية وال وقاض شرعي وجند بقدر سعة الولاية له قائد اما جند نفس مسقط فنظامي ، وهم يخدمون الجندية بالفطرة ، فالاهالي بفطرتهم جنود مسلحون ، ولا يسود البلاد الا حكم الشريعة الاسلامية ، سواء في ذلك الساحل والداخل ، والحدود الشرعية تقام في منطقة الامام دون هوادة .

فالسارق تقطع يده والقاتل يقتل والزانى المحصن يرجم وغير المحصن يجلد ويجلد شارب الخمر ، اذ قد يجلب الخمر او يستعمل خفية ، ويؤدب متعاطي

ومملكة عمان المشتملة على امامة وسلطنة وبعض مناطق ممتازة واسعة جدا كثيرة السواحل .

يحدها على سبيل التقريب من الشمال والشرق والجنوب البحر ومن الغرب الربع الخالي ، وتمتد جنوبا الى حدود مملكة حضرموت وشمالا الى حدود قطر المجاور للبحرين .

ولايات الساحل وولايات الداخل

اما ولايات الساحل مع المناطق الممتازة فهي ظفار المجاورة لحضرموت ، والسلطان عناية بها . وصور مركز ولاية جعلان وهى مرسى كبير للمراكب الشراعية الكبيرة التى تسافر الى شواطيء الهند والبصرة واليمن والزنجبار وغيرها .

وقريات ومسقط وهي العاصمة ومرساها مطرح والسيب والبركة والسولق والمصنعة والخابورة وصحار وشناص ولوي والفجيرة وخصب والشارقة ودبى وابو ضبى وقطر وغيرها .

الاشارة اليها عانفا في حديث المقال :

١ – على انها معاهدة مصالحة بين طرفين مستقلين متساويين فى السيادة

٢ – على ان يتعهد كل طرف بعدم التدخل فى شئون البلد الآخر .

٣ – تحديد الضرائب على البضائع المارة بمسقط الى عمان بنسبة ٥ فى المائة

٤ – على تبادل المجرمين من بلد الى آخر (١)

ولعل هذه المعاهدة بقيت حبرا على ورق الى عهد حضور البارونى باشا فبذل جهده من جديد فى توثيق العلائق بينهما .

---

١) عن آخر ساعة المصرية الصادرة فى ٢١ ديسمبر ١٩٥٥

الاسواق التجارية

وفي كل منها اسواق عامرة بالتجارة وبعض ابنية لا باس بها على الطراز القديم ، ودوائر للحكومة يسمونها بالحصون .

ولمسقط ولاية على ساحل بلوجستان « السند » تعرف بجوادر .

واما منطقة الداخل فتمتد فى مقابلة الساحل يكتنفها الربع الخالي من جهة الجنوب الغربي والشمالي ، واشهر مدنها وولاياتها : سمائل وهي اقربها الى مسقط وبها ضريح مازن بن غضونة اول من اسلم من اهل عمان فى زمن النبيء صلى الله عليه وسلم ، اذ كان يعبد صنما فسمع نداء من خلفه بالدعوة الى الاسلام كما هو مذون فى التاريخ .

ذكر البارونى انه وقف على قبره وعلى القطعة الباقية من صنمه .

ثم ولايات نخل والمعاول والرستاق وازكى والبركة ونزوى وبهلا والحمراء والمضيبى وسمد وادم ومنح والمنترب وابرا وعبري وينقل والبريمى وتنوف – مركز الجبل الاخضر – وغيرها .

طراز الحكم

الامام فى الداخل كالسلطان في الساحل ، والشيخ فى المنطقة الممتازة هو الحاكم المطلق وفى كل ولاية وال وقاض شرعي وجند بقدر سعة الولاية له قائد اما جند نفس مسقط فنظامي ، وهم يخدمون الجندية بالفطرة ، فالاهالي بفطرتهم جنود مسلحون ، ولا يسود البلاد الا حكم الشريعة الاسلامية ، سواء في ذلك الساحل والداخل ، والحدود الشرعية تقام في منطقة الامام دون هوادة .

فالسارق تقطع يده والقاتل يقتل والزانى المحصن يرجم وغير المحصن يجلد ويجلد شارب الخمر ، اذ قد يجلب الخمر او يستعمل خفية ، ويؤدب متعاطي

الدخان وهو لا يباع الا سرا او بواسطة الغرباء من بلوجستان يهربونه من منطقة مسقط ، ولذلك قلت الوقائع جدا ، وفي مسقط محكمة عدلية هي فى الحقيقة محكمة تجارية يتحاكم امامها التجار سواء في ذلك رعايا السلطان ورعايا الانكليز من الهنود المسلمين والمجوس وهم قليلون وقد يراجعون في اختلافاتهم الخصوصية قنصلهم فيفصل بينهم .

البلاد تعيش بالضرائب الشرعية فقط

الجندية الفطرية — محصولات البلاد ومعادنها

اموال البلاد

اما واردات البلاد ساحلا وداخلا فهى من الزكاة ، فيستوفي السلطان والامام زكاة المزروعات وثمرة النخيل وزكاة المواشي وزكاة عروض التجارة وزكاة حلي النساء وزكاة النقود ، وهناك اجرة دكاكين اكثر الاسواق لانها اميرية ، وهناك بساتين النخيل الاميرية وهي كثيرة فى منطقة الامام تباع ثمارها بالجملة بواسطة المناداة العلنية ، وهناك اوقاف كثيرة ايضا بعضها عائد الى بيت المال والبعض الى مراجعها المتنوعة، وبعضها للمدارس والمساجد والفقراء ولتعمير الطرق وتداوى المجذومين وعابر السبيل وغير ذلك .

وللجميع جباة يجدد تعينهم كل سنة ، والاهالي يسلمون ما لا تصل الجباة الى احصائه بطيبة خاطر .

السكان والجندية

ويقدر سكان المملكة كلها بما فيه المناطق الممتازة بمليون ونصف كما جاء في كتب الجغرافية ، ولكن الزعيم البارونى يعتقد ان عدد النفوس اكثر من ذلك والامن يسود البلاد كلها رغما عن انها مسلحة تسليحا تاما ، فالاهلون من

ابن سبع سنين الى ابن الثمانين مسلحون . وكانوا يحملون السلاح العثمانى القديم وقد اخذوا يستبدلونه بالموزر المعدل وبالانكليزي .

النفير العام

واذا نشب الحرب فعلى كل قبيلة ان تقدم للامام او للسلطان عددا معلوما من الجنود ليقاتلوا بين يديه .

ولدى اكثر القبائل بعض اصطلاحات خاصة للانفاق على رجالها الى ان يصلوا الى الامام او السلطان فيرتب لهم نفقات خاصة من خزانته .

واردات السلطان اوفر لان بيده فرض الساحل « الجمارك » زيادة عن الزكاة ، وهذه تكون واردا كبيرا .

محصولات البلاد

واكثر حاصلات البلاد من تمر النخيل وهى تصدره الى الخارج ، ومن اصنافه المختصة بها « المبسلى » وهو يرسل الى الهند ولا يبقى منه فى البلاد شيء ويعده الهنود طرفة يتفاخرون بتقديمها على موائدهم خصوصا ايام الاعياد والمواسم و« الفرض » وهذا يصدر كله الى امريكا على بواخر تاتي حاملة صناديق فارغة على احجام متفاوتة فيملؤها عمال الشركة فى مسقط وتحمل الى امريكا ، والنوعان تزداد قيمتهما سنة فسنة .

وبقية انواع التمر تصدر الى حضرموت واليمن وغيرها .

وتصدر البلاد الليمون الحامض الى العراق والعجم وغيرها والرمان الى الهند وهو افخر رمان عرفه العالم الزراعي وتكثر اشجاره في الجبل الاخضر ، كما تصدر الجوز والسمن والجلد وانواعا من السمك الكبير الى الاقطار الشرقية .

اما السمك الصغير جداً فتشحن منه بواخر كثيرة الى جرمانيا ويقال انهم

يستعملونه سماداً . وفيها العسل بكثرة وتزرع فيها الحبوب على مختلف انواعها لتأمين حاجة البلاد والفواكه كلها موجودة بكثرة ما عدا السفرجل ويكثر فيها شجر « العنبا العظيم »

ويزرع فيها قصب السكر ، وهناك يعصر بمعاصر على الطراز القديم وقد بدأوا بجلب المعاصر الاروبية ويزرع فيها القطن الابيض والاحمر .

والبلاد مملوءة انوالا للنسيج وتصدر منسوجاتها الزائدة من العمائم والازر وغيرها الى الزنجبار وشرقي افريقيا وغيرها .

المعادن

وبلاد عمان غنية في معادنها الا ان هذه المعادن لاتستثمر الآن لأن الاهلين حتى قبل ان يؤسسوا الامامة الحاضرة كانوا يحاذرون مغبة دخول الاجانب فضلا عن تمكن الاجنبي من شيء من امورهم أذ يسمعون ما يجرى في الاقطار الاسلامية المستعمرة من الأمور التى تجعلهم يرجحون ان يبقوا على ما هم عليه من التأخر المادي والمعنوي ولا يتقربوا من الاجنبي مطلقا حتى ولا من الشركات والمصارف « البنوك » الاجنبية الى ان يتيسر لهم العمل بانفسهم وباموالهم لأن الاموال الاجنبية ما دخلت ارضا الا وملكتها واستعبدت اهلها ومزقت شملهم .

هكذا يعتقدون ولا تخلوا البلاد من وجود نفط فيها وخصوصا فى المنطقة الساحلية .

هذا ما قاله الاستاذ الباروني والذي علمته اخيراً ان البلاد لم تمنح امتيازات ما لاستثمار شيء من المعادن او للتحري على البترول حتى فى ادوار الضعف التي مرت عليها واثناء خلافاتها الداخلية .

جواسيس الاجانب وحيلهم الشيطانية

الجدب الغريب — العرب وكيف يستنبطون المياه

وقد قدر لاهالي عمان فى السنين السابقة ان يؤخذوا من قبل بعض المسلمين الذين ظهر اخيراً انهم جواسيس بل ان بعض غير المسلمين جاء وهم بقيافات عربية واسماء مسلمة يجيدون قراءة القرءان وينتسبون للاقطار العربية البعيدة فاحترموهم وقربوهم ثم بعد خروجهم تبين لهم انهم غير مسلمين .

حيلة جاسوس

ومن جملة الجواسيس واحد اتصل بالمرحوم الامام سالم في اول الحرب الكبرى بصفته مهاجرا فأحسن وفادته وقربه واحترمه لغربته وأدبه .

ولما اطمأن سأل الامام قائلا : ما رأيكم في هذه الحرب العامة ؟ وفي الدولة العثمانية ؟

فقال له : لو نجد طريقا الى الاتصال بها ، ولو كانت تمدنا بالسلاح لزحفنا بجيوشنا لنصرتها ،

فقال له : اذاً فاكتب كتابا الى قائد اليمن « سعيد باشا » وانا اتعهد بايصاله اليه فكتب كتابا وسلمه له فذهب . وبعد مدة تحقق انه سلم الكتاب الى دولة اجنبية وانه جاسوس !!

ولذا فالامام اليوم لا يسمح لاي اوروبي بالدخول الى بلاده ، وابعد مكان يقدر الاوروبي ان يصله مصحوبا باحد من طرف مسقط هو بلدة « بوشر » التابعة لمسقط ، والتى تبعد عنها نحو ساعة واحدة فقط فى السيارة !

اما الغريب ولو عربيا اذا لم يكن معروفا واشتبه فيطرد او تلاحظ حركاته واقواله بدقة حتى يتحقق أمره ، ولهذا قل من تجاوز العاصمة « مسقط » من الغرباء بعد الحرب الكبرى .

المياه والانهار

والبلاد وافرة المياه العذبة والانهار الصغيرة المطردة وتسمى هذه هناك « بالافلاج » وهي كثيرة ، منها طبيعى ومنها صناعى والمدن والقرى كلها عمرت على تلك الافلاج .

مياه القرى

اما القرى الواقعة في السهل فقد استنبط اهلوها طرقا لجلب الماء اليها فى اقنية خاصة بطرق هندسية وهي كافية لزراعتهم وبساتينهم ومواشيهم

الينابيع الحارة الكبريتية

والعيون الشديدة الحرارة الى درجة الغليان كثيرة تنفجر من الجبل الاخضر وفروعه وعليها قرى كثيرة ، لانها فى غاية العذوبة اذا بردت والكبريتية منها قليلة .

مهندسو المياه

والغريب ان لهم في كل وقت أناسا اختصوا بمعرفة اماكن المياه فيأتي احدهم وينظر الى الارض مليا نظر الفاحص المدقق، ثم يعلن ان فيها مياها غزيرة او غير غزيرة ويقدر مسافة عمق المياه وكثيراً مايصيب في تقديره ويعرف هذا عندهم « بالقافر » وعلم معرفة اماكن المياه عندهم كعلم القيافة عند العرب على ما يظهر .

القيافة

والقيافة باقية عندهم الى الآن حتى ان احدهم ينظر الى اثر ناقة فيقول هذا اثر بنت الناقة الفلانية وهو لايعرفها وانما رأى امها قبل ذلك بمدة ويصدق قوله

وءاثار الري الفني من عمل العرب ظاهرة في البلاد تدل على ماكان لملوكهم وائمتهم السابقين من العناية به .

الجدب

والعجب ان البلاد مع هذا معرضة للجدب رغم ان البحر يتأخمها من امامها والغابات على الجبل الاخضر كثيرة من ورائها واشجارها كثيرة ايضا ، ولكن للجدب ناموسا خاصا ، فالبلاد حسب المتواتر تجدب بعد كل خصب طويل جدبا يمتد في بعض جهاتها احيانا الى بضع سنين .

اذ تقل الامطار فتضعف انهار كثيرة ضعفا لا تبقى معه فائدة منها فيعانى اصحابها الامرين من هذا الجدب ويضطر كثيرون منهم للهجرة من بلدانهم طلبا للرزق ، وهم يقصدون على الاكثر مملكة الزنجبار وشرقى افريقيا لوجود اقارب لهم هناك من قديم ويتوغلون فيها الى منطقة الكونغو البلجيكية فيتجرون ويشتغلون عند اقاربهم الاغنياء حتى يأذن الله بالفرج ويعودوا الى بلدانهم يعمرونها وهم يحبونها حبا جما .

ويقدر عدد الرجال الاشداء الذين لجأوا الى الزنجبار للارتزاق اثناء الجدب الذى دام نحو ثمان سنين في اكثر جهات عمان وانتهى بفضل الله فى السنة الماضية بئالاف كثيرة وقد بدأوا يعودون لتعمير بلادهم .

عناية الامام

ولذا فالامام يتساهل كثيراً فى تحصيل الزكاة مساعدة لأهالي بلاده على تعميرها والثبات فيها والاستفادة من الخصب الذى عمها في هاتين السنتين وهم يؤملون امتداد هذا الخصب حسب العادة سنين كثيرة ان شاء الله .

وقد كانوا فكروا في جلب ءالات لحفر الآبار الارتوازية لتجربتها في

الجهات التي يضربها الجدب فوصلت ءالة واحدة الى مسقط واخرى الى القابل مركز الشرقية لكنهم عطلوها مؤقتا اذ شمل البلاد خصب تام فاضت به الافلاج وأصبحوا في غني عن الآلات ،هذا كله فى المنطقة الداخلية .

اما المنطقة الساحلية فمؤسسة على الآبار والماء فيها متوفر في اكثر الاوقات الا ان راحتها وشقاءها متعلقان بخصب وجدب الداخلية لأختلاط المنطقتين فى كل شيء حتى في الانساب !!

البعثات التبشيرية وعملها السيء فى البلاد

تضحية طبيب سوري — كلمة الى الجمعيات الاسلامية

الحالة الصحية

والحالة الصحية غير حسنة ، ذلك ان الحميات كثيرة في البلاد بسبب وفرة المستنقعات حول مسقط ومطرح وفى بعض الاودية الداخلية ، ولفقدان الادوية والاطباء ، ولدى الاهلين اشخاص يطببونهم على القواعد القديمة ، وكثيراً ما يستعملون الكي بالنار ، ولذلك عانى الزعيم البارونى وعائلته كثيراً من ءالام الملاريا حتى اشرفوا على الهلاك واضطرت عائلته للانتقال الى بغداد .

تضحية طبيب سورى شريف

والبلاد لم يدخلها طبيب حذق الطب الحديث لحذرهم من الاجنبى كما قلنا الا واحداً مات ضحية حبه لخدمة الانسانية قبل ان يقوم فيها باي عمل كان .

وهذا الرجل الفذ الذي يجب ان يعد شهيد الفن والواجب هو الدكتور بشير فؤاد الجمال سوري الاصل تعلم فى المدارس العثمانية وءاثر العمل فى سبيل خدمة قومه على كل شيء . فكان اول طبيب هبط طرابلس الغرب اول حربها مع الطليان ١٩١١ واول من ضمد جراح مجاهدي واقعة « الهاني »

الشهيرة ، وبقي يقوم بواجبه الى ان سلمت الحكومة العثمانية فعاد الى الاستانة ولما اعلنت الحرب العامة التحق بالزعيم البارونى في طرابلس عن طريق مصر وبنى غازي فعينه رئيسا للصحة مدة الحرب الكبرى

واخيراً بلغه ان البارونى في عمان فقرر الالتحاق به ووصل مسقط واشتدت به حمى الملاريا التى جاء بها من البصرة حسب الظن فأدخل المستشفى السلطاني في مسقط ، ثم اتصل بالبارونى في سمائل فاستبشر به وسر الدكتور بالبناية الضخمة التى بناها البارونى على ان تكون مدرسة عصرية واتفق معه على انشاء مستشفى والقاء دروس صحية في المدرسة ليلا وقرر الاقامة في البلاد فأعفى لحيته وترك استعمال الدخان اقتداء باهل البلاد وحافظ على الصلاة ، لكن الحمى اشتدت عليه ولم تفده الادوية التى اتى بها معه لمكافحتها ولم يمض اسبوعان حتى حصل له خبال وصار يكرر قوله « قد ساقني الله الى هنا لأدفن في ارض اسلامية لا اجنبي فيها » الى غير ذلك فكلف البارونى من خواصه من قام بشئونه وكان يسهر الليل كله بجانبه الى ان توفاه الله ، فاختار لدفنه مقبرة ءال الامام القريبة من المدرسة اكراما له . وكان لوفاته تاثير كبير على البارونى وعلى اصدقائه .

الطب والتبشير

في مسقط ارسالية انجيلية امريكانية اسست مستشفى منتظما على النمط العصري فيه قسم للنساء يتم قريبا واخذت باسم خدمة الانسانية تداوي مجانا وتعطي الادوية مجانا ولديها اساتذة ماهرون في الجراحة وهي في الحقيقة تخدم التبشير الا انها لم تؤثر شيئا حتى اليوم ، وقد توسلت بشتى الوسائل للدخول الى داخل البلاد فلم تنجح .

لكن الامام بناء على الحاح الكثيرين وشفقة على الفقراء الذين يتكبدون

مشقة كبيرة فى سبيل الوصول الى مسقط للتداوى سمح مرة للبعثة ان تاتي مؤقتا الى سمائل التي هي اقرب المدن الداخلية الى مسقط كما روينا فوصلتها ومعها قافلة كبيرة تحمل صناديق مشحونة بالآلات والادوية والكتب وقدمت الحكومة لها محلا مناسبا لتأمين غايتها وكثر الواردون عليها للتداوى ، لكنها لم تقم بواجبها الانسانى اكثر من بضعة ايام ثم بدأت مهمتها التبشيرية واخذ الطبيب يجمع المرضى ويدخل عليهم القسيس الذي معه وهو عربى فيدعو بان يرفع الله رأية المسيح على ربوع هذه البلاد وان ينصر اتباعه ويقهر اعداءه ، ثم يطلب من الاهلين السذج ان يؤمنوا على دعائه قبل ان يباشر مداواتهم ، وهم لا يفهمون من دعائه شيئا .

ثم وزع عليهم رسائل تتضمن الدعوة الى الدين المسيحي فبلغ الخبر الى الباروني فى مكانه وهو مريض بالملاريا فكتب الى الامام وهو فى نزوى يطلب منه الامر باخراج البعثة من البلاد باسرع ما يمكن ، واخبره بما جرى فصدر الامر بذلك مع رسول خاص واحضرت الحكومة للبعثة الابل الكافية لحمل اثقالها وعادت الى مسقط في ذلك اليوم .

وبعد مدة كتب الباروني الى رئيس المستشفى كتابا قال له فيه : « انه يمكن ان يقنع الامام فيأذن برجوعه الى سمائل ويقدر له اجرة معتدلة بالنسبة للغني والمتوسط والفقير على شرط ان لا يستصحب معه مبشراً وان لا يشتغل بالسياسة والدين . »

فاجاب الرئيس بما خلاصته :

« انهم انما جاءوا من امريكا لخدمة الانسانية ومداواة المرضى مجانا لا باجرة على شرط (التبشير) لانه دعوة الى الحق لا يتنازلون عنها ، والاموال التي تنفق عليهم انما خصصت لذلك السبيل . »

ومن ذلك اليوم منعت البعثة من الدخول بتاتا ، فليتأمل اغنياء المسلمين وجمعياتهم وعلماؤهم فى هذا الجواب .

وحبذا لو اهتمت الجمعيات الخيرية الاسلامية فاوفدت بعثات طبية نزيهة على عهدتها الى اطراف جزيرة العرب الخالية من الاطباء الوطنيين كعمان وحضرموت ومدن الخليج المصابه بالبعثات التبشيرية ليخدم هؤلاء الفن والانسانية والعرب والدين ولتخف وطأة الامراض الفتاكة عن تلك البلاد ولتغنيهم البعثات الطبية الاسلامية عن البعثات التبشيرية ولو مؤقتا ، فان صرف الاموال فى هذا السبيل اعظم فائدة من صرفه على بعثات التبشيربالاسلام في اوروبا والصين مثلا.

حول مناورات الانكليز نحو عمان

ايضاح

نشرت جريدة « العالم العربي » الصادرة في ٢٩ ديصامبر ١٩٣٢ فصلا قيما للباروني باشا تحت العنوان اعلاه كشف فيه الغطاء عن بعض مناورات ودسائس الانقليز في بعض بلاد عمان ، وتعميما للفائدة نسجله هنا ، وهذا نصه ، قال :

. . . قد اطلعت على نبذة من رسالة (ابران) جاءت فى « العالم العربي » عدد ٢٦٥٧ ، وتعجبت من تسمية المراسل الشارجة « الشارقة » بالمدينة ، ومن تلقيبه شيخها بالسلطان !!

لان الشارقة عبارة عن بلدة صغيرة لا تبعد عن مدينة دبي الشهيرة باسواقها العامرة ولؤلؤها الفاخر اكثر من نصف ساعة ، واما رئيسها فشيخ قبيلة صغيرة بالنسبة لقبائل دبي العظيمة . والمفهوم ان المراسل ترجم ذلك عن عبارة اجنبية ، ولا غرابة لأن السياسة قد تصور الحبة جبلا لمآرب خاصة .

وقد استغربت جدا ما ذكره المراسل من اتفاق قنصل بريطانيا مع ذلك

الشيخ على المواد التي ذكرها ومن رفع الراية الانكليزية على بعض الثغور هناك الأمر الذي يجعل تلك القرية وتلك الثغور مستعمرة انكليزية في مملكة عمان العربية ، واصحاب الشأن في عمان لا يتوقعون ذلك ايام كنت هناك ، لأنهم لا يتصورون ان تقصد بريطانيا استعمار بلادهم المستقلة منذ الف وثلاثمائة سنة فى الوقت الذي تحرر فيه البلاد المستعبدة من مئات السنين .

نعم شاع قبل سنتين ان قنصل بريطانيا فى الخليج يخاطب بعض مشائخ سواحل عمان الشمالية ومنهم هذا الشيخ على انشاء محطة للطيارات حتى انه على ما قيل هدد بعضهم ، ومنى بعضهم بامانى كبيرة وتوسط ببعض رؤساء العرب من خارج عمان ولم يفلح ، ولا نعلم الشيء الذي أخضع هذا الشيخ اليوم !

وبما ان الاعتراض كان منتظراً من عظمة سلطان مسقط السيد « تيمور » اذ ذاك وقف اهل الرأي في دواخل عمان ينتظرون ، ولما تحققوا ان السلطان لم يتكلم لأسباب جهلوها او تكلم ولم يؤثر كلامه ارسل عظمة الامام ابي عبد الله الخليلي بواسطة امير الشرقية الشيخ عيسى بن صالح احتجاجا الى قنصل بريطانيا في مسقط بين له فيه : « ان مخاطبة القنصل للمشائخ مباشرة وفي البلاد دولة مخالف للاصول ، وان الامة العمانية تعتبر بلادها كتلة واحدة لا تتجزأ كما هي عليه منذ عرفت (من قطر المجاور للبحرين الى ظفار المجاور لحضرموت) وان الامة العمانية لا تعترف باتفاق ما من شيخ عماني مع دولة اجنبية مطلقا ولا تقبل في داخل حدودها المذكورة راية غير الراية العمانية ابدا ، وان كل حركة تصدر من القنصل او غيره في هذا السبيل تعتبره الامة العمانية تعديا على حقوقها وتصديا للاخلال باستقلالها التام الذى حافظت عليه الى اليوم وستحافظ عليه الى النهاية » اه

هذا مثال الاحتجاج على ما بلغني .

وقد اجاب عليه القنصل واجيب فسكت ، فاذا صح ما قاله مراسلكم دل على ان بريطانيا عازمة على ان تحدث فى عمان مناطق محمية تنتحل لها القاب سلاطين كالتى احدثتها في اليمن وجعلتها فى جدال مستمر ، مع عظمة الامام يحيى وعلى اتخاذ الخليج الفارسي بحيرة خاصة بها كبحر مرمرة عند الدولة العثمانية سابقا اذ امدت يدها الى رءوس الجبال وقبضت على مضيق هرمز ولم تعارضها دولة فارس (١) او انها شكت فى تمركزها في البحرين بعد ان طالبتها بها دولة فارس فاستسهلت عمان العربية المسالمة لها .

ولا شك في ان هذا العمل يضر — اولا — بتجارة دبى بل يقتلها وتليها مدينة صحار عاصمة عمان القديمة لقربها منها ثم تلحقهما مسقط العاصمة الحالية بافلاس فرضها (جمار كها) اذا اصبحت البضائع تساق الى دواخل عمان من المدينة الجديدة (الشارجة) التى ستكون المرسى الوحيد للبواخر الانكليزية . الا اذ تشكلت شركة بواخر عربية (٢) او فارسية او مشتركة وزاحمت بواخر الشركة الانكليزية المستغلة الى اليوم بنقل الركاب والبضائع بين مدن الخليج وبين الهند والبصرة فربما يهون الامر .

وعلى كل حال قد فتحت بريطانيا على نفسها بهذا العمل باب نفور عظيم من العمانيين الذين كانوا ينظرون اليها بنظر الصديق .

وان كانوا لا يجهلون انها هى التي جردتهم من ممالكهم وولاياتهم الخارجية التى كانت في ايديهم على سواحل فارس والسند والهند وجزر البحر العربي والبحر الهندي وجزائر الزنجبار وممباسة والخضراء وسواحل شرقي افريقيا وغيرها لكنهم لا يظنون انها تتجاوز الى مهاجمتهم في قعر دارهم وتمزيق جسم

---

١) نشطت دولة فارس في هذه المدة لمعارضة نفوذ بريطانيا في الخليج والخلاف مستحكم

٢) تشكلت في هذه المدة جمعية فى البصرة لشراء بواخر تزاحم البواخر الانكليزية فى الخليج ويقال بان فى فارس من يروج مثل هذه الفكرة ايضا .

البارونى

عمان نفسه ، وقد كانوا الى اليوم يتحاشون الاتصال بل التعرف بالدول الاجنبية الاخرى ، ولا يرغبون الآ فى العمولات الانكليزية حتى انه وصلت على ما بلغني قبل سنة باخرة المانية ثم باخرة روسية هذه الجهات تحملان بضائع رخيصة جداً وطافتا بالثغور العمانية الى دبى ولم يشتر التجار منهما شيئا فعادتا كما جاءتا ، كل ذلك ارضاء لبريطانيا الصديقة ،

وقد التزمت عمان الحياد التام في الحرب العظمى مع امكان استمدادها واتصالها بالجيش العثماني التركي الذى كان فى الحسا او الذي كان فى اليمن على طريق البر بكل سهولة ، بل ان عظمة سلطان مسقط السيد « تيمور » المتعاني هو واسرته في صداقة بريطانيا تساهل فاباح لها ان تتخذ بجوار مسقط محطة لجيوشها ومرسى لمراكبها المستخدمة من الهند والبصرة مدة الحرب العظمي كلها رغما عن انكار العثمانيين عليه ذلك !

هذا ما كان عليه العمانيون من قبل . اما بعد هذا الحادث الجلل ـ حادث الشارجة ـ فالله اعلم بما سيكونون عليه تجاه بريطانيا صديقتهم .

انما الذي أعلمه هو انه لما شاع سابقا عزم بريطانيا على سلخ الجزء الشمالي من عمان وتمليكه لأجنبي باسم ملك ، قام ارباب النفوذ والفكر فى اكثر جهات عمان يسعون لتكوين حزب باسم « حزب الاتحاد العمانى » للتوفيق بين الامامة والسلطنة وتوحيد المملكة كلها من قطر الى ظفار مع المحافظة على بعض امتيازات لبعض مواقع لأهميتها .

ولا بد ان يتقوى هذا السعى وينجح بسهولة بعد هذا الحادث .

وستكشف الايام ما خبأه القدر لهذا القطر العربي الاسلامي المحض الهادىء المشمول بالامن الذي لا نظير له باجراء احكام العدل فيه .

نزيل بغداد

سليمان الباروني

قلت : — لقد كشفت الايام يا سعادة الباشا فتغلغل النفوذ الانكليزي ببخور « البترول » في امارات الخليج واستفحل تآمره بالاخوين اللذين كرست حياتك على جمعها وتوحيد كلمتهما — الامام والسلطان — فجعل منهما اعداء يقاتل احدهما الآخر ، فبعد ان اثارها شعواء في اواخر سنة ١٩٥٥ فى واحة « البريمي » على اميرها « صقر بن سلطان ءال حمود » فاحتل واحته أثارها على الامام « غالب بن على » على الأثر فاحتل عاصمته « نزوى » فانزوى الامام وحاشيته وتسللوا الى رءوس الجبال لا فراراً من الزحف ولكن تحرفا لقتال وتحيزا الى فيئة وعلى الباغي تدور الدوائر .

وهكذا برزت رءوس الاستعمار البريطاني في شكل أفضع منذ ٢٥ جوليت سنة ١٩٥٧ ، فرغما عن تعهد السلطان السيد سعيد بن تيمور في حفلة التتويج فى شوال سنة ١٣٥٠ ، اذ التزم امام المحتفلين به وبمحضر سعادة الباشا نفسه بانه سيحافظ على استقلال بلاده التام ، ورغما عن معاهدة « السيب » الآنفة الذكر التى تعترف باستقلال الامام فان السلطان سعيد استشار على اخيه الامام غالب بن علي قوى الانكليز الجوية والبرية والبحرية ، فسرعان ما أخذت تدك حصون « نزوى » التاريخية دكا على رءوس حماته الابطال فأخذت تخرب البلاد وتقتل العباد ، ولكن مع الاسف باسم ابناء البلاد وبقوى البلاد وما ذلك الا لمجرد مطالبة الاحرار باستقلال بلادهم . وقد شاهد العالم فى هذه الكارثة كيف يتجنى الاستعمار البريطاني على العروبة والاسلام باسم ابنائهما . الا فليشهد العالم هذا التجني الغادر . الا فليحضر سعادة الباشا البصير بالامور والمؤمن بنور الله يبصر ، وليشهد كيف تتحقق تنبوءاته فى بلاد ذهب ضحية انقاذها ، فرحمه الله رحمة واسعة .

مـــاذا يعاني البـارونى باشا

من الآلام والاسقام فى عمان ؟

عهدنا بالبارونى باشا انه كان ممن متعه الله بنعمة الصحة وسلامة البنية واعتدال المزاج ، وقد مر بنا انه في اثناء حروبه من ١٩١١ الى ١٩١٩ كم تحمل من متاعب وعانى من مشاق والتذ بشظف العيش وسار فى الهاجرة فى القيظ والحر وسرى فى الليل في البرد والقر ، فلم يشك ألما يذكر ولم يثن عزمه شيء من ذلك اصلا ، الى ان دخل عمان وهو مغتبط بالاستقبالات الفخمة التى قابلته بها عمان حكومة وشعبا ، تحدو به ءامال فسيحة وتحلق به مطامح واسعة .

لكنه لم يمر عليه نحو شهرين هناك حتى أخذ الالم يساوره ، واصبح فى حاجة الى تبديل الهواء .

فان نزوله بعمان كان فى اوائل محرم سنة ١٣٤٣ وسياحته الاولى من مسقط الى دواخل عمان لتبديل الهواء ابتدأت في اواخر صفر ١٣٤٣ ، نعم لتبديل الهواء ولكن الى اشد .

فمنذ ذلك الحين أخذ يتقلب في جمرات حمى الملاريا ، وهى تغالبه وهو يغالبها تارة يطفو وتارة يرسب بها حسب مغالبتها قوة وضعفا ، وجسمه الضعيف بين عاملين : قوة عزمانه وبعد مراميه تنهض به وقوة امراضه واسقامه تقعد به ، وهو اما في الفراش واما على الحصان !

وهنا يتجلى للاخ الملاحظ مبلغ صبره وقوة احتماله واين يظهر مبلغ الصبر وقوة الاحتمال ممن لم يمتحن ويبتل امتحان البارونى وابتلاء البارونى .

وهكذا على قدر العزائم والهمم يكون الامتحان ويكون الابتلاء !

فلقد استمرت به الاسقام هكذا منذ اوائل ١٣٤٣ الى ان اختاره الله اليه في اوائل ١٣٥٩ — اي نحو ١٦ سنة — .

واذا نظرنا الى فتك حمى الملاريا بالدكتور فؤاد بشير في سمائل فى شهره الاول منذ دخوله عمان وهو طبيب ، فانا نرى كم غالب البارونى باشا حمى الملاريا الى حد بعيد مدة نحو ١٦ سنة . ومن هذا ندرك كم كان للبارونى باشا من حصانة فى صحته وبسطة في جسمه . ورغما عن هذا كله فقد هد الالم قوته فى النهاية ، ولكل اجل كتاب .

لقد مر بنا خلال بعض رسائله ما يشعرنا بظهور ذلك الخطر يحوم حوله من حين لآخر .

ولكننا لأجل استجلاء ذلك الخطر على صورته كما هي ولاجل استكناه مبلغ صبره منه وقوة ايمانه بقضاء الله واستسلام امره اليه تعالى ، رغم مضايقات دول الحلفاء له دون دخول احدى البلاد التى تحت نفوذها لتبديل الهواء نورد نماذج من ذلك من رسائله في هذا الشأن فيما يأتي :

١ — رسالة منه الينا مؤرخة فى ١٤ صفر ١٣٤٣ ، وهذا نصها :

حمداً وصلاة — اخوان الصفا ، سلاما واحتراما

مرضت نحو ١٠ ايام بلغت فيها درجة الهلاك ثم زال الضرر والباس بفضل الله وانى متدرج في العافية ، وبعد اسبوع اتوجه الى الجبل الاخضر فى عمان حيث الهواء النقى والانهار العذبة المتدفقة من رءوس الجبال والحدائق الغناء والفواكه الطيبة وهو من اعلى جبال الدنيا ارتفاعه نحو ٩٠٠٠ قدم وفي سفحه مدينة نزوى مركز الامام . ودمتم لأخيكم : سليمان البارونى

١ — مكرر٢ — رسالة منه الى المرحوم الحاج عمر العنق مؤرخة فى ١ جمادى الثانية ١٣٤٣ من النابل - عمان ، وهذا نص محل الحاجة منها هنا :

منذ وصلت النابل أعني شهرين وانا ملازم الفراش ولمدة ٧ ايام حصل الشفاء والحمد لله ، ولكننى بقيت عظما وجلداً ومتى قدرت على الركوب رجعت الى

مسقط لمقابلة جلالة السلطان لأنه رجع من الهند ثم أعود الى الجبل الاخضر لطلب اميره وجماعته بالحاح . ودمتم لأخيكم سليمان الباروني

١ — مكرر٣ — رسالة منه مؤرخة في ١٤ جمادى الثانية ١٣٤٣ الى الاخ المرحوم الحاج عمر العنق تفيد ظهور الخطر المهدد لصحته ، وهذا نص محل الحاجة منها :

. . . شرفني كتابك المؤرخ فى ١١ ربيع الثاني وادخل علي سروراً كبيراً بارك الله فيك وشفاك .

وأنى قد لازمت الفراش ٥٥ يوما ثم ١٠ ايام والآن في عافية الا انى لا أطيق الركوب للرجوع الى مسقط لملاقاة عظمة السلطان فقد ورد الي منه جواب امس في وصوله من الهند ، ومتى حصلت القوة على الركوب توجهت ان شاء الله

الامير عيسى بن صالح وانجاله والاستاذ الشيخ سعيد الكندي يهدونك والاخوان اوفر التحية . لا تقطع المكاتبة . ودم سالما لأخيك : سليمان الباروني

٢ — رسالة منه اليه من بغداد مؤرخة فى ٢٦ محرم ١٣٤٨ ، وهذا نص محل الحاجة منها :

اما بعد فانى بخير وصلت البحرين والبصرة ثم بغداد . سيفحص كيمياوي المستشفى الملوكي اليوم دمى ليتحقق العلة (وما هي الا الملاريا والطحال) وغداً اباشر استعمال الدواء ، اما صحتى بعد خروجي من مسقط ففي تقدم سريع . وكانني اليوم ما بى شيء ولا مرضت والحمد لله (لله هواء وحر عمان ما أشدهما واقساهما على الغريب)

والله انى اذا افتكرت انى سأعود الى عمان اندهش وكأنى ارى نفسي قادما على يوم المحشر لما كنت اقاسيه من ألم مستمر وتقهقر فى صحتي يوما فيوما وعدم تلذذي بأي شيء من اكل وشرب ونوم .

اما الآن فأجد والحمد لله كل شيء لذيذاً ، انما هناك الانس والطمأنينة ولذة الاجتماع بالاخوان الخلص والتعاون بل والجدال معهم في كل وقت على الاصلاح ، وفي ذلك لذة اخرى تنسيني الألم وكل تعب ، وقد جاءتني الرسل الخصوصية من الرؤساء واطراف عمان ومن حضرة الامام والاستاذ الكندي قاضيه والشيخ عيسى يعترضون علي سفري خوفا من التعطيل وقطع الطريق عني لكن الرسل وجدتني فى غمرة من المرض وحالة حملتهم على قبول عذري ولزوم سفري للتداوي والتخلص باذن الله من هذا الداء الملازم . الخ

من اخيكم : سليمان الباروني

٢ مكرر — رسالة منه الينا معا مؤرخة فى ١٩ ربيع الاول ١٣٤٨ صادرة من بغداد ، وهذا نص الحاجة منها :

قدمت اليكم مع البريد الجوى كتابا باسم السيد الحاج عمر لاني لا أعرف العنوان الجديد للاستاذ بعد تعطيل الوادي ، ارجو انه وصلكم . وقد عادت الي صحتي والحمد لله الا ان الاطباء حذرونى من الرجوع الى مسقط وعمان ، ولكنى سأتذرع بالادوية واستصحب المقدار الكافى منها توقيا من رجوع الداء والله الواقي ، وأعود بعد ١٠ ايام على الاكثر . فان دامت لي هذه الصحة بقيت لاتمام ما انا بصدده وأن ظهر شيء من امارات الداء بادرت بالخروج .

سلامي الى الاخوان كافة . ودمتم فى رعاية الله ، وليكن جوابكم الي مع البريد الجوي الى مسقط .

من اخيكم سليمان الباروني

٣ — رسالة الى الاخ المرحوم الحاج عمر العنق بتاريخ ٢٨ ربيع الثانى ١٣٤٨ تفيد رجوعه من بغداد الى عمان وهذا نص الحاجة منها :

أحرر هذا والسيارة واقفة لاقصد الباخرة المتوجهة الى مسقط ، صحتي الآن فى غاية ما يرام والحمد لله ، وسأنظر هذه المرة فاما الاقامة الدائمة في عمان

اذا دامت صحتي ، واما هجرها بتاتاً اذا عاد ما كان بى ، قدر الله الخير . الخ

البصرة سليمان البارونى

٤ — رسالة منه الينا بتاريخ ٢٥ جمادى الثانية ١٣٤٨ من سمائل تفيد وصوله اليها من بغداد ومعاودته مرضه وهذا نصها :

رجعت الى سمائل من بغداد مخالفا نصيحة الاطباء في عدم الرجوع اليها الا بعد مدة فبعد وصولي بشهر ونصف عاودنى الالم المعهود بشدة قاسيت به اولا ما الله به اعلم ، ثم هان باستعمال الدواء ، وأمكنني اليوم ان اكتب اليكم هذا المختصر بتعب ، وساداوم تناول الدواء الى ان اتم اشغالي اللازمة واجدد الخروج قبل رمضان لكن الى أين ؟ لا ادري والامر لله . طردت من المغرب الى المشرق ، والآن اطرد بالملاريا من المشرق فالى أين ؟

سلامي الى الاخوان كافة مع قبول العذر . من اخيكم سليمان البارونى

٥ — رسالة منه لاخيه هذا من سمائل بتاريخ ٢٠ ربيع الثانى ١٣٥٠ تفيد تحسن صحته مدة ٣ اشهر تامة وتبشر بوصول ابنه ابراهيم اليه والتحاق عائلته اليه قريبا ونصها : بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العلامة المحنك المجاهد بقلمه ولسانه في سبيل دينه ووطنه الاخ الشيخ ... دام موفقا .

السلام عليك ورحمة الله وبركاته .

اما بعد — فانى في صحة ولله الحمد ، لم يعاودنى الالم المعهود منذ ثلاثة اشهر ، وهذه اول مرة بقيت فيها صحيحا اكثر من شهر واحد منذ ٧ سنين

وصل ابننا ابراهيم من الاسكندرية زائراً بعد ان أذنت له ايطاليا فزار العائلة فى الجبل بعد فراق دام تسع سنين والحمد لله ، وانا الآن في انتظار وصول العائلة فقد ورد منها من مدة كتاب بان ايطاليا اذنت لها في السفر

فبارحت الجبل قاصدة الينا على طريق اسكندرية وبيروت والشام وبغداد والبصرة ، نسأل الله لها السلامة وجمع الشمل الذي شتته تحكم دول الحلفاء علينا خاصة اكثر من عشر سنين ، ولله الامر من قبل ومن بعد .

سلامي الى الاصدقاء كافة . ودمتم لأخيكم : سليمان الباروني

قلت — لنلفت نظر الاخ الملاحظ الى ان البارونى باشا كان يتحمل وطأة مرض نفسه فقط على نفسه ، وفيما يلي وبعد أمد قليل واثر وصول عائلته الى عمان من الجبل وأنسه بجمع شمله هناك ، يعود فيتحمل اثقال مرضه واثقال مرضها معا فى آن واحد فيزدوج الالم وتعظم البلوى فينقلب الانس بؤسا والفرح ترحا ، وهكذا يتعاظم الابتلاء بقدر تعاظم الدرجات ، فخذ واقرأ واعتبر :

٦ — رسالة منه الى المرحوم الحاج عمر العنق مؤرخة في ١١ رجب ١٣٥٠ تفيد وصول عائلته اليه وما قاساه اوان وصولها من المتاعب والمشاق . وهذا نصها

... وصلت العائلة يوم ١٢ جمادى الاولى ويوم ٢٠ قصدنا سمائل ، لكن لما بلغنا في السيارات نهاية الطريق الممهد تحركت بعض آلام على البعض واصابت الحمى بعضا فاقمنا هناك شهراً ولما بلغ البعض درجة الخطر رجعنا في سيارات الى مسقط ، وباشرت دكتورة امريكانية في العلاج فشفي البعض من يومين والباقون تحت التداوي وقد زال الخطر وصحة الجميع فى تقدم والحمد لله .

قررت اقامتهم في مسقط الى نهاية الشتاء لتوفر اسباب الراحة خصوصا من جهة المأكول والله الحافظ .

وربما أصل الى سمائل بعد اسبوع أقيم شهراً وأعود .

والسلام على الاخوان والاصدقاء وانجالك واخوتك الكرام والى الاستاذ الكامل وبقية اخوان الصفا ، ومن هنا ابراهيم ويوسف والاصحاب يسلمون واعذرنى فقد حررته والباخرة على جناح السفر بالبريد . من اخيك البارونى

٧ — رسالة منه الينا مؤرخة في ٢٧ شعبان ١٣٥٠ تفيدنا ما يقاسيه من المتاعب بامراض العائلة ، وهذا نصها :

... بلغتني كتبكم الكريمة وانى فى صحة والحمد لله ، الا ان العائلة لا تزال تحت التداوي بواسطة دكتور مسلم هندي بعد الدكتور الامريكانى والدكتورة والشافي هو الله وحالهم على العموم في تحسن بطيء .

الا ان جدة الاولاد البالغة من العمر الثمانين قد وافاها المنون يوم ٢٦ شعبان بعد مرض ايام قليلة كان يطرقها اذ كانت بالاستانة وزوارة ولم تتمتع فيها هذه المرة ادوية لانتهاء الاجل فكدرنا ذلك ولا حيلة مع القدر فسبحان من تفرد بالبقاء وقهر الخلائق بالافناء القائل في كتابه الكريم وهو اصدق القائلين « كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون » الخ والسلام

من اخيكم سليمان الباروني

٨ — رسالة منه للمرحوم الحاج عمر العنق من سمائل مؤرخة فى ٢٠ ذي الحجة ١٣٥٠ وهى تعبر عن اقسى واقصى ما يعانيه الباروني باشا من المتاعب والآلام لمرض جميع افراد عائلته وهذا نصها :

... انى في صحة ولله الحمد مضت هذه السنة ولم ار للالم المعهود اثرا ولعله لا يعود بحول الله ، العائلة كما علمت وصلت مسقط ووظننت اني ظفرت بالغنيمة ، اجتمع الشمل المشتت منذ عشر سنين وحصل الانس والراحة وتخلصت من الاسر . لكننا نريد والله يريد !! « تجري الرياح بما لا تشتهي السفن »

ما كادت تصل مسقط حتى اصاب افرادها جملة وهم ثمانية حمى الملاريا ثم ضمت اليهم ابراهيم الذي سبقهم فصاروا تسعة وبعد معاناة شتى الآلام وتردد الاطباء ووفاة جدة الاولاد واختلال عقل احدى البنات واعتلال صحة الباقين اضطررت الى نقلهم الى بغداد بعد ان قالت لي الطبيبة ان هؤلاء كلهم اصبحوا

لقمة بين شفتى الموت فاذا لم تخرجهم مع الباخرة المتوجهة بعد يومين الى البصرة فانك ستقدم كل اسبوع واحداً الى المقبرة اذ لم يعد الدواء مفيدا لهم اذ نزلت درجة دمائهم الى ٣٠ و٣٥ من ١٠٠ واصبحوا لا يقبلون حليبا ولا ماء ولا لحم ولا غيرها من القوت فاصبحت مشتغلا بجوازات سفرهم وتوجهوا كلهم وهم عظام تضمها جلود فقط ، لم يقدروا ان يدبوا من داخل البيت الى بابه ليركبوا السيارة الى المرسى ، وما صعدوا سلم الباخرة الا بتعب لا يوصف .

وصلوا البصرة فبغداد وبدأت صحتهم في التحسن حسب جوابهم الاول ، لكن بعده جاء تلغراف في طلب قدومي بسرعة لأن ابراهيم مريض جداً ، وقد ذكروا في الكتاب الاول انه حصل له تغير في عقله كما جرى لاخته في مسقط (لكنها شفيت وعاد اليها عقلها في بغداد) لذلك انى الآن استعد للالتحاق بهم في بغداد اذا يسر الله (وما تشاءون الا ان يشاء الله - وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم) هذا ما انا فيه الآن . اللهم انا لا نسألك رد القضاء لكن نسألك اللطف فيه .

٢٠ ذي الحجة ١٣٥٠ سمائل - تأخر الجواب الى ان وصلت اليوم مسقط قاصداً بغداد لأني وجدت كتابا هنا من الاولاد في لزوم قدومي لأن حالة ابراهيم العقلية سيئة جدا والامر لله والسلام .

٢ محرم ١٣٥١ سليمان الباروني

٩ — رسالة منه لاخيه هذا مؤرخة في ٢٥ صفر ١٣٥١ صادرة من بغداد وهي تبشر بانفراج ازمة المرض قليلا عن العائلة ، وهذا نصها :

... تلقيت بيد السرور كتابك الكريم المؤرخ في ١٤ ذي الحجة ١٣٥٠ وانا مشتغل فى التأهب للسفر الى بغداد اجابة لطلب العائلة اياي بالتلغراف لاشتداد المرض بدنا وعقلا بابراهيم

وبعد مراجعات تلغرافية بين قنصل بريطانيا ومرجعه جاء الاذن تلغرافيا ، فقصدت بغداد ووصلتها ليلة ١٤ صفر وكان سروري عظيما لما رايت ابراهيم يتقدم للسلام علي فى المحطة وهو صحيح الجسم وقد زال ماكان به من التخيلات بتأثير الملاريا والحمد لله .

اما بقية العائلة كلها ففي صحة الا ان بقايا حمى خفيفة لم تنقطع عنها والحر في بغداد وان كان شديداً لكن وسائل الراحة متوفرة والعنب والتفاح والبطيخ بانواعه وغير ذلك كثير ورخيص وهواء الليل البارد اللين قد ينسي حر النهار .

وانى فى شغل من امر العائلة ، فان فى اعادتها الى عمان بعد التجربة خطراً على حياتها ورجوعها الى طرابلس على الحالة السابقة رجوع الى الاسر والتشتت الذي كنا نتألم منه وبقاءها فى بغداد وانا في عمان حمل لا اطيقه ، فان اجرة البيت الذي نزلت فيه (في المعظم) مع صغره وعدم وجود بستان فيه تبلغ نحو الخمسين ربية ، وفيه الماء والكهرباء ولا يصلح للاقامة على فرض نية البقاء فنحتأج الى اجرة اكثر مع ما يلزم من الاثاث .

سليمان الباروني

٩ — مكرر ٢ رسالة منه للمرحوم الحاج عمر العنق مؤرخة فى ٢٢ ذي القعدة ١٣٥١ وهذا نص محل الحاجة منها :

اما بعد — فان العائلة كلها طيبة الا البنت التركية التى ربيناها فانها لاتزال مريضة فادخلناها المستشفى وبعد معاينتها باشعة روتنج قرر الاطباء اجراء عملية جراحية فشقوا على معدتها واستخرجوا ما شاهدوه بالاشعة وخاطوها وبقيت مغمى عليها يوما وليلة ثم تنبهت وصحتها في تحسن وربما تبارح المستشفى بعد اسبوعين والحمد لله ، ودمتم فى رعاية الله من اخيكم المخلص

سليمان الباروني

٩ مكرر ٣ — من رسالة منه لاخيه هذا مؤرخة في ٤ محرم ١٣٥٢ وهذا نص محل الحاجة منها :

سألت عن علاقتى بعمان ؟ هي باقية واني اعدهم بالرجوع عند الفرصة والحقيقة اني لا اقدر فى الوقت القريب وما دمت في هذه الوضعية فاني ذقت لذة الصحة والحمد لله فلم يطرقني ألم منذ دخلت بغداد وكنت فى عمان الازم الفراش اسبوعا على الاقل في كل شهر من اشهر الصحة اما اشهر المرض فقد تتوالى الى ٣ اشهر حتى لا يبقى بي الا العظم والجلد . الخ والسلام من اخيكم

سليمان الباروني

١٠ — رسالة منه الينا من بغداد مؤرخة في ١٣ صفر ١٣٥٢ تنبيء عن معاودة الحمى لأبنه ابراهيم وغير ذلك ونصها :

حضرة اخوان الصفا دام عزهم . السلام عليكم ورحمة الله

اننا في خير وصحة ولله الحمد الا ما لابد منه من تغير المزاج احيانا لأسباب .

ورد من ابراهيم جواب بان الملاريا عاودته كالسابق وطلب اذنا فى السفر لتبديل الهواء والتداوي فلاقى في ذلك معارضة شديدة ولعل ذلك لالجائه الى الاستقالة وسيستقيل اذا لم يجيبوا طلبه ، ويقدم خوفا من ان يقع فيما وقع فيه قبل والامر لله ما شاء كان .

سأضطر للسفر الى عمان اذا جاء ، والا اصبحنا في وضعية لا يمكن وصفها ، اللهم لا اعتراض على حكمة الله .

نحن من المغرب وحياتنا معلقة في المشرق ! لكن أين ؟ فى دواخل عمان بيننا وبينه بحر وبر وهي بين انياب حمى الملاريا الخبيثة الفتاكة وبعد سفر طويل فلا حول ولا قوة الا بالله

تأسفت لتعطيل « النور » ولعل الله يمن بعده بالضياء . تحيتى الى الاخوان كافة ، سأكتب لكم اذا قررت السفر ، رسائلكم كالسابق الى بغداد حتى اذا سافرت لتلحقني حيث أكون والسلام . من اخيكم : سليمان الباروني

١١ — رسالة منه الى المرحوم السيد الحاج عمر العنق مؤرخة في نفس التاريخ المذكور ، وهذه الرسالة في معنى الرسالة المذكورة انفا وتزيد عنها ما نصه :

شرفني كتابك الكريم من قسطينة وقد كنت غير مسرور من انتقالك من وارجلان وعدم ثباتك فيها لكني عذرتك لما فهمت ان السبب هو الحمى وقا الله الجميع شرها فان معها لا يهنأ عيش ولا يمكن القيام باي عمل نافع مهما تجلد الانسان او صبر كان الله فى عونك في ارشاد التلامذة وتهذيبهم وارجو اتصال كتبك مع الامكان .

١٢ — رسالة منه الى اخيه هذا مؤرخة في ٢٣ جمادى الثانية ١٣٥٢ من مسقط وهى تفيد معاودة الحمى لابراهيم وحيرته به وبالعائلة مع هذه الحالة ، وهذا نصها :

عاد الي الالم كعادته حتى اكتويت كما ذكرت لك قبل هذا ، والآن فى عافية والحمد لله . طلبت من مسقط مع رسول خاص لان ابراهيم عاوده مرضه الاول فاتيت وقد زال ما به والحمد لله .

واذ صادف وجود رفيق الي قرب البصرة قررنا توجهه لتبديل الهواء شهرا واستصحاب العائلة كلها لتعيد الكرة على مسقط ، فان استراحت فذلك المراد والا اضطررنا للخضوع لشروط ايطاليا فيعود بها ابراهيم من هنا على طريق عدن واسكندرية

هذا فكرنا الاخير والامور بيد الله ، نسأله اللطف فى قضائه ، وهو مسافر

مع الباخرة الحاملة لهذا اليوم صاحبته السلامة . سلامى وسلامه وسلام الاصدقاء كافة اليك والى الاخوان الكمل . ودمتم لأخيكم : سليمان الباروني

١٣ — رسالة منه الى اخيه هذا مؤرخة في ١٣ رجب ١٣٥٢ حول موضوع الرسالة السابقة ، وهذا نصها :

... عرفتك من مسقط بعود الألم الي ثم عاد الى ابراهيم مرضه وحسب نصيحة الدكتور وقنصل بريطانيا بعدم سفره وحده اضطررت لمصاحبته فوصلنا اليوم (الخميس ١٣ رجب) البصرة .

وقد تحققنا ان هذه البلاد « عمان » ستقضى على اجسامنا وعقولنا معا ، والامر لله ما شاء كان !

اما انا فلا ملجأ لي غيرها ، واما الباقون فسأنهي مسألتهم هذه المرة اما الى مصر واما الى طرابلس ، وان كان فى ذلك ما هو خارج عن طاقتى ، ولا ملجأ من الله الا اليه وما تشاءون الا ان يشاء الله .

جوابك الى بغداد كالسابق . من اخيكم سليمان الباروني

١٣ مكرر — رسالة منه للشيخ امتياز ابراهيم مؤرخة فى ١٢ شوال ١٣٥٢ من بغداد وهذا نصها :

اما بعد — فاننا بخير ولله الحمد ، وقد شفى ابراهيم مما ألم به فى مسقط ، وذلك بواسطة دكتور طرابلسي رئيس المستشفى العسكري فى بغداد فانه لما بلغه خبر وصولنا من مسقط وما طرأ على براهيم من تغير المزاج والعقل جاء وقدم نفسه لمداواته متبرعا لذلك بارك الله فيه فنجح علاجه والمنة لله .

والسلام من اخيكم سليمان الباروني

١٤ — رسالة منه الى اخيه هذا مؤرخة فى ٢٨ ذي الحجة ١٣٥٣ تحمل فيما تحمل تأثره من حال بعض امراء ال عثمان وما آلت اليه ، وهذا نصها :

. . . وصل جوابك الكريم المورخ في ١١ ذي الحجة وسررت به
أكتب هذا مضطربا لاني تلقيت رسالة من احد امراء ءال عثمان الساكنين في الشام يصف لي ماهم فيه من البؤس والشقاء وانه عزم على التوجه الى الشرق والزنجبار لأستجداء ما يسد به رمق عائلته وطلب مني كتاب توصية وتعريف به الى سلطان زنجبار وغيره ممن اعرفهم فذكرني اياما تناسيتها ورثيت لحالهم ، والامر لله ولا حول ولآ قوة الا بالله العلي العظيم لا راد لقضائه والسلام
من اخيكم سليمان الباروني

١٥ — رسالة منه الى اخيه هذا مورخة في ٢٠ ربيع الاول ١٣٥٥ من بغداد ، وهذا نص محل الحاجة منها هنا :

خرجت ام زكريا من المستشفى امس الاول على ان تتردد عليه يوما بعد يوم لاتمام العلاج وصحتها وصحة ولدها على ما يرام والحمد لله

اما فحص دم ابراهيم فقد دل على سلامته من الامراض وانحصرت المسألة في مرض الاعصاب بدرجة سهلة التداوي على رأي الدكتور ورفقائه ، ولكونه الى اليوم لم يقبل تناول ما يأمره به الدكتور من الادوية قرروا ان يعالجوه بالحقن ولو بالقوة كما اخذوا منه الدم بالقوة وحالته الآن كما كان في البيت لا شغل له الا تلاوة القرآن بالمصحف ويصبح احيانا صائما خلافا لنصيحة الدكتور والمأمول شفاؤه قريبا ان شاء الله . ودمتم في عز موفقين من اخيكم
سليمان الباروني

١٥ مكرر — رسالة منه الى اخيه هذا مورخة في ١٦ جمادى الثانية ١٣٥٥ صادرة من بغداد تنبيء عن حالة ابراهيم والعائلة وهذا نصها :

خرج ابراهيم من المستشفى ولازم البيت وقد زال ما في البيت من الامراض ، والبنت التي مضى عليها اكثر من سنة وهي على الفراش بدأت منذ

شهر تصعد بنفسها الى السطح للنوم والحمد لله .

اشار علي الطبيب (اسما فقط) باخراج ابراهيم من المستشفى فاخرجته وندمت اذ اصبح ملازما البيت ومشاغبا اكثر من ذي قبل ، وهو مصمم على طلب السفر الى مسقط سبب بلائنا الذي نخوض فيه الى اليوم فلم اعارضه اتقاء للخطر الذي ربما يحدث من المعارضة ، ولم يبق أمل في رجوعه الى المدرسة او الوظيفة ، وقد أيست منه او كدت . سلامي الى ءالك والاخوان كافة اينما كنت .
ودم موفقا لأخيك سليمان الباروني

١٦ — رسالة منه الى اخيه هذا مؤرخة في ٣ شعبان ١٣٥٥ تشف عن حالة ابراهيم السيئة وهذا نصها :

. . . ثم ان ابراهيم قد عاوده الداء بعد خروجه من المستشفى بصورة اشد ضرراً من قبل فاضطررت الى اعادته الى المستشفى واصبحت في تعب وتفكر اكثر من السابق والامر لله ما شاء كان ، قرب الله ما فيه الفرج . والسلام
من اخيكم : سليمان الباروني

١٧ — رسالة منه الى الشيخ امتياز ابراهيم مؤرخة في ٢٩ رجب ١٣٥٦ تنبيء بحدوث مرض ضغط الدم له وبحالة ابراهيم السيئة ، وهذا بعض ما فيها :

. . . اما بعد — فاني منذ اكثر من شهر ملازم البيت منقطع عن القراءة والكتابة باشارة الاطباء لأني اصبحت فجأة بالالم المعروف بضغط الدم بعد كتابتي للمقال الذي نشر في الشباب في حق ٢٣ طرابلسيا الذين سلمتهم فرانسا في تونس لايطاليا ، وبعد الاشراف على الخطر من هذا المرض سلم الله ولا زلت أتناول العلاج ٦ مرات في اليوم ، وبالامس أذن الطبيب بالكتابة والقراءة بصورة غير متعبة فبادرت بهذا المختصر .

ابراهيم خرج من المستشفى ونزل في اوتيل باشارة الطبيب الى ان يسافر

لتبديل الهواء لكنه لم يفتح له طريق الى الشام ولا مصر تبعا لمنعي انا قائلين :
« الولد نسخة من ابيه » والامر بيد الله .

تحيتي الى الاخوان خصوصا الخواص منهم . واقتصر الآن على هذا لاني سأكتب جوابات رسائل كثيرة وردت وبقيت متراكمة ، وبعد الاستراحة التامة اكتب اليك ودم موفقا . من اخيك سليمان البارونى

١٨ — رسالة منه للشيخ ابراهيم امتياز مورخة فى ٣ ذي القعدة ١٣٥٦ وهذا نص محل الحاجة منها هنا :

. . . تحرك علي فى هذه الايام ضغط الدم كأول مرة فحرمني الطبيب من اللحم مطلقا بعد ان اذن لي فى قليل من لحم الدجاج والسمك مرتين فى الاسبوع كما منعني من الارزة مطلقا ومن القهوة والشاي والبيض ، واقتصر على الحليب والفواكه والخضر وقليل من الخبز والهجر الكتابة والقراءة الا قليلا ، وفي هذا الآن كفاية ، ودمتم فى خير ، حرر مستعجلا

من اخيكم : سليمان البارونى

مراجعات البارونى باشا للحلفاء

رغم أن وضعت حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ اوزارها ، ورغم انعقاد الصلح بين دول الحلفاء واعدائها ، ورغم رجوع المياه الى مجاريها بعد ذلك بين الدول المتحاربة من قبل .

وبناء على ما لكل سياسي من الحق في الالتجاء الى اي دولة من الدول الكبرى على شروط يلتزمها لها ، فان البارونى باشا خاصة قد حرم من هذا الحق الشرعي منذ ان كان فى اسر الحلفاء من سنة ١٣٤٢ — ١٩٢٣ بين مرسيليا وباريس .

فقد طرق منذ ذلك الحين ابواب المراجع العليا فى باريس ولندرة مراراً وتكراراً عسى ولعل ان تفتح واحدة منها فى وجهه ابواب بعض بلاد مستعمراتها مثل الجزائر وتونس ومصر وسوريا ، كما سبق لنا الملام موجز بذلك فى صفحة ١٩١ من الجزء الاول ، ولكنها لا تزداد بذلك الا اصراراً وتصاماً وكلما ألح عليه المرض في عمان وبغداد فزاد في الطلب والحاح في ذلك . ازدادوا هم عتواً وعناداً ومكابرة ، رغم الوسائط العليا والوعود البراقة .

وهكذا استمر دأبه ودأبهم كلما أحس بالحاجة للراحة والاستقرار وجمع شمل عائلته وشعر بهذا الامل يداعبه وبالاجل يطوف حوله ، كان ذلك الاصرار تلعب نشوته في رءوسهم تحت تاثير القوة والقسوة ، لا احساس لهم يشعر ولا عرق ينبض ولا أذن تسمع .

فكان هو ازاءهم بالالحاح وهم ازاءه بالتجاهل والدلال ، كما كان ذلك الشاعر ازاء الغادة الحسناء اذ يقول :

اذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى أصاخت الى الواشي فلج بها الهجر

وفيما يلي ننشر بعض رسائله فى هذا الشأن كنماذج طبق خطتنا في هذا

الكتاب ليطلع الاحرار على ما يقاسيه الرجال الكبار من عنت الاستعمار في عصر المدنية والازدهار ، مقتصرين على المفيد دون الديباجة والخاتمة .

١ — رسالة منه للمرحوم السيد الحاج عمر العنق مورخة فى ٢٨ محرم ١٣٤٥ صادرة من سمائل يسكب فيها عاطفته نحو اخوانه بميزاب ويرجو منهم التوسط لدى المراجع العليا الفرنسية لاعطاء الرخصة له للدخـــول الى تونس او الجـزائر لاستقراره فيها بعائلته بضمانة معتبرة . وهذا نصها :

اني بخير لولا تردد المرض المعلوم احيانا ، وانا فى سمائل بحضرة الامام اعزه الله ، لكنه يأتي ولله الحمد خفيفا وبدون حمى .

في هذه الساعة تلقيت بيد الاحترام كتابك الكريم تاريخ ١٣ ذى الحجة من القرارة وسررت به ايما سرور وتلي مع الكتاب الوارد من الاخـوان بتونس فى مجلس الامام وكانا محل اعجاب ، وكان السرور مضاعفا بما حصل من التدرج فى الغاء الجندية بهمة رجال الاتحاد الميزابي وانصـات الوالي خفف الله على كل مغلوب مصائبه .

انى في شوق لا يوصف الى تلك الديار العامرة والى الاجتماع بالاخـوان الافاضل الذين لا انسى ما عشت ذكرهم سهل الله ذلك .

ولو يتوسط بعض القواد والعزابة لدى الحا كم فى حصـــول الاذن لي في الدخول الى تونس او الجزائر بضمانة معتبرة ، ما أظن ان الدولة ترد طلبهم لاسيما اذا كـنت مع عائلتي واولادى الـذين هم لا يزالون فى طرابلس بمنـزلة الاسارى مع اخى الشيخ يحيى ، فلو تفـكرون فى هذا الامر بعض اهل الهمة لا أرى باسا فيه من جانب الدولة . ودمتم فى عز لاخيكم : سليمان الباروني

٢ — رسالة منه اليه منها مورخة فى ٩ جمادى الاولى ١٣٤٥ وهي تتضمن نفس الموضوع الآنف الذكر وهذا نصها :

. . . انى في خير ولله الفضل ، تلقيت كـتابك المؤرخ فى ٢٤ صفـر بكل سرور اذ دل على صحتك وتحسن احوالك وهناء البلاد وخصبها وراحة الاخوان والحمد لله على ذلك كـثيراً ، سلامى الى الاخوان العلماء والرؤساء والجماعة .

اني اتمنى كـثيراً ان تسمح لي الدولة الفرنسية بتوسط الاخـوان ان أنقـل عائلتى الى تونس لآتيها بنفسي وانقلها الى هنا . اذ لا يخفاكم طـــول الطريق وصعوبته وتنقلاته مع عدم وجود من يرافقها ، ويكون ذلك وسيلة للاجتـماع بالاخوان ولو شهراً واحداً نزيل به ألم الشوق المتراكم والفرقة الطويلة ويكون دليلا على تساهل فرانسا ، ولا أظن انها ترد رجاء رجال ميزاب في هذا السبيـل ولا أظنهم يبخلون بجاههم فى مسألة بسيطة كهذه لا يلحقهم منها الا اظهـار المروءة والثواب فعرفنى برأي اهل الفضل والجاه عند الدولة في هذه المسألة .

من اخيكم سليمان الباروني

٣ — رسالة منه اليه من بغداد مؤرخة في ٢٦ محرم ١٣٤٨ وهـــذا نص محل الحاجة منها هنا :

ارجو ان اتوفق وانا هنا ـ بغداد ـ الى حل الأبواب المغلقة أمامي من طرف الدول المتحالفة ، فقد شممت امكان ذلك وسأسعى والله الموفق .

ودم في رعاية الله من اخيك سليمان الباروني

٤ — رسالة منه الينا مؤرخة فى ٢٨ ربيع الاول ١٣٤٨ تبشرنا بانفتاح باب مصر امامه وهذا نصها :

. . . ابشركم بانه فى هذه الساعة اخبرنى قنصل مصر بورود جـــواب حكومته بالموافقة على دخولي مصر مدة ثلاثة اشهر ، وعلى كل حال بعد دخولي يسهل تبديل القرار والحمد لله على فتح ما كان مغلقا ، وقد اخبرتكم بحصـول الاذن الى الشام وارجو ان يفتح باب تونس فيتم المراد ويحل العقال ، وما ذلك

على الله بعزيز .

جاءتني بالامس كتب الامام ورؤساء عمان كافة في سرعة رجوعي للمذاكرة في امور مهمة . وبعد ٥ ايام ابارح بغداد باذن الله ، وبعد تنظيم اموري في عمان اجدد الرحلة الى مصر للنظر في مسألة المطبعة والكتب المغلق عليها مدة ١٨ سنة وفي امر العائلة ، والله الميسر . من اخيكم سليمان الباروني

٥ — رسالة منه الى اخيه هذا من بغداد مؤرخة في ٢٨ ذى القعدة ١٣٥٢ وهذا نصها :

. . . مذ وصلت بغداد لم ار منك خطابا رغما عن تعدد كتبى الموجهة اليك ووصولها اذلم تعد الي ، ولعل ضيافات الوطن ومجالس الانس مع الاخوان انستك من بعد عنك ادام الله أنسكم

قبل يومين زارني كبير من مشاهير فرانسا بواسطة السفارة الفرنسية يصحبه واحد من كبار الحكومة ، وبعد حديث وشرب قهوة ، قال انه مسافر صباح تلك الليلة الى باريس وأظهر تأسفه مما بلغه من سد فرانسا ابواب مستعمراتها امامي ووعد بان فى امكانه ازالة هذا السد ، وانه سيسعى في ذلك على اثر وصوله حتى تمكنني الاقامة فى تونس او الجزائر الخ ، وربما يوجه اليكم او الى بعض الاخوان سؤال فتظنون ان وراءه خطراً ، حررت هذا اليكم لتكونوا على علم . والسلام من اخيكم سليمان الباروني

٦ ـ رسالة منه الينا من بغداد مؤرخة في ٥ شوال ١٣٥٣ ، وهذا نص محل الحاجة منها هنا : قال

زرت وزير فرانسا يوم ١ ديصامبر فاحتفل بي كثيراً وقال : ان الصديق المستشرق قد صرف جهده فيما وعد به كما فعل هو ايضا لكن الوضع السياسى الحاضر وتشدد ايطاليا فى المعارضة بصورة لا توصف رأينا من الاوفق الانتظار

الى ان تنحل هذه المشكلات ، ثم وعدنى بانه سيجدد الكتابة ولو بالاذن الى مراكش فشكرته فليكن ذلك في علمكم .

٧ ـ رسالة منه الى الشيخ امتياز مؤرخة في ٢١ صفر ١٣٥٥ من بغداد وهذا نص محل الحاجة منها :

اخبرتك قبل بانقطاع المخابرة مع الطليان على الاذن للعائلة فى الرجوع بسبب الحرب واذ خرجوا منها ظافرين بهذه السرعة العظيمة فلا اظنهم الآن يتساهلون في شيء ، وأنى افكر في فتح الكلام معهم مرة اخرى والتساهل لان البقاء في بغداد اصبح عبثا ووخيم العاقبة مادة ومعنى

اما مراجعتى لفرانسا على تونس والجزائر فقد صرفت النظر عنها لانها اصبحت تتحبب لايطاليا اكثر من ذي قبل والله ولي الامر الخ

٨ ـ رسالة منه لاخيه هذا من بغداد مؤرخة في ٢ ربيع الاول ١٣٥٥ تعطينا ضوء لانقداح فكرة جديدة له في هذا الشأن ، وهذا بعض ما فيها :

تلقيت الآن جوابك المؤرخ فى ١٣ بعد ان رجمت من دائرة الوزارة لاتمام فكرة كنت ابتدأت في تنفيذها فى اليوم الذي كتبت فيه جوابك

وهي اني في يوم المولد بينما كنت غارقا في بحر التفكر في مصير هذه العائلة ألهمت رأيا لم أتوان في الشروع فيه ، وهو أن أغتنم فرصة توتر العلائق بين الدول فاطلب الجنسية العراقية (التي لم يجب طلبي فيها سابقا) ومتى حصلت طلبت جواز عراقى للسفر بعائلتي الى مصر او الجزائر لمداواة ابراهيم ، وفى الحال قصدت رئيس الوزارة ثم وزير الداخلية واخبرتهما بالواقع فاجابا بالقبول مع تسهيل ما يصعب فتقدمت الطلب وجرت المعاملة في طريقها القانوني واليوم تمت المعاملات وطلب مني حسب الاصول ضابط دائرة الجوازات أن أتيه بوثائق تثبت اني طرابلسي عثماني في السابق وءاتيه بجوازات السفر التى وصلت بها العراق

فأحضرت اليه وثيقة المبعوثية عن طرابلس في مجلس المبعوثان وفرمان تعييني في الاعيان وفرمان ولاية وقيادة طرابلس في الحرب العامة وكلها في ورق كبير مكتوب بالذهب محلات بطغراء « محمد رشاد » فاندهش عند رؤيتها لانه جديد وصغير لا وقوف له على ما كان في ايام الدولة العثمانية ، فحملها الى وزارة الداخلية وحلفت اليمين اللازمة قانونا وغدا يتم كل شيء ويبدأ فتح الابواب المغلقة ان شاء الله .

على ان القائم باعمال مفوضية مصر في بغداد يسعى من مدة في فسخ قرار المنع السابق ، وفي اخر الشهر يذهب الى مصر مأذونا ، وسيسعى مباشرة لفتح الباب (١)

دمتم لاخيكم سليمان البارونى

٨ مكرر ٢ — رسالة منه الى اخيه هذا مؤرخة في ١٦ جمادى الثانية ١٣٥٥ وهذا نص محل الحاجة منها :

. . . اما مسألة الاذن فالى الآن لم يات الجواب الشافي عنها وكلما راجعت قيل لي المخابرة جارية واخر مراجعاتي كان بالامس فقيل لي انهم ارسلوا برقية ينتظرون جوابها ، وهكذا اصبح اليوم عندي بمقام شهر وكأن الاحوال الطارئة بسبب اسبانيا عقدت المسألة ، سهل الله كل ما صعب

وما تأخرت عن الجواب الا انتظار للنتيجة التي كنت اعتقد قربها حسب قولهم اولا والامور بيد الله .

على ان تعهدي لهم بعدم اشتغالي بغير شئوني الخصوصية كان داعيا الى توقيف الكتابة في وقت النزاع على التليفون عندكم ، الخ

---

١) انظر ما هو وجه الجمع بين ما هو في الوثيقة رقم ٤ المؤرخة في ٢٨ ربيع الاول ١٣٤٨ وبين ما في اخر هذه الوثيقة رقم ٨ المؤرخة في ٢ ربيع الاول ١٣٥٥ فهل رجعت حكومة مصر عن اذنها الاول او لانتهاء مدته المحددة بـ ٣ اشهر ؟؟

٨ مكرر ٣ — رسالة منه الى اخيه هذا بتاريخ ٢ شعبان ١٣٥٥ تفيد اياسه من مراجعة فرانسا ، وهذا نصها :

. . . كنت كتبت اليك من مدة ما اردت به ادخال السرور عليكم والاطمئنان من جهتي لكن مع الاسف لم يتم شيء من ذلك ، فالجواب الاخير ورد من فرانسا بعدم امكان اجابة طلبي بل صرح بعضهم لصديق لي بأن وجود اسم البارونى فى شمال افريقيا مطلقا خطر محقق ، وان الايطاليين لم يغفلوا قط عن التأكيد بعدم اعطاء مجال لدخول هذا الاسم شمال افريقيا الى المحيط والا التهبت الثورة حالا الى اخر ما قاله من التهويل ، فقطعت الامل .

٩ — رسالة منه الى الشيخ امتياز ابراهيم بتاريخ ٨ ذي الحجة ١٣٥٥ من بغداد تبشر بانفتاح باب سوريا لأبنه ابراهيم وغير ذلك ، وهذا نصها :

. . . اننا فى خير على ما اخبرتك به فى رسالتى السابقة والحمد لله الا ان خروج ابراهيم قد تأخر الى ما بعد العيد ، وقد أحضرت له جواز السفر الى سوريا ومصر وطرابلس لكن ايطاليا لم تقبل التأشير عليه .

اما فرانسا ففعلت ومنحتني بعد مخابرات مع السفير دخول سوريا واقامة ثلاثة اشهر هذه المرة بوسيلة مصاحبتي لأبراهيم والحمد لله الذي فتح هذا القفل الذى تعطل فتحه اكثر من ١٥ سنة ، وعندما يخرج ابراهيم اسافر معه الى دمشق وبيروت واذا استحسن البقاء هناك عدت الى بغداد بعد ان ارتب له ما فيه راحتة ، وان يسمح له قنصل ايطاليا وسافر الى طرابلس فذلك مراده

١٠ — رسالة منه الينا بتاريخ ٥ محرم ١٣٥٧ من بغداد ، وهذا نص محل الحاجة منها : قد تجددت المساعي للحصول على الاذن الى مصر بواسطة وزير مصر هنا (عزام بك) الذي عاد صديقا بعدما جرى بيننا ما قرأتموه قدر الله الخير .

ودمتم موفقين من المخلص : سليمان البارونى

مقام البارونى باشا

لدى الاسرة المالكة وعظماء الشرق فى العراق

بالموازنة بين مقامات الرجال ، وبالمقارنة بين العظماء وبالمقام الذي يستحقه المترجم له ـ عادة ـ بين اولئك ، وبالمنزلة التى يتبوأها المحتفل به بين هؤلاء ، تظهر قيمة الرجل الذى يريد الباحث ان يشخصها لقرائه .

هكذا كان شأننا مع البارونى باشا ازاء من يريد ان يعرفه على حقيقته في نظرنا .

فلاجل ان ننزل سعادته فى المنزلة التى يستحقها من قلوب اولي القلوب زيادة عما اسلفنا فى هذا الباب فيما يخص مقامه بين رجال عمان حكومة وشعبا ، نعرض امام الاخ الملاحظ نماذج من رسائله الموجزة المتواضعة فيما يخص مقامه بين رجال الشرق عموما ورجال العراق حكومة وشعبا خصوصا ، حتى يمكن له ان يتخذ منها شهادات عليا للسمو والعظمة والكمال ، وحتى يتسنى للشباب ان يتخذوا البارونى باشا مثلا اعلى للرجولة الكاملة والاستقامة التى تهدف في هذا العصر الحاضر لسعادة الدارين معا .

وهاهى هذه على الترتيب التاريخى فيما يلي :

١ — رسالة منه الى المرحوم الحاج عمر العنق من بغداد مؤرخة فى ٢٦ محرم ١٣٤٨ ، وهذا نصها :

. . . اما بعد — فانى في خير ، وصلت البحرين والبصرة ورايت من رجالهما حفاوة زائدة ، ثم وصلت بغداد فلقيت من اعيانها وعلمائها ورجال حكومتها اجلالا واحتراما واكراما لايوصف ، واستقبلنى جلالة الملك ثاني يوم وصولي استقبالا فائقا في مجلسه الرسمى .

صورة للبارونى باشا وهو مع سلطان مسقط (من اليسار) وبعض من افراد عائلته

صورة له وهو يتوسط بعض عظماء العرب فى الشرق والغرب

ورايت من عناية صديقي الاستاذ الثعالبى بى ما لا يقدر ، فقـــد كان على سفر من مدة شهر وما تأخر الى اليوم الا لأجلي ، وسيسافر اليوم الى طهران لتبديل الهواء ، وكانت الضيافة عنده ثانى يوم وصولي حضرها جملة من اكابر ورجال حكومة وعلماء بغداد ، وكانت بعده عند رئيس ديوان الملك ، وبعـده عند سفير مصر وبعده عند مفتى بغداد وامام مقام الشيخ عبد القادر الجيلاني .

ودم في رعاية الله من اخيك : سليمان البارونى

من وفد المؤتمر الاسلامي ببغداد ، وهو في طريقه الى الهند لجمع الاعانات لكلية القدس وعلى رأسه السيد أمين بك الحسيني مفتي القدس في محرم ١٣٥٢ فصادف وجود البارونى هناك ، وقد نال وفد المؤتمر من جـــلالة الملك اذ ذاك حفاوة فائقة واكراما عربيا ، وكان من بين ضيوف البـــلاط الملـكي الـكرماء سعادة البارونى باشا . فقد نوهت جريدة « الاهـالي » الغراء الصـادرة في ٢٦ محرم ١٣٥٢ بهذه المأدبة الفاخرة تحت العنـــوان الآتى « فى البـلاط » قائلة : جاءنا من ملاحظية المطبوعات للنشر ـــ تناول مساء امس طعام العشاء على المائدة الملـكية فى البلاط الملـكي العامر اعضاء وفد المؤتمر الاسلامي العام ، وقـد حضر المأدبة فخامة رئيس الوزراء وارباب المعالي زملائه وسماحة رئيس مجلس الأعيـان ومعالي رئيس مجلس النواب وبعض الشخصيات البارزة منهم معالي الحـاج جعفر جلبي ابو الثمن وسعادة سليمان باشا البـارونى ، وكان اعضاء وفـد المؤتمر الاسلامي موضع التفات صاحب الجلالة ورعايته الـكريمة .

على الهامش

حول هذه الحفاوة الملـكية وهذا التكـريم العظيم ، كان يحـوم حـول البارونى باشا ازمة اقتصادية خانقة من جراء التنقـلات والاسفـار والمـداواة ، وكان يستغني اثناء ذلك ويتجمـل ويصبر صبراً جميـلا ، وكان بارعا فى التلطف

وابتكار الحيل لأقتناء البسة القناعة والتعفف ، وكان مثالا بارزاً لأولئك «الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا »

وفى اثناء هذا قص على خواص اخوانه قصصـــا فكاهية حقيقية للعبرة والتاريخ ، وفيما يلي نماذج منها :

١ — فكاهة حقيقة تحفظ للتاريخ :

وصلتني ثلاث دعوات : ١ — لرفع الستار عن تمثال الملك . ٢ ـ عن تمثال السعدون . ٣ ـ لأفتتاح حـــديقة الغازي (ولي العهد) فى ٢٥ محرم ، واخرى لازمة بدون دعوة لحضور استعراض الملك للجيش وتقديم التهنيئة له بيوم ولادته .

ولكون حضور الجميع مع بعد الامكنة يستدعى مصروفا لا اقـــل من ٤٠ فرانك اصبحت متمارضا . ولما وصلت دعوة المأدبة وجبت الاجابة لانهـا كانت لأخص الخواص لا حسب العادة ، وكان الموجود الباقى من اجرة البيت ربع دينار وربية واحدة (٣٠ فرانك تقريبا) حفظتها للطواريء الى ان يصـل من ابراهيم ما يرسله ءاخر الشهر فعزمت على المخاطرة بهـا في اجرة السيـارة ، ومن حسن الحظ مر بى قصداً وزير الاقتصاد والمفتى في سيارته قبل الموعـــد بربع ساعة فركبت معهما وربحت اجرة الذهاب

لكن ـ ونحن فوق المائدة ـ افكر فى كيفية الرجوع فلما ودعنا الملك خرج الجميع الى بهو يدخنون ويستعـدون لركوب سيـاراتهم فخرجت الى جهة السيارات ومنها اطلقت العنان لرجلي فى طريق الحديقة الى الباب وقطعت الجادة العمومية ووقفت حيث لا يصلني نور سراج سياراتهم حتى مرت سيارة عمومية كالترام فركبتها وحمدت الله على الربح ، هذه حيلة مشروعة مستورة فيها ربح

لكنها لم تنجح فى اليوم الثانى .

٢ — جاء الي فى البيت عضـو الاعيان الرئيس الكبير مولود باشا ودعانى لحضور العشاء مـع الوفد وبعض النـواب ورئيسهم فاحتلت : ركبت السيـارة العموميه الى بغداد وهناك ركبت عربة فاخرة الى البيت باجرة زهيدة لانه قريب وفي اثناء الاكل صرت افكر في كيفية الرجوع لان صاحب العربة ذهب لسبيله ، واذا كلفت خادم الباشا بالاتيان بعربة سيأتي بها على نيـة الوصول الى الاعظمية وبدون ان يقاول صاحبها ، وبمناسبة الليل وعدم وجـود عربات من الاعظمية ستكون الاجرة لا اقل من ربع الدينار المحافظ عليه فرجحت ان اركب مع المفتى بوسيلة محادثته فيما كان يحدثني به وعند وصولنا الجادة الكبرى اودعه على اني سأركب سيارة او عربة ، وكان ذلك لكن عند خروجنا تحركت زوبعة اثارت التراب حتى أصبح الانسان لايرى يديه من الظـــلام كما يجري كثيراً فى هذا الوقت فى بغداد ، فحاول ان يقنعنى بأن يوصلوني الى الاعظمية ويعودوا فلم أقبل ونزلت وظل التراب ينهـال والكسوة بيضاء محـددة وهي الوحيدة والغير اسود فجاءت سيارة عمومية فركبتها على ما فيها من الازدحام .

وبمناسبة الغبار والظلام طلب صاحبها الاجرة مضاعفة فقبلنا وهناك وجدت صديقا من الموظفين سبقني فسبقته لاداء الاجرة عني وعنه فصـارت الاجرة الواحدة اربعا فقلت لم تفلح الحيلة كالامس ، وصلت البيت ولما قمت فى الصبح لألبس الكسوة وأخرج وجدت ظهرها أحمر بالاحتكاك بكرسي السيارة المملوء بالتراب فاحتجت الى ملازمة البيت هذا اليوم لتغسل وتحدد فتضاعفت الخسارة ولم تفد الحيلة ، ولبس الاسود في الحر غير مقبول .

٣ ـ هنا حيلة اخرى : في كل البيوت مراوح كهربائية خصوصـا مجلس النساء ومجلس الرجال وهن غاليات ويصرفن كثيراً فللتخلص منهن ، لم نلح على

صاحبة البيت فى ادخال السلك الكهرباءي للبيت واكتفينا بسراج الغاز ولما سئلنا قلنا — وهو الحقيقة — ان صاحبة البيت عازمة على بيعه ونحن على نية السفر فلم نر وجها للخسارة لا لها ولا لنا واكتفينا بمراوح السعف .

٤ — اما الكنبات والكراسي الخشبية فأصبحنا فى مأمن من جهتها لان صاحبها صديقنا الذي قدم ذلك للعائلة مؤقتا عند وصولها من مسقط تعين موظفا كبيراً فى وزارة المالية فسكن قصراً جديداً باثاث فاخر جديد يناسب مقامه فاستراح من الاشياء التى عندنا ولو اعدناها اليه لما وجد لها محلا فهي باقية لنا ما بقينا .

٥ ـ بقي التفكر فى الولد الصغير الذي يتقاضى منا ٥ ريبات في الشهر لخدمات خفيفة من السوق ، فاذا وجدنا سببا مقبولا لايوجب الشك فى حاجتنا سنرده لوالده في ءاخر هذا الشهر ونربح الـ ٥ ريبات .

أحفظ لي كل ما كتبته لك وما اكتبه ربما ياتي وقت احتاج اليها فاطلبها منك لأتذكر بها لان اكثرها لا مسودة لها عندي .لهذه المناسبة قلت ارتجالا:

تأمل يا ابا اليقظان وانظر ... تجد ذا البؤس في جنب المثوك
فليس المال للاجلال كاف ... ويكفي للعلا حسن السلوك
فسبحان الذى خلق البرايا ... على حكم تجل عن الشكوك

ءاه يا درهم ءاه ... انت أس للرفاه
كل من فى الكون قال ... ان في الدرهم جاه
فهو يسعى بتفان ... لا يبالي كي يراه
انت للانسان عون ... بل بك المجد تناه
انت للعلم سياج ... انت للاخلاق شاه
ان في الفقر شرور ... ليس تحصيها شفاه

كيف تجتمع الفضيلة والبؤس فى مكان واحد؟

بمناسبة هذا السياق نسجل فيما يلي رسالة منه الينا مؤرخة في ٧ ذي الحجة ١٣٥١ لخص فيها لنا كثيراً من العبر فى هذا الباب حينما اظهرنا تأثراً عميقاً لشهادة رجل كبير له بالفضل فقال مجيبا لنا ما نصه :

. . . اننا في خير ولله الحمد ، وكذا ابراهيم في مسقط ، والمطر هنا متتابع الى الامس .

وصل كتابك الذي في طيه كتاب الاخ السيد الحاج عمر العنق وقد وصل قبله كتابك الذي أظهرت فيه استبشارك انت والاخوان بشهادة الرجل الكبير لي ولكم بالفضل (١) وذلك لعدم تعودكم امثال هذه الشهادات !!

فماذا تقولون اذا قيل لكم ان صاحبكم شهد له رسميا وزراء ٥٧ دولة فى مقدمتهن انكلتيرا وفرانسا وايطاليا والمانيا وامريكا وجابونيا والصين ، وذلك فى مؤتمر لهم يرأسه أعظم وزير انكليزي وبعد التشكر له استمدوا منه رأيه في معضلتهم التى يحاولون حلها الآن (٢)

وهم يعلمون انه مطرود من طرف حكوماتهم محرم عليه الدخول الى مستعمراتهم ومتحققون انه خاوي الجيوب ينام هو وعائلته فى هذا الشتاء على فرش مستعارة فوق حصر من نوع ما يفرشه افقر فقراء العراق ، وليس فى بيته الا ثلاثة كراسي قديمة وثلاث كنبات كذلك والجميع مستعار من صديق له . ولا

---

(١) هو الخديوي عباس حلمى اذ اجتمع به هناك بعد ان اجتمع بنا هنا وصرح له بتصريحات عظيمة تخصه وتخصنا كما اشرنا الى شيء من ذلك في جريدتنا « وادي ميزاب » عدد ٧١ فى ٢٥ فيفري ١٩٢٨

(٢) هو مؤتمر نزع السلاح الذي ترأسه في جينيف المستر « هاندرسون » وزير خارجية انقلتيرا تحت اشراف عصبة الامم ومعضلتهم هى قضية « نزع السلاح » وسياتى شهاداتهم للبارونى باشا وجوابه لهم في محله ان شاء الله .

يذوق طعم اللحم الا مرة في الاسبوع ، وقد دعته الضرورة الى اجراء عملية جراحية فى المعدة لبعض افراد عائلته فاضطر ان يدخله مستشفى الفقراء ليعالج مجانا ، وقد نجحت العملية وتم الشفاء ووصل المريض الى البيت قبل ٥ ايام والحمد لله ، أليست الشهادة المذكورة من اغرب ما يذخره التاريخ ، وهل يوجد دليل اعظم من هذا على امكان اجتماع الفضيلة والبؤس في مكان واحد ؟

اذا اردت الوقوف على هذه الحقيقة فافتح الظرف الذي مع هذا المعنون باسم الاخ . . . تجد ما يسرك !

وما حملني على ارساله الا لادخل عليكم سرورا جديداً فوق السرور الاول وهلا حافظت على البيتين اللذين كتبتهما على لوحة رسم الجمعية الاسلامية في باريس يوم العيد وهما :

نلت الصدارة فى كل المجالس لا كن لا رجال ولا مال يؤيدني
لو كان لي كالورى مال لنلت به للمنهج الحق اعلى مركز مدنى

ودمتم فى عز دائم من اخيكم سليمان الباروني

قلت : — هذه الشهادة من القوي للضعيف اشبه شيء بالشهادة التى وقعت للاستاذ الشيخ الثعالبي من بعض رجال فرانسا الكبار : ذلك ان الكوماندان « بارون » الذي جرى على يديه بحث الثعالبى لما كان سجينا بتونس سنة ١٣٣٩ بتهمة زعزعته لامن الدولة ، فعند تمام بحثه قال الكوماندان : « فى ود فرانسا ان تخسر فيك ـ يا استاذ ـ عياراً ناريا ولكن تبنى لك على رأس كل شارع تمثالا . ! »

مزايا ءال الحسين ازاء ءال البارونى

ابن البارونى باشا في بلاط ملك العراق

وردتنا من الباروني باشا كلمة مورخة فى ١٤ رمضان ١٣٥٢ هذا نصها :

« لما سمع بعض رجال جلالة الملك بما يعتري ابراهيم من الامراض فى مسقط فكروا في استخدامه فى بغداد ، وحيث ان قانون العراق لا يسمح باستخدام غير العراقي الا بعد التجنس والاقامة خمس سنين تكرم جلالة الملك بالامر بتعيينه فى دائرته الخاصة بالبلاط ، اذ لا يشملها هذا القانون ، وهي اشرف دائرة اذ هي مرتبطة بالملك مباشرة ، والصبر مفتاح الفرج .

ثم لخص لنا الباروني باشا بهذه المناسبة موجزاً عن مزايا ءال الحسين نحو ءال الباروني ، وهذا نصها :

١ — ان الملك حسينا كان السبب الوحيد من انقاذي من البقاء في باريس اذ سدت الدول امامى ابواب البلاد الاسلامية كلها ففتح الملك حسين طريق مكة لما بلغه ذلك فمررت من مرسيليا بثغور مصر فمنعت من النزول فيها ووصلت مكة ، وبعد الحج قصدت مسقط بتسهيل سلطانها السابق السيد « تيمور » وكان النزلي ضيفا مكرما عنده .

٢ — ولما اصبت بالملاريا واردت الذهاب الى كراتشى او بمباي للتداوي عارضت بريطانيا فكتبت الى جلالة الملك فيصل فارسل في الحال الاذن بدخولي العراق فجئت بغداد فنلت منه ومن حاشيته التفاتا ، وبعد التداوي رجعت لمكانى الى عمان فكانت السبب الثاني لأنقاذي من الملاريا .

٣ — ولما جاءت العائلة من طرابلس وابراهيم من اسكندرية واصيبوا بالملاريا اعدتهم الى بغداد ، ولما شفي ابراهيم عاد الى مسقط وتكرم

السلطان الحالي السيد سعيد فعينه فى العدلية .

٤ — ولما عاودته الملاريا بشدة اذنت له الحكومة فى الرجوع الى بغداد للتداوي وكان بحالة سيئة اضطرتنى الى مصاحبته الى بغداد .

٥ — ولما بلغ رجال الملك غازي خبر ذلك اهتموا بالمسألة فتكرم الملك بتعيينه في دائرته الخاصة فكان السبب الخامس فى انقاذي انا من التعب وفى انقاذ ابراهيم من خطر الملاريا لو عاد مرة اخرى الى مستقط . اه

نحن نسجل هنا بمداد الفخر والاعجاب ونسطر على صفحات القلوب مزايا ءال الحسين الكرام على ءال البارودي الامجاد ، ونثني الثناء العاطر على اريحيتهم الاسلامية وشهامتهم العربية ، ونرجو ان يتواصل هذا الترابط المتين بين اجيال العائلتين الماجدتين لاعزاز العروبة والاسلام واعلاء كلمة الله مدى توالي الايام وتتابع العصور .

٦ — على ذكر شهادات عظماء الشرق للبارودي باشا على ما يقص عن نفسه من البؤس نسوق هنا شهادتين عظيمتين لهما قيمتهما عند من يزن أقدار الرجال ، هما من عظيمين في العالم الاسلامي اولاهما من الملك السيد ادريس السنوسي الحالي بانيتها من الاستاذ الشيخ عبد العزيز الثعالبى .

اما الاولى : فقد نقل الاستاذ عمر فائق البرقاوى من رسالة اليه من السيد ادريس السنوسى في شأن البارودي باشا لما دافع بقلمه عن قضية طرابلس وبرقة ومجاهديهما كما دافع بسيفه ما نصه :

« . . . سليمان باشا البارودي كاتبته من زمن وشكرته على ما كتبه في الجرائد فرد علي بكتاب الى ان قال : « اني مؤيده فى كل ما كتب وهو الرجل الوحيد العاقل العالم المجرب والذي ينظر الى الامور من وجهها الحقيقي . الخ

واما الثانية فاني لما كتبت مقالا ادافع فيه عن البارودى باشا ردا للتهم التى

الصقها به بعض المغرضين ، وانا اذ ذاك بتونس عرضت على الاستاذ الثعالبي ذلك المقال ولما وصلت فيه للكلام : « على ان البارودي باشا رجل من رجال الاسلام العمومين كالامير خالد فى الجزائر والشيخ الثعالبى فى تونس وسعد زغلول باشا فى مصر الخ قاطعني الاستاذ هنا وصاح قائلا :

ءاه ! ءاه ! أتشبه الثعالبى بالشيخ البارونى ؟ كلا ! كلا ! فان مجد الشيخ سليمان انما اكتسبه بالسيف وما يكسب بالسيف يبقى ابد الدهر لماعا كالذهب واما انا فاذا ما اكتسبت شيئا فانما هو لايعدو شقاشق كلامية وسرعان ما تذهب هذه كفقاقيع الماء! فأمرنى بالخط عن هذه الجملة وتعويضها بما يناسب.

حكمة البارونى باشا وحسن تدبيره

لأجل التخلص من ازمته الاقتصادية التى اشرنا اليها قبل ولأجل توفير راحته ارسل الينا اقتراحا فى تاريخ ٢٨ محرم ١٣٥٢ تحت العنوان الآتي يشف عن علو همة وشهامة وعزة نفس ، وهذا نصه :

فكرة هل يمكن تطبيقها ؟

ان لي في مصر ما لا يبعد او يتجاوز ١٠ ءالاف نسخة مطبوعة من حاشية المسند للسالمي ووفاء الضمانة والازهار وديوان الحضرمي وديوان البارونى ورسالة سلم العامة مخزونة من سنة ١٣٢٦ لم اتمكن من الاستفادة من ثمنها بسبب حرب طرابلس ثم الحرب العامة ثم منعى من دخول مصر . الخ فهل في الامكان (خدمة للعلم والشرع واعانة لي) انشاء جمعية لشراء قسم منها بما يعجبها من الثمن ولو بنصفه على ان توزع مجانا وقفا بعد ان تطبع بختم كبير فيها كلمة (وقف) مثلا في جملة صحف من كل مجلد حتى لا تغير لأجل البيع وتكون الصحف معلومة حتى اذا وجدت نسخة معروضة للبيع ينظر فى تلك الصحائف

لعل فيها ختما او لعلها قطعت من اصلها لاخفاء الاختلاس ، او بيعها على حساب الشركة للربح حيث ان أصل المشترى يكون بنصف القيمة الممكن البيع بها .

أرجو ان تتفكروا مع بعض الاخوان في هذه المسألة ، فاذا أمكن تطبيقها تكونون قد قمتم بنشر كتب العلم وبافادة الذين لا يقدرون على الشراء والذين يصعب عليهم او لا يرغبون فى بذل الدراهم في الكتب ، ولا أظن وجود مانع سياسى لهذا قطعا (اني في انتظار جوابكم) من اخيكم سليمان الباروني

قلت : لقد سلكنا في هذه الفكرة السديدة مسلكا ءاخر : ذلك اننا طلبنا اصدار كمية منها من مصر بعد تجليدها لنروجها نحن على حساب الباشا ، فكلف الاستاذ الشيخ ابراهيم طفيش بمصر فجلد منها كمية فارسل الينا منها للجزائر ثلاثة صناديق فسعينا فى ترويجها بين الاخوان باثمانها المناسبة . وكلما جمعنا منها مبلغا ارسلناه اليه للترفيه عنه .

وكان للشيخ ابراهيم امتياز في هذا الشأن فى جملة العاملين بسعي ممتاز يذكر فيشكر ، وهذا ما سترى اثره البليغ في رسائل الباشا الباروني في ظروف مختلفة .

وفي هذا السياق وردت منه رسالة للشيخ ابراهيم امتياز مؤرخة في ١ جمادى الاولى ١٣٥٣ ، وهذا نصها :

. . . اما بعد فانى بخير ولله المنة ، ورد الي كتابك الكريم ولك الشكر على اهتمامك ، وارجو انك توفقت مع الاستاذ . . . الى طريقة لتوزيع ما ذكرته لكم من النسخ وان كانت الازمة مستحكمة فى كل مكان خفف الله عنا وعنكم وطأتها ، الا ان مثل هذا التقسيم قد يسهل أمره لما فيه من الفائدتين والثالثة حفظ هذه الكتب من التلف بطول البقاء وبدون محافظة والله ولي الامر تحيتي الى الاصدقاء ، ودمتم موفقين . من اخيكم سليمان الباروني

فى انفراج ازمته بعد صبره الجميل

بعد ان ارسلنا اليه مبلغا من ثمن كتبه صادف وصوله ازدياد غلام لأبنه ابراهيم مع حل بعض مشاكله التى كانت تهمه كثيراً فكتب الينا الرساله الآتية مؤرخة فى ١١ جمادى الثانية ١٣٥٣ . وهذا نصها :

قال يا بشراي هذا غلام

. . . أكتب هذه الاسطر المختصرة والبريد على جناح الطائر مع اشتغال رزق ابراهيم ولداً قبل فجر الخميس ٣ جمادى الثانية ١٣٥٣ و١٣ سبطامبر ١٩٣٥ ، اى فى اليوم الذى لا يحبه الافرنج ، ولكنه كان مباركا علينا ، اذ فى ذلك اليوم :

١ — وصل منتاح ابواب الجنة الثانية وهي اكبر سعادة لدينا من ذلك !

٢ — وفي ذلك اليوم قررت وزارة المعارف العراقية قبول ابراهيم في كلية حقوق بغداد .

٣ — وفي ذلك اليوم قرر البلاط الملكى استمرار ابراهيم في عمله من الصبح الى الظهر ، وفى الساعة ٣ بعد الظهر يذهب الى الكلية ، لانها قررت ان يكون وقت التدريس فيها من أول اكتوبر من الساعة ٣ بعد الظهر الى الساعة ٧ مساء . ولذلك يمكن لأبراهيم ان يكون موظفا في البلاط وتلميذا في الحقوق ومدتها ٣ سنين او ٤ اذا قبل اقتراح عميد الكلية على الحكومة .

فبارك الله فى المولود فى ذلك اليوم المبارك ، وقد سميناه وكنيناه باسم وكنية جدنا ابي يحيى زكريا بن ابراهيم الباروني المشهور بالعدل والعلم والثروة الخارقة والكرم الحاتمي فى القرن السادس كما تطلعون على خبره فى سير الشماخي (وقد اطلعت على سيرته فى صدر كتابنا هذا) وهو الذى رثاه

ابن اخته ابو نصر في قصيدته المطبوعة مع الدعائم . جعله الله شبيها به طويل عمر من رجال العلم والعمل للدين والدنيا ءامين (١)

أبدل الله الدرهم دينارا

لما بلغ اصدقاءنا اشتغال ابراهيم بجواز السفر وعزمه على الاستعفاء من الوظيفة لم يوافقونا واقترحوا السعي لدخوله في كلية الحقوق مع بقائه في الوظيفة ، ولما تحققنا امكان ذلك سعينا فتوفقنا فى الحال والحمد لله .

وفى ذلك فوائد :

١ — بقاؤه مع العائلة فيمكننى التردد على عمان

٢ — بقاؤه فى الوظيفة التى سيكون لها مستقبل بعد حصوله على شهادة الحقوق وتجنسه بالجنسية العراقية .

والسعي جار فى الحصول عليها من الآن ، وان لم تتوفر شروط الاقامة . وسنبشركم عن قريب ان شاء الله (فالله الاصدقاء المخلصون)

٣ — استفادة ٣ سنين بالنسبة لكلية بيروت التى كانت مدتها ٦ سنين وقررتها هذه السنة ٧ سنين

٤ — البعد عن دنس التبشير

٥ — استفادة ثلثين من النفقة ، فان نفقة بيروت لا تقل عن ١٠٠ دينار سنويا ، اما هنا فلا تبلغ ثلث ذلك تقريبا

٦ — استفادة مرتب وظيفة البلاط والمأمول زيادته

٧ — لو وقع لابراهيم في بيروت مثل ما حصل له فى مسقط من المرض مثلا لضاق بنا الفضاء : فانه لما ورد الى الخبر من مسقط أسرعت اليه في الحال واتيت

١) وهذا الشبل قد اشتهر اليوم باسم طارق ، وهو يزاول الآن دروسه الحربية ضمن البعثة الملكية الليبية في المدرسة الحربية بمصر حفظه الله ورعاه .

به الى بغداد ، اما لو حصل مثل ذلك فى بيروت لما وجدنا للمشكل حلا لاني ممنوع من دخول سوريا ، وما عندي من يقوم مقامي في الذهاب اليه .

اليوم تتم معاملة دائرة الشرطة فيما يخصها من حسن سيرته وبعد غد يقيد فى دفتر الكلية باذن الله .

وقد كتبت الى الصديق المتبرع بنفقة بيروت بما وقع وشكرت فضله فاستحسن ودعا بالتوفيق (ونية المؤمن خير من عمله) (١)

اليوم من الصبح والعمل جار فى احضار وليمة سيارة لبعض كبار البلاط أرادوا تناولها على ضوء القمر فى جزيرة وسط الدجلة قريبة منا ، وقد سبق لهم فى الشهر الماضي ان فعلوا ذلك ودعونى فاجبت .

هذا كله سهل بعد ان وطأت الارض قدم أبي يحيى الثاني فتفاءلنا خيراً .

ما لدي قلم يخط بعض ما يجب من الشكر والدعاء لكم بارك الله لكم في المال والاهل واحياكم سعداء موفقين لخير الدارين ، وسأكتب اليكم مفصلا بعد هذا ، وتحيتى الى الاخوان المخلص والجماعة اينما كنتم .

وصلتني كتبكم الثلاثة وسأجيب كلا عن كتابه بعد هذا ان شاء الله .

ابراهيم يقدم اليكم تحيته واحترامه ، ودمتم في عز وهناء من اخيكم :

سليمان الباروني

ثم انه حدثت به ازمة اخرى من عودة المرض الى ابراهيم وغيرها فصبر لها كذلك صبراً جميلا كعادته مع امثالها كثيراً ثم انفرجت

وفى هذه شدة وانفراجا يكتب الى الشيخ ابراهيم امتياز رسالة مؤرخة فى ٢٣ ذي القعدة ١٣٥٥ من بغداد تحت العنوان الآتي ، وهذا نصها :

١) سياتى مزيد بسط لقصه هذا الصديق الكريم

بشـــرى

(انما امره اذا ارا شيئا ان يقـول له كن فـيكون)

بغداد ٢٣ ذي القعدة ١٣٥٥

اما بعد ـ فقد وصل كتابك الكريم والفكر مشغول بمرض ابراهيم وغيره من العائلة والضائقة مشتدة ، والآن قد انقشعت الغمة فشفيت العائلة كلها وسيبارح ابراهيم المستشفى ليسافر لتبديل الهواء فى طرابلس اذا سمحت له ايطاليا والا ففى مصر او تونس اذا لم يمنع حسب اشارة الطبيب سهل الله ما صعب

كيف أنفرجت الازمة فجأة ؟

ذهبت الى المستشفى لأطلب خروج ابراهيم فوافق الطبيب على شرط سفره بدون تأخير لتبديل الهواء خارج العراق فحرت في الامر ، ولا أمل في وصول شيء من عندكم ، فقررت ان اطلب من ... قرض ٢٠ ديناراً وهو خارج بغداد ومستعد من قبل على اجابة طلبى عند الحاجة

فعدت الى البيت مساء لا كتب اليه ، ونفسي تحدثنى بأن الشدة بلغت منتهاها ولعل الفرج قريب

ولما دخلت البيت قيل لي ان على المكتب رسالة جاءتك من البلاط فظننت انها دعوة الى حفلة او ضيافة رسمية ، وقد مللت هذه الدعوات لما يترتب عليها من نفقة البيت أحوج اليها كاجرة سيارة ذهابا وايابا وغير ذلك مما لا طاقة لى على الدوام عليه .

لكن وجدتها من ناظر الخزانة الخاصة يقول فيها :

انه تلقى من جلالة الملك ارادة فى تخصيص ١٥ ديناراً (١٥٠٠ فرنك تقريبا) مرتبا شهريا لنا فحمدت الله على فتحه باب خير ما كان يخطر ببالي قط في وقت شدة ما كنت أظن انها تهون بسهولة ، ولكن الذي امره بين الكاف والنون

قال كن فيكون في لحظة ، سبحان الفعال لما يريد .

وقد عجلت لك بهذا ليطمئن قلبك وقلوب الاخوان الذين تألموا وتكلفوا لاجلي كثيراً .

أسافر الى عمان بعد سفر ابراهيم لآتى ببقية الكتب واصفى اموري التى هناك وأعود لاستأجر على ترجمة رسائل ومقالات فرانسية وايطالية وانكليزية تتعلق بحرب طرابلس لأنقل منها المهم فى التاريخ ، وكان فراغ اليد معطلا ترجمتها ، والشروع فى التدوين ، اما ما يمكن الحصول عليه من ثمن بقية الكتب فسأخصصه لطبع التاريخ والله المعين .

اما رئيس الوزارة فهو حكمة سليمان الذي كان السبب في هذا وهو اخو محمود شوكت باشا الصدر الاعظم ووزير الحربية العثماني وكان يجلني كثيراً وكان اخوه هذا يسمع منه الثناء علي كثيراً فلم يقصر هنا فى اظهار احترامي في كل مناسبة ، ولما وقع هذا الانقلاب وولي رئاسة الوزارة بادر باقتراحه هذا على الملك والمأمول غيره ان شاء الله ،

ونحن هنا لا ندخر وسعا لأن نسجل ثناءنا العاطر على أريحية جلالة الملك العربى الاسلامي وعلى مروءة وشهامة رئيس وزارته ووزير الحربية ورئيس اركان الحرب بكر صدقى باشا قائد هذا الانقلاب وعضد رئيس الوزارة القوى ، خلد الله ملكهم لاعزاز الاسلام واعلاء كلمة الله ، ونعد هذه سادسة مبرات آل الحسين لآل بارون كما تقدم .

ولا يفوتنا هنا ان نلفت نظر المبتلين الذين عثر بهم جواد الدهر بعد النعمة والرفاه ان يتخذوا امامهم البارونى باشا مثلا أعلى فى الوثوق بالله والايمان بلطفه وحكمته وفرجه والاعتماد عليه وتفويض الامور اليه والاتكال عليه وفي صبره الجميل وهمته وشهامته وعزة نفسه رغم المحن والشدائد والازمات .

ءالام البارونى باشا وءاماله

منذ ان دخلت حياته الحافلة ميدان العمل والكفاح كانت — بقدر ذلك — محفوفة بالآلام والآمال .

ولاتزال هذه وهذه تزداد خطورة واتساعا كلما اتسعت امامه ءافاق الاعمال الى ايامه الاخيرة ، شأن اصحاب النفوس الكبيرة والهمم العالية .

وقد رأى الاخ الملاحظ فيما اسلفنا عنه شيئا كثيراً من ذلك ولكن لا يمنعنا هذا ان نورد بعض نماذج من ذلك مزدوجا فيما ياتى حتى يدرك منه الى اين يبلغ الآلام والآمال بالنفوس فيتخذ من صبرهم الجميل للاولى درعا حصينا لتحمل الاهوال ، ومن صمودهم العتيد نحو الثانية سلما للصعود الى شواهق الكمال ، بلا وهن ولا ضعف ولا استكانة .

لقد رأى الاخ الباحث في ءاخر رسالته الاخيرة بالفصل السابق لما انفتحت امامه نافذة الفرج فجأة كيف انطلقت ءاماله نحو الامام فجأة ، فأخذ يضع الخطط للسفر الى عمان لتصفية اموره واتيان بقية كتبه منه واستئجار مترجمين لرسائل ومقالات من اللغات الاجنبية لاعداد العدة لتدوين كتابه تاريخ الحرب وطبعه الخ . وعلى هذا النمط رسائله الآتية :

١ — ما جاء في رسالة له الى الشيخ ابراهيم امتياز مورخة في ١٢ ذي الحجة ١٣٥٢ ما نصه :

واتمنى ان يمن الله علي باستراحة البدن والقلب فاكتب تاريخ حرب طرابلس من سنة ١٩١١ الى ١٩١٩ مدللا بالحجج الرسمية حتى ينكشف الغطاء عن كل ما كتمه اصحاب المقاصد او زادوه مما لا اصل له الخ ،

٢ ـ رسالة منه لاخيه هذا مورخة فى ٢٩ ربيع الاول ١٣٥٣ من بغداد ، وهذا نصها :

. . . ما اخرني عن المباشرة في جمع التاريخ الا وجود وثائق الحرب الاولى ١١-١٣ ووثائق ما جرى فى السلوم في اوائل الحرب الكبرى فى صندوق بقي في استانبول ولا يمكن جلبه بسهولة ويحتاج الى مصروف كبير ، لكن بعد ثلاثة اشهر يمكن جلبه الى بيروت عندما يكون ابراهيم هناك فيتسلمه بدون ان يضيع منه شيء وقت تفتيشه فى الجمرك ، اما الصناديق الاخرى الواردة له الى مسقط من قبل فقد جاء عن شأنها في رسالة له مؤرخة في ٢٠ ربيع الاول ١٣٥٥ ، هذا نص محل الحاجة منها :

. . . وعلى كل حال فكان عقد الصدمات قد انتهى وسقطت حبته الاخيرة بقضية الصناديق الواردة من مسقط في الاسبوع الماضى وهي انه قبل ان يصل ابراهيم المستشفى رأيت ان حالته فى ازدياد وانه لا تمكنني مفارقة بغداد فارسلت في طلب الصناديق الاربعة المحتوية على اوراق حرب طرابلس فى الحرب العامة فارسلت على ان يقبضها مرسلها وجاءت الورقة غير موقع عليها (سهواً) من المرسل فقدمناها للشركة فقالت لا نسلم الا للمرسل نفسه فحاولنا ان تقبل كفالة من شاءت من المعتبرين فقالت الا ان يكون الكفيل بنكا ، فقلنا ما اعظمها قضية ، صناديق ليس فيها الا اوراق ممزقة واكثرها مكتوب بقلم رصاص لا تسلم الا بكفالة بنك كأن بها تاج كسرى او جورج الخامس هذا ما لم يسبق مثله ولكنه شهادة على قيمة التاريخ الذي سيجمع منها ، واخيراً سعى احد العظماء وقبلت كفالته ، ووصلت امس البيت وقد اجتمعت الآن مواد التاريخ الاصلية ، ولولا اشتغالي بابراهيم لباشرت التدوين الخ ،

ثم قال فى رسالة اخرى منه الينا مؤرخة فى ٦ جمادى الثانية ١٣٥٥ فى هذا الشأن ما نصه :

. . . فاذا قدر الله لي الاستراحة عملت ما بقى من عمري ان شاء الله حيث

أجد راحتي ويسهل علي اتمام التاريخ الذى عرقل الشروع فيه ترجمة ما يلزمني للاستشهاد به مما كتبه مخابرو الصحف الانكليزيه والفرانسية والايطالية ، وهذا انما يتأتى لي فى تونس او الجزائر او مصر لوجود المترجمين اما هنا فلا يوجد الا بعض من يترجم الانكليزية ترجمة لا اعتمد عليها فى التاريخ خوف التكذيب والانتقاذ . ودمتم موفقين من المخلص : سليمان البارونى

ثم قال : وها هنا اطرق بابا كنت اريد تأخير الكلام عنه الى ءاخر شهر اغشت (اوط) ، ولهذه المناسبة اقول :

منذ نال ابراهيم شهادة البا كالوريا وانا افكر فى الطريق الذي يمكن معه اتمام تحصيله العالي في احدى الكليات ، ولتراكم المصائب منذ وصوله مسقط قادما ليستشيرنى فى أمر تحصيله العالي عجزنا عن البت في المسألة ، وقنعنا بان يمضي اوقاته فى اية مأمورية كانت ، حتى لا يقال اننا بمجرد خروجنا من طرابلس وانفصالنا عن الترك عجزنا عن الحياة واصبحنا لآ قيمة لنا ، فرضي بالوظيفة فى مسقط ، ولما اصيب بالملاريا هو والعائلة وكان ما عاملتموه ورجعنا الى بغداد شفى بأذن الله وتوظف فى البلاط حتى لا يقال اننا انما قبلنا فى بلاط مسقط مجاملة بوسيلة المذهب ، واننا فى بغداد لا شأن لنا .

ولا زال الاصدقاء يسعون لترفيعه ، ولكننا نحن نرى ان المسألة موقتة الى ان يفرج الله وقد فرج والحمد لله . فقد استخدم يوسف بمرتب خفيف الآن يكفيه .

وقد تعب من اجلي كثيرا بصحبته للعائلة ومرضه كابراهيم وجنونه الخ عين كاتبا لمدير الحارثية ، مزرعة الملك التي فيها مصيفه وفيها قصر الزهور البديع الذي شيده الملك فيصل لنزول من يزور العراق من الملوك وهي على مسافة نصف ساعة في السيارة من بغداد وقد انتقل يوسف اليها ويزورنا فى ايام الجمعة

هذا وقد علم احد المحبين على السماع من اغنياء الاسلام ان سبب قبولي توظيف ابراهيم وانقطاعه عن العلم هو عجز عن نفقة الكلية التي يدخلها فكتب الي يتعهد بما يلزم لذلك من النفقة الى ان ينال الشهادة العليا فأجبته بالموافقة شاكراً اريحيته ، وتقرر ان يدخل اولا الكلية الاميريكانية التي فى بيروت لسهولة ذلك بواسطته لصداقة بينه وبين رئيسها ، وقد قال رتبت ما يلزم .

فما على ابراهيم الا ان يتصد الكلية قبل افتتاحها بايام فيقبل وسيكون ذلك ان شاء فى اواخر سبتامبر (١)

وهذا امر كثير الاهتمام به لمستقبل ابراهيم فان الوظائف العالية اصبحت منوطة بالشهادات العالية والله اعلم بماذا يكون بعد عشرين سنه من التطور والرقى الذي ستصبح معه هذه الشهادات وحاملوها كلا شيء لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله .

وقد حمدت الله على تعطيله هذه المدة اذ درس فيها بعض ما يلزمه من جهة الدين وعرف رجاله واخوانه واصبح على يقين من فضله على غيره ، وارجو ان يكون من رجاله الذين يرفعون شأنه فى المستقبل باذن الله (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم) (لو اطلعتم على الغيب لأخترتم الواقع) فالحمد لله الذي فتح هذا الباب في احرج الاوقات عندي ومن حيث لا احتسب (لامن امرائنا ولا من ملوكنا ولامن ائمتنا) ومن يتوكل على الله فهو حسبه .

أنى سألاقي بعد هذا ازمات اخرى من اصعب ما لاقيت ، وبعد ان اشار اليها قال : اذا اتممتها رجعت الى عمان خفيفا من كل الوجوه حراً لأتردد على بغداد الى ان تتم الخمس سنين وانال التابعية فاننا الى اليوم (انا وابراهيم) لا

---

(١) سبقت اشارة الى هذا المحسن الكريم فى صفحة ١١١ ضمن الكلام عن عدول الباشا عن هذا البرنامج الى برنامج له رءاه احسن

تابعية لنا وانما نسافر بتذكرة سفر مسقط موقتا .

لان تركيا لم تقبل تجديد تابعيتي ولا دخولي الى بلادها كبقية الدول معتذرة — ظاهرا — بما كتبته ضد حركاتهم اللادينية .

والدنيا مضطربة جداً ولو حدث شيء لبقينا كغنم لا راعى لها فنجبر على تابعية ايطاليا التي امتنعت منها اكثر من عشرين سنة ونقع في محاذير خطيرة

اما اذا بقيت منفرداً فلا خوف على غزال فى الصحراء ولا على طائر فى الهواء ولا على تمساح في الماء .

ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، اخاف ان يفوتني البريد فلنختصر الكلام الآن .

سليمان الباروني

ثم قال في ملحق لهذا ما نصه :

من طرق الخلاص سفري الى عمان موقتا (لكن هذا تعذر بتقرر سفر ابراهيم الى الكلية وباستخدام يوسف خارج بغداد) فلا يمكن ترك العائلة وحدها .

فلم يبق طريق الا ان تسعوا لما اقترحته سابقا وهو شراء مقدار من مطبوعاتي (الازهار - الحضرمى - المسند) ولو ٥٠٠ نسخة بالثمن الذي تقررونه فاذا وفقتم الى ذلك فعرفوني ببيان العدد من كل مصنف لأرسل الى مصر فى تجليدها بالقماش وارسالها بالعنوان الذي تبينونه .

واني في انتظار جوابكم على احر من الجمر مع اول بريد جوي ، وارجو ان تتوفقوا فيخف علي حمل هذه المطبوعات البالغة نحو ثلاثة عشر الف مجلد الباقية فى مصر منذ ٢٠ سنة يلعب بها الفار ويعلوها الغبار .

بعد المقالات والمحاضرات كثر زوارنا من علية القوم الذين لم يسبق التعرف بهم فاضطررت بمناسبة الحر ان اسلم لصاحبة البيت اجرة ٤ اشهر مقدما من تلك

النفحة الالاهية التى لم تكن فى الحساب وجاد بها الاخوان فادخلت النور الكهرباءي الى البيت فضاء بعد ان كنا نستضيء بسراج الغاز التى اتينا بها من مسقط وقصور جيراننا تلألأ بالانوار ، وفي وقت تركيب الكهرباء مر صديق كبير امام البيت وصادفني في الطريق (وقد كنت أرسلت يوسف ليستأجر لنا مروحة بالشهر لانها غالية الثمن) فقال بعد ان دخلت الكهرباء البيت تلزمكم مروحة فقلت قد ارسلت يوسف الى السوق في شأنها ، فقال لا تشتري فان عندى مروحة لا حاجة لي بها اقدمها لك فشكرته .

وفى الحال ارسلها ، فاصبحت غرفتنا كجيراننا منورة بالكهرباء وفيها مروحة ، والحمد لله مغير الاحوال .

٢ — ومما يبرهن عن شدة ءالامه ان تكاد تبلغ درجة الغليان احيانا عن شئون المسلمين واحوال الاسلام عموما واحوال عمان وميزاب خصوصا ما ورد في رسالة له الى بعض اخوانه من بغداد مؤرخة فى ٢١ صفر ١٣٥٥ وهذا نص محل الحاجة منها هنا :

. . . كلما نظرت الى حالة عمان والى ما يجري عندكم من الشقاق والفتنة العمياء اعترتنى حالة لا اقدر ان اصفها وزادتني غما عما انا فيه ! الخ

٣ — ومن ذلك ما سبق ذكره من انه أصيب فجأة بمرض ضغط الدم حتى أشرف به على الخطر ، أثر مقال حرره دفاعا عن ١٣ شابا طرابلسيا سلمتهم فرانسا بتونس لأيطاليا الخ

اهداف البارونى باشا ومطامحه

قد علمت ايها الاخ الباحث من الفصل السابق الشيء الكثير من ءاماله وهي تدل بسهمها الغليظ على مراميه البعيدة ، واهدافه ومطامحه العليا .

ولأتمام هذا الموضوع وتشخيصه نورد هنا بعض نماذج له من ذلك فيما يلي

١ — قصيدة له كتبها اثناء الحرب العمومية في سنه ١٣٣٣ - ١٩١٥ فى شأن شعر رأسه وءالى ان لا يحلقه وان يبقى كذلك منذ حرب طرابلس ١٩١١ ١٩١٣ الى ان يقع ما ءالى عليه والا بقى كذلك الى الممات ، وهذا نصها :

هذا هو الشعر الذي شهد الحروب الهائلات
وعليه امطرت القنا بل كالصواعق نازلات
خاض المعامع لا يهـا ب على الجياد الصافنات
حبا لتطهير الموا طن من بني الايطاليات
ءاليت ان يبقى الى ان يعبر الجند القناة (١)
ونرى الغزاة على ضفا ف النيل تفتك بالبغاة
ونرى طرابلس العزيـ ـزة فى ليال باهرات
تختال فى برد الهنا لـلانتصار على الطغاة
وتسود اعلام الخليـ فة فى البلاد الضائعات (٢)
ونرى الهلال متوجا جزر المحيط الخالدات
اذ ذاك يحلق بين افـوا ج الاعاظم والغزاة
ما بين تهليل وتكـ ـبير وتقديم الصلات

(١) الجند العثمانى مارا بقناة السويس نحو مصر وشمال افريقية ، ذلك هو برنامجهم في حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ لو ساعدهم القدر

(٢) يعنى تسود اعلام الخليفة العثمانى تونس والجزائر ومراكش الى جزر المحيط الاطلانتيكي

صورته وهو بالشعر الذي ءالى على نفسه ان لا يحلقه الى ان يعبر الجند القناة

صورته وفوق ركبتيه حفيده زكريا طارق

فيكون عنوان الفتو ح مدى العصور الدائرات
او هكذا يبقى اذا لم ننتصر حتى الممات
يا من وعدت المسلمين النصر امنن بالحياة

عاطفة تسيل

بمناسبة أخذ الباروني باشا رسما له تذكاراً لاقامته في بغداد وعدم ظهور شعره فيه من خلفه ، وبمناسبة بروز العدد ٥١ من جريدتنا « الامة » في اول مرحلتها الثانية فى ١٢ شعبان ١٣٥٤ قلت الابيات الآتية ونشرت فى العدد نفسه اسفل الرسم تحت العنوان اعلاه ، وانا اسائل ذلك الظل ، وقد اهتز لها الباشا ووعد ان يجيبني عن ذلك السؤال شعراً ، ولكن المصائب والمحن حالت دون انجاز وعده ولعل ابياته ناجزة في اعلاقه ، ونصها :

يا ظل !

أعجب بظل حامل شمس العلا والمكرمات
طيف بطي شعاعه بدر الوفا كنز الهداة
رسم «الباروني» قد حوى أسمى المعاني والصفات
رمز الجلال بل الكما ل بل المعالي الرائعات
جمع الفتوة والكهو لة والشيوخة بالثبات
يلقي على اهل الجمو د خياله أقسى العظات
يهدى الشباب بسمته كيف الرجولة والحياة
الدين والدنيا معا لا للعراة او الغلاة
لكنما فى عزة الا سلام سيماء الشراة

* * * *

يا ظل ما اسماك - ما أعلى جلالك فى الغزاة
كم ذا تقل من العظا أم بين ابطال حماة
كم خضت في الاهوال عز ما فى الميالي الحالكات
بين المدافع والقنا بل والاسنة والظباة
فوق الخيول الصافنا ت اللاعبات الراقصات
والنقع في جو السما يحكي سحاب (البيرنات)
والاسد تزأر لافترا س رءوس اجلاف الطغاة
ذوداً على مجد البلاد ان لا تعيث به العتاة

* * * *

يا ظل ما ابهى سنا ك لدى الوجوه الناضرات
قد كنت « طيفا » ناحلا تدمى القلوب القاسيات
فكساك ربك نضرة لما شربت من الفرات
وقد انجلت منك الملا مح بارزات زاهرات
كم ذا تكن النفس فيـ ك من الامانى الغاليات
ماذا ترى عيناك من بعد الى ما هو ءات
ماذا يفكر ذلك الرأ س العظيم بذي الحياة ؟
ما لي اراه — مجردا مما به باهى الكماة
اوما حلفت وقلت في تلك اللآلي اللامعات ؟
(ءاليت ان يبقى الى ان يعبر الجند القناة !)

* * * *

يا ظل ما اغلاك فيـ نا بين الطاف الصلات
فاذا السياسة حجرت مرءى العظيم عن السرات

فلنعم ذي مرءاته يا ظل انت لدى الهواة
ولنعم انت النائب الاعلى لدى جمع الاباة
والظل أحسن ملجا فى الحر بل كهف النجاة
الروح تنعش والقلو ب بأنس طيفك طافحات
والعين تمتع والنفو س لفرط عزك زاهيات
ومنازل الخلان مع ردهاتها متباهيات
ترجو من الله التلا قي قبل ابان الممات
والجمع بينكما بها بين الزهور الباسمات

* * * *

٢ — ابيات قالها في بعض مناسبات مرت الاشارة اليها ، تشف عن ءاماله ومطامحه . ومطلها :

يودون موتي ولكنني على رغم انفهم لا اموت

٣ — ابيات قالها كذلك وحماس البطولة يفور منها ، وشرر الرجولة يتطاير منها ، وقد مرت في بعض مناسبات :

هي النوائب لي فلا ارضى بها للخاملين

هذه مطامحه فى دور كهولته وقد اقتحم معامع الحروب وخاض غمارها وحنكته تجاريبها .

واما مطامحه فى دور شبيبته وهو لا يزال بين الاقلام والمحابر والصحافة والمنابر ، ففي ديوانه للاخ الباحث غنية ، وله بين غرر قصائده الذ بغية واعز منية ولكنا لا يسعنا الا ان نورد هنا فى هذا الباب نموذجا منها :

لما عزم على السفر من وطنه العزيز طرابلس الغرب الى مصر فى سنة ١٣٢٤ وفى نفسه ءالام ممضدة عن وطنه شرحها بعد ، وءامال فسيحة فسرتها اعماله بمصر

من نشر جريدة وانشاء مطبعة وطبع كتب وخوض معامع الخطابة، انشأ القصيدة الآتية مودعا وطنه ونشرها في العدد الاول من جريدته « الاسد » وهذا نصها:

وداعا يا ديار العز حتى ... أعود اليك في اهنا نهـار
اذا ما نحو قطرك مد خط ... « حديدي » الى تلك القفار
ونور (الكهرباء) اتاك يسعى ... وقيل «الماء» فى البيـداء جار
وطهرت العيـون وقام حزب ... (بمعدنك) النفيس وبالاثار
وشيدت المدارس واستقامت ... رجالك واكتست ثوب الفخار
وخاطب فيك «بالتلفون» خل ... يريد البحث عن حال التجار
وحررت «الجرائد» واستعدت ... « مطابعها » الى نشر القرار
ورقيت (الصنائع) واستفاقت ... شبيبتـك الحليفة للديار
وجاب الشهم منها الارض علمـا ... وخاض بحزمه لج البحـار
وجارى في السياسة من اروبا ... رجالا زاحموا قطب المدار
وابدى الكد مخترعا مجداً ... يجر النفـع من تحت الستـار
هناك تكون يا وطن المعالي ... غزير العلم مجتمع النضـار
يسود المرء فيك ينال عزا ... بحوز الامن يطمع في انتصار
رزقت بـدولة تسعى دواما ... لتهذيب الكبار مع الصغار
وما نجع الدواء وما استفاقوا ... لحبهم الدمار على العمار
الا يا قوم قد نمتم طويلا ... وهمتم بالجهالة فى البـرار
فهل من يقظة تشفي غليـلا ... وتمحوما استوى من سحب عار
فهموا واصدقوا فالصدق فيكم ... عريق واحفظوا حق الديار
والا فالوداع وكل قطر ... به الاسلام يصلح للقـرار

* * * *

قلت : لقد احسنت مجلة « صوت المربى » الطرابلسية ، اذ نشرت صورة : « طرابلس الجديدة » ونشرت تحتها القصيدة الآنفة . وكتبت تحت صورة طرابلس هذه العبارة « صورة طرابلس الجديدة كما يتمناها الشاعر الكبير سليمان باشا البارزنى او ما بمعناها .

والخلاصة : ان البارونى باشا اجمل مطامحه كلها فى هذين البيتين السالفين:

نلت الصدارة في كل المواطن لا ... كن لا رجال ولا مال يؤيدني - يقوينى
لو كان لى كالورى مال لنلت به ... للمنهج الحق اعلى مركز مدني - دينى

من نشر جريدة وانشاء مطبعة وطبع كتب وخوض معامع الخطابة، انشأ القصيدة الآتية مودعا وطنه ونشرها في العدد الاول من جريدته « الأسد ، وهذا نصها:

وداعا يا ديار العز حتى ... أعود اليك في اهنا نهـــار
اذا ما نحو قطرك مد خط ... « حديدي » الى تلك القفار
ونور (الكهرباء) اتاك يسعى ... وقيل «الماء» فى البيـداء جار
وطهرت العيـون وقام حزب ... (بمعدنك) النفيس وبالاثار
وشيدت المدارس واستقامت ... رجالك واكتست ثوب الفخار
وخاطب فيك «بالتلغون» خل ... يريد البحث عن حال التجار
وحررت «الجرائد» واستعدت ... « [illegible]ها » الى نشر القرار
ورقيت (الصنائع) واستفاقت ... شبيبتـك الحليفة للديار
وجاب الشهم منها الارض عالمـا ... وخاض بحزمه لج البحـــار
وجارى في السياسة من اروبا ... رجالا زاحموا قطب المدار
وابدى الكد مخترعا مجداً ... يجر النفـع من تحت الستـار
هناك تكون يا وطن المعـالي ... غزير العلم مجتمع النضـــار
يسود المرء فيك ينال عزا ... يحوز الامن يطمع في انتصار
رزقت بـدولة تسعى دواما ... لتهذيب الكبار مع الصغار
وما نجع الدواء وما استفاقوا ... لحبهم الدمار على العمار
الا يا قوم قد نمتم طويلا ... وهمتم بالجهالة فى البـرار
فهل من يقظة تشفي غليـلا ... وتمحوما استوى من سحب عار
فهموا واصدقوا فالصدق فيكم ... عريق واحفظوا حق الديار
والا فالوداع وكل قطر ... به الاسلام يصلح للقـرار

* * * *

قلت : لقد احسنت مجلة « صوت المربى » الطرابلسية ، اذ نشرت صورة : « طرابلس الجديدة » ونشرت تحتها القصيدة الآنفة . وكتبت تحت صورة طرابلس هذه العبارة « صورة طرابلس الجديدة كما يتمناها الشاعر الكبير سليمان باشا البارزنى او ما بمعناها .

والخلاصة : ان الباروني باشا اجمل مطامحه كلها فى هذين البيتين السالفين:

نلت الصدارة في كل المواطن لا ... كن لا رجال ولا مال يؤيدني - يقويني
لو كان لى كالورى مال لنلت به ... للمنهج الحق اعلى مركز مدني - دينى

آراء الباروني باشا في المشاكل الكبرى

لما اوتى الباشا من قوة ايمان ونور بصيرة وجودة فهم ورحابة صدر وسعة حلم وسلامة قلب ونزاهة نفس وغزارة علم وحرية رأي وحسن تقدير ، كان تفكيره واسع الافق ، لا ينحصر في حدود ضيقة ، وكان ينبع عن تلك المنابع الصافية لا يعرف مصانعة ولا مداهنة ولا مداجاة ، ولا يصدر عن دافع غرض او شهوة الانتقام او حبا في شهرة .

فهو ان نصح فللمصلحة وان حذر فعن مضرة وان بشر فبالعزة وان نذر فبالخطر . وان أمر فحبا وان نهى فشفقا وان وجه فالى غايات شريفة وان رمى فالى اهداف عليا وان اشتد فمن اجل الدين والامة والوطن وان تسامح ففي حق نفسه .

على هذا المنوال كان تفكيره في المشاكل العالمية العامة كسياسي كبير من ساسة العالم الانساني .

وتفكيره في المشاكل الاسلامية الكبرى كعظيم من عظماء الاسلام وتفكيره في المشاكل العربية الاسلامية كرجل معدود من رجالات العروبة والاسلام .

وتفكيره في المشاكل الوطنية الداخلية كوطني صميم من ابناء البلاد .

ومن هذا لا يهاب في ابداء رأيه دولا ولا ملوكا ولا زعماء ، وكم تحمل في هذا السبيل عدوان دول ، وطغيان ملوك ، وغطرسة زعماء فعاش في نطاق من حصار الحرمان ضحية رأيه لو شاء لعاش كاعز ملوك الارض ، ولكن على غير رأيه وعلى غير مبدإه الذي يعتقد انه الحق .

مما لا يخفى ان آراءه تدور حول ثلاثة اصناف من المشاكل :

الاول - المشاكل العالمية

١ — منها مشكلة نزع السلاح ، وهي المشكلة المعقدة التي اعجزت جبابرة العقول عن حلها الى اليوم .

فقد قدم الباشا مذكرة مستفيضة في ١٠ ديسمبر ١٩٣٢ الى مؤتمر نزع السلاح لعصبة الامم بجنيف تحت عنوان : « لا سلم مع الاستعمار » دعمها بحجج دامغة وبيانات مدققة ، لو سار عليها المؤتمر لما كانت البشرية لا تخرج من مأزق الا الى مأزق آخر الى الآن ، وقد نالت المذكرة مقاما كبيراً في المؤتمر وكان لها صدى دوي في انحاء العالم ، وقد تناقلت شركات البرق والصحافة نصوصها وعلقت عليها بما يتفق ووجهات النظر الدولية .

وقد ارسل الى اخيه هذا في شأن هذه المذكرة رسالة من بغداد مؤرخة في ١٨ شعبان ١٣٥١ لخص فيها موجزاً للمذكرة . وهذا نصها :

. . . بمناسبة الجدال الحاصل بين بريطانيا وفارس على شركة النفط قدمت رسالة الى مؤتمر نزع السلاح . ربما تطلعون عليها في بعض صحف مصر او جنيف اذا نشرت وتشتمل على الفصول الآتية :

١ — انجح عمل لمنع الحرب الغاء الاستعمار

٢ — لا أمل في السلم مع الاستعمار لتعطش المستعمرات الى الثورة .

٣ — سبب انتصار الحلفاء في حرب ١٩١٤ وفشل اعلان الخليفة للجهاد

٤ — ندم المستعمرات على عدم الثورة في حرب ١٩١٤ اقتداء بطرابلس .

٥ — استعداد المستعمرات للثورة وقبول المدد من الاعداء في الحرب المنتظرة .

٦ — صعوبة امداد الثوار سابقا ١١-١٢

٧ — سهولة امداد الثوار في حرب ١٤ بواسطة الغواصات

٨ — سهولة امداد الثوار في الحرب المقبلة بواسطة الطيارات

٩ — تزايد اعداء دول الاستعمار في الحرب المقبلة .

١٠ ـ تحقق هزيمة الاستعمار في الحرب المنتظرة .

١١ ـ نصيحة الى دول الاستعمار وايطاليا خاصة .

وسأرسل لكم نسخة . والسلام من اخيكم : سليمان الباروني

اما نص المذكرة فها هو ذا فيما يلي : (١)

حضرات المحترمين اعضاء لجنة نزع السلاح في عصبة الامم المحترمة .

لمناسبة اشاعة توتر العلائق بين دولتي بريطانيا وايران من يومين لأجل شركة النفط رأيت ان أقدم لحضراتكم رأيا في منع الحرب وتحذير الدول منها .

١ - أنجح عمل لمنع الحرب هو الغاء الاستعمار

أرى رجال الدول المعظمة التي بيدها تسيير دفة العالم مهتمين بامر السلم العام ساعين في عقد مؤتمرات وابتكار اراء لمنع الحرب ، واخر ما تمركزت عليه فكرتهم هو تخفيض السلاح بمنع الزيادة عن الموجود منه او باتلاف انواع مخصصة منه الى غير ذلك مما قرأناه في الصحف .

هذا كل ما دارت عليه افكارهم وهذا كل ما امكن ان يخطر لهم ببال ، لكنهم عدلوا او تغافلوا عن الجهة التي لو طرقوا بابها لأتفقوا فيما نظنه على الامر الوحيد الذي يستأصل الحرب ويحقق سلما مستمراً غير مشوب بشك ولا كدر : « تلك هي جهة الاستعمار »

فلو اتفقوا على الغاء الاستعمار لما بقيت لآلات الحرب قيمة وانقلبت معاملها الى دور تجارية محضة وانقطعت مطامع الدول المحرومة من المستعمرات وصمت

(١) حياة سليمان باشا الباروني ص ١١٧-١٢٤

الاذان عن سماع دعاياتها المزعجة وصارت الامم كلها كعائلة واحدة مشتركة في الربح (*)

٢ - لا أمل في السلم مع بقاء الاستعمار

لتعطش المستعمرات الى الثورة !

اما والاستعمار باق واستعباد الامم القوية للامم الضعيفة مشروع فلا راحة ولا امل في ابطال الحرب طال الزمان ام قصر ، وزادت آلات الحرب ام نقصت ام انعدمت ورجع الناس الى التضارب بالحجارة والعصي والسيوف (١)

لان الامم المستعمرة - بالفتح - بلغت حالة لا يمكنها معها الصبر على ما تعانيه من الارهاق ومن معاملتها معاملة الحيوانات العجم المسخرة ، بحيث لو حاول كاتب وصف حالها لكان كتابته اشبه شيء باساطير الاولين وحكايات الفراعنة المتألهين .

لهذا تنبهت كلها وارشدتها الحرب العظمى الماضية الى طريق خلاصها الذي كانت تجهله من قبل ، فهي تتحين الفرص وترقب باعين ساهرة بريق اول شرارة لحرب عامة لتقوم باضرامها ببسالة في جبهاتها غير مبالية بالمسيطرين والمتنفذين فيها بواسطة الاستعمار لضمان انتصاره .

٣ - سبب انتصار الحلفاء في حرب ١٩١٤

وفشل اعلان الخليفة للجهاد !

لأجل ايضاح هذه العبارات المجملة نردفها ببيان مختصر ، وان لكم من

(*) انظر هذا الراي السديد الذى قاله الباشا في سنة ١٩٣٢ كيف كان مدار ساسة العالم الآن فى سنه ١٩٥٥-٥٦ ، وماذا يلاقى المصرون على الاستعمار من جحيم الثورات .

(١) اليست الحرب العالمية الثانية برهانا على ذلك ؟

معلوماتكم البديهية ومقتضيات وظائفكم الحربية والسياسية ما يمكنكم من معرفة أعم اسباب انتصار دول الاستعمار في الحرب الكبرى ، وفشل اعلان الخليفة للجهاد فقد اعلنت الحرب العظمى سنة ١٩١٤ وأعلن خليفة المسلمين الجهاد المقدس وكاد اعلانه يؤثر فى العالم الاسلامي ويقلب سير الحرب رأسا على عقب لكن دول الحلفاء غمرت رجال مستعمراتها بالاحسانات وملأت اسماعهم بالمواعيد الخلابة والامانى التي صورت لهم مستقبلهم على فرض انتصار الحلفاء جنه فردوس فقاموا يقولون لمن يحرضهم على الجهاد في المغرب والجزائر وتونس ومصر والهند وغيرها « ليس من المروءة ان نحارب دولة تحكم بلادنا فى وقت اشتباكها في حرب مع اعدائها ، بل يجب ان نؤيدها وبعد الانتصار نناقشها الحساب ونأخذ منها « استقلالنا » بوجه قانوني ونبقى اصدقاء ! »

هذا ما كانوا يقولونه لمن كانوا غافلين عما يراد بهم في النهاية مغترين بالوعود اللامعة فتطوعوا بملايين من رجالهم الاقوياء واموالهم الخالصة والتى ذهبت طعمة لمدافع ورشاشات اخوانهم العثمانيين فى مدخل الدردنيل باب دار خلافتهم ومباءة عزهم وفى ميادين العراق والشام وقنال السويس واليمن ، ولنيران المانيا والنمسا وغاراتهما الماحقة فى ميادين اروبا الا طرابلس الغرب فانها لبت دعوة الجهاد وثارت فى وجه ايطاليا فسلمت نفوسها واموالها من التلف بل استفادت من المدد ما جعلها مدة الحرب كلها في ارغد عيش ولم تخسر من رجالها فى المحاربات عشر ما خسرته تونس المجاورة لها (١)

---

١) كل ذلك واقع فقد استغل الحلفاء بله وغفلة المسلمين الى اقصى حدود الاستغلال مقابل مواعيد خلابة ثم جازتهم جزاء سنمار فماذا فعلت انقلتيرا بالعرب فى جزيرة العرب ازاء ثورتهم لفائدتها ضد دولتهم العثمانية ، وماذا فعلت بمصر ؟ وماذا فعلت فرانسا بشمال افريقيا ازاء امدادها لها بمئات الآلاف من الرجال وملايين الاموال ، وقد ضحت تونس وحدها بـ ٤٥ الفا من خيرة شبابها في هذا السبيل .

٤ - اساءة الدول لمستعمراتها

وندم المستعمرات على عدم الثورة !

قدر الله النصر للحلفاء باعانة المستعمرات فدكوا صرح الخلافة الاسلامية والشرق أجمعه دكا واملوا مواد الذل والسيطرة على امد طويل على الاعداء المقهورين حرفا حرفا ورجعوا الى كراسيهم حاملين الوية النصر يتبخترون لكنهم لم يفكروا قط في تخفيف آلام وويلات مستعمراتهم التي افنت رجالها واموالها في نصرتهم ونسوا كل مواعيدهم المؤكدة لها ، بل باشروا فى التنكيل بكل من نطق بكلمة اعطونا نصيبنا أوفوا بعهدكم الذي عاهدتمونا عليه .

فأعدموا رجالا كاملين وزجوا آخرين في السجون المظلمة وشردوا كثيرين الى الآفاق السحيقة وشتتوا عائلات كثيرة لها تاريخ في مختلف الاقطار وصادروا ما بقي من الاموال فى ايدي الذين اقعدهم الدهر بين ايديهم وضيقوا على من لم يترك له مجال للتنفس فكأنه في صندوق مغلق وهذه الاعمال جارية الى اليوم فى اكثر المستعمرات والجهات .

فالاعراض تهتك بدون مبالات والاموال تسلب بلا حساب والارواح تزهق بدون ثمن ، والنفوس الابية تجرع كئوس الهوان من غير سبب .

لما ذكرناه كله نرى امم المستعمرات تعض اصابعها ندما على عدم اقتدائها بطرابلس ، وعلى تقاعسها عن اجابة دعوة الخليفة الى الجهاد متحققة انها لو فعلت ذلك لأنتصر الخليفة وحزبه وكان الشرق أجمعه يرفل في حلل السعادة .

٥ - استعداد المستعمرات للثورة

وقبول المدد من الاعداء فى الحرب المنتظرة !

بناء على ما تقدم يجب ان توقن دول الاستعمار بأنه لو تعلن حرب عمومية

فانها سوف لا تقدر ان تستعين برجل واحد او درهم واحد من مستعمراتها ولا توثر وعودها الحلوة في احداً ابداً كالمرة الاولى بل تصبح الثورة متفجرة في كل مستعمرة يقودها الرؤساء ، ولا استثني من ذلك رؤساء الاحزاب الوطنية فى البلدان الحائزة للقب « الاستقلال » المظلومة بمعاهدات استعمارية وتمديدها الى ابعد مدى طالبة المدد من كل من يقدمه لها من اعداء دول الاستعمار ولا بد من ان تصافحها اكف هي اسخى من كف حاتم وتجود عليها بالمال والسلاح والضباط لنيل استقلالها وكسب مودتها فى النهاية . وليست طرق امداد اليوم بصعبة كالسابق ، فقد كان — مثلا — لايصل العتاد الحربي من استامبول الى مجاهدي طرابلس الغرب فى اقل من ٤٠ يوما في حرب ١١-١٢.

ولما ترقت المواصلات صار يصل اليها في ستة ايام فقط فى حرب ١٤ ، ولا يحتاج اليوم الى اكثر من ست ساعات على كل حال . اليكم التفصيل :

٦ - صعوبة امداد الثوار سابقا ١٩١١-١٩١٢

كان امداد الثوار صعبا بواسطة البواخر والمراكب المهربة ، وان الدولة العثمانية خاطرت بسلاح كثير واموال عظيمة ، خسرتها فى سبيل امداد مجاهدي طرابلس الغرب سنة ١١-١٢ .

ولما كانت وسائل النقل منحصرة في المراكب الشراعية والتجارية وكان الاسطول الايطالي يتلقاها فى عرض البحر فيغنم بعضها ويلتجيء البعض الى موانىء فرانسا فتحجزها والبعض يرمي حمولته فى البحر عندما يشاهد اسطول ايطاليا يقتفي أثره .

وكانت النقود والضباط لا تصل من استامبول الى مواقع المجاهدين الا بعد ان تمر ببلدن اروبا متنكرة الى باريس ومنها الى مرسيليا ومنها الى تونس ثم

تسير فى البر الى دواخل طرابلس مع كل مخاطرة وزمن طويل لا يقل عن اربعين يوما ، اذا سلمت من الجواسيس ولم يعترضها مانع .

ولهذا لم تطل مدة الحرب واضطرت الدولة الى التسليم لأيطاليا وعجزت حكومة الآستقلال الوطنية بعد اشهر عن المقاومة لما انقطع عنها المدد ونفد ما بايديها والتجأت الى اراضى تونس وسلمت سلاحها لفرانسا (١)

٧ - سهولة امداد الثوار

بواسطة الغواصات فى حرب ١٩١٤

ولما ترقت وسائط النقل ولم يبق للاسطول قيمة فى تعطيلها ، أمكن للدولة العثمانية ان تمد مجاهدي طرابلس الغرب — مدة الحرب الكبرى كلها — وكانوا لا يقلون عن عشرين الف مقاتل بكل ما يحتاجون اليه من نقود ذهب أو فضة وانواط عثمانية وفرانساوية وسلاح ومدافع مع كل لوازمها وثياب وخيام وسكر وقهوة وشاي وواقيات الغاز الخانق وءالات التليفون وءالات اللاسلكي والضباط على اختلاف رتبهم .

وكانت عازمة على ارسال طائرات قبل الهدنة بقليل وكل ذلك بواسطة الغواصات التي كانت تخترق البحر الادرياتيكي والبحر الابيض فى ستة ايام فقط سائرة في رابعة النهار حتى تنزل حمولتها على ساحل طرابلس مطمئنة وتعود حاملة ما اشترته من محصولات طرابلس غير مكترثة باساطيل الحلفاء بل كانت الاساطيل تتجنب طريقها وتحذر ملاقاتها خوفا من ان تفتك بها كما شاهدنا ذلك بأعيننا ، وكثيراً ما مرت امام سواحل الادرياتيك الايطالية نهاراً وهي على سطح البحر وفتكت بمراكب في البحر الابيض وركاب الغواصه على ظهرها

---

١) كما بينا ذلك فى نهاية الطور الاول من جهاد البارونى باشا بهذا الكتاب .

يصورون بئالاتهم المراكب والنار تلتهما وهى تتدهور الى قعر البحر والامواج تتقاذف ركابها المشرفين على الغرق وصياحهم يرن فى الفضاء مستغيثين ولا يغاثون الى ان يزدردهم البحر وتقذف بهم الامواج بعد ايام الى سواحل بني غازى او سواحل طرابلس اشلاء ممزقة فيذكي منظرها في المجاهدين حماسة لا توصف ويضاعف عزائمهم بالفوز والنصر النهائي .

٨ - سهولة امداد الثوار في المستعمرات

بالطيارات والغواصات في الحرب المنتظرة !

وسيكون ايصال المدد للثوار أسهل وأسرع مما ذكرناه بكثير في الحرب المقبلة ، اذ ترقت وسائط النقل الى حد بعيد ، والثورة اذا ظهرت في مستعمرة تظهر فى اطرافها البعيدة حيث المركز الصغير للحكومة فتكتسحها وتغنم سلاحها ولو كان قليلا فيكون نواة لتأسيس مركز للمقاومة بعيداً عن قوة الدول المشغولة بحرب مع اعدائها . فأخلوا الجو لطائرات الاعداء فتأتى بالليل وتلقى اعلانات للثائرين تعدهم فيها بانها مستعدة لامدادهم .

وما المدد في اول الثورة الا الدرهم والدينار وجانب من الخرطوش المناسب لسلاحهم وهو سهل الحمل على الطائرة ، فاذا رجعت فى المرة الثانية وقد انتشر خبرها امكنها النزول بامان ومفاوضة الثوار وتعود في الليلة المقبلة حاملة معها احد الثوار الى حكومتها للاستفسار منه ووضع خطة الامداد على علم واساس متين فاذا عادت في المرة الثالثة ومعها رفيق الثوار وبيده النقود والهدايا وبصحبته ضابط لتنظيم الامور انتهى كل شيء على ما يرام وعادت الطائرة تاركة فيهم من النشاط والآمال اللذيذة ما يجعل كل من يبلغه الخبر ملتحقا بهم فتتقدم الثورة متأججة بسرعة الى سواحل البحر البعيدة عن المدن ومراكز القوة والحصون ، واذ ذاك تباشر الغواصات اعمالها بنشاط ويمكن ابقاء الطيارات

معهم للكشف والتنشيط ولا تحتاج الى مطار اذ يسهل عليها ان تنزل حيث شاءت امنة في الاماكن الفسيحة ، وقد يتم هذا كله فى شهر واحد ولا يكلف الدول المعادية لدول الاستعمار حملا ثقيلا ، ولو بعد مركزها من مركز الثورة لان الثوار من طبعهم القناعة والتجلد وانتظار النصر ولا يهمهم طول الزمن ولا شك فى ان هذه الافكار مختمرة في ادمغة منظمي الحرب المنتظرة من اعداء دول الاستعمار وانهم يخترعون الطائرات اللائقة لهذه الخدمة المخصوصة ويرسمون الخطط الكاملة لنجاحها ويرتاد جواسيسهم من الآن الاماكن المناسبة لنزولها ليعينوها فى الخريطة كما لا شك في ان هذا كله يختلج في صدر كل رئيس وفرد من امم المستعمرات المعذبة ! (١)

٩ - تزايد اعداء دول الاستعمار

فى الحرب المقبلة

ستكون في الحرب المقبلة اكثر عدداً منها فى الحرب السابقة اذ تلحق بها الدول التى أفلست من الغنيمة ولم تستفد من الانتصار ولو دية قتلاها والدول التى التزمت الحياد لم تجن من ورائه ربحا يذكر ، والدول التي اكتسبت العداوة لأسباب جديدة وغيرها ممن يضمر الحسد للمستعمرين .

وبهذا نصبح مراكز الطائرات والغواصات المعدة للغارة على المستعمرين ولأمداد الثائرين كثيرة وقريبة منها فى كل جهة فتقوم بما تكلف به بكل سهولة .

---

١) أليس الامر واقعا كله اليوم كذلك فى تونس والجزائر ومراكش كما تنبأ به البارونى باشا في سنة ١٩٣٢ ؟ (احذروا فراسة المؤمن فانه بنور الله يبصر)

١٠ - النتيجة

تكون النتيجة ان تحقق الهزيمة على دول الاستعمار فى الحرب الآتية ولا نقف عند هذا الحد فى البيان مع انه كاف لتنوير الاذهان فى الموضوع الا اننا نقول سائلين : هل يتصور احد مع ما ذكرناه امكان انتفاع دول الاستعمار من مستعمراتها ويتصور انتصارها في الحرب المقبلة كالمرة الاولى ! ؟

اما نحن فنجيب عن هذا السؤال من الآن بالنفى القطعي بدون تردد . واما اركان حرب جيوش الاستعمار فلها رأيها ، وكم رأينا لها من غلطات فادحة في ءارائها واعمالها في الحرب السابقة مما ادركته بنفسها على كل حال (١)

١١ - نصيحة الى دول الاستعمار

وايطـــاليا خاصة

واني أعقب هذا بنصيحتى الى دول الاستعمار وايطاليا خاصة فأقـول : اذا كانت الدول تبحث باخلاص نية عما يقى العالم شر حرب مدمرة سينصب بلاؤها كله على عواصمها العظيمة الجميلة الحافلة بالعجائب والغرائب والمشحونة بخـلاصة امها التى تحرص على سعادتها .

فلتبادر بتقرير الغاء الاستعمار وتحرير الامم المحكومة ، والاتفاق على سن قانون لتدريب الامم المستعمرة واعانتها على النهـوض ببلدانهـــا بادارة مستقلة توافقها وتنتفع بخيراتها متعاونة مع الشركات واصحاب الفن من اوروبا .

وهذا أمر في طريق التحقيق عاجلا او ءاجلا .

---

١) ربما يقول قائل : ها هم أولاء الحلفاء قد خرجوا من الحرب العالمية الاخيرة بالنصر المؤزر فأين تنبؤات البارونى باشا هذا ؟ فنقول : الجواب هو طرابلس ومصر والسودان والهند والدونوسيا وبيرمانيا وكوريا والهند الصينية والاردن وتونس ومراكش والجزائر (ويخلق الله ما لا تعلمون)

فالواجب على الدول المبادرة اليه بدون حدوث محن وكوارث على العالم(١) ونتمنى ان تبادر حكومة ايطاليا بتحرير طرابلس الغرب التى اوقفت الحرب معها بموجب عهد اقتضاه الوضع والوقت سنة ١٩١٩ تعهدت به حكومتها السابقة وصدق عليه مجلسا النواب والاعيان ، وتوجه جلالة الملك عمانويل بارادته الملكية وبوشر تطبيقه ثم الغى بدون سبب مشروع .

مقدمه عضو مجلس الاعيان العثماني سابقـا

ووالي وقوماندان طرابلس الغرب في الحرب العظمي

سليمان الباروني

جواب رئيس المؤتمر

ثم فان رئيس مؤتمر نزع السلاح لعصبة الامم بجينيف المستر هندرسون وزير خارجية انقلتيرا اجاب سعادة الباروني باشا عن تقريره الهام الآنف الذكر برسالة شكر وثناء ، هذا نص ترجمتها — نقلا عن خط البارونى باشا نفسه :

مستر بارونى المحترم ـ عضو مجلس الاعيان العثماني السابق .

اشكركم على تقريركم المهم حول عدم التسلح .

بالنظر الى عودة المانيا الى المؤتمر والى المواد التي حصلنا عليها بنتيجة اعمال ومفاوضات السنة الماضية ، اؤمل كثيراً بأن المؤتمر سيتخذ فى برهة الثلاثة ألاشهر القرارات الحاسمة التى يرتكز عليها النجاح النهاءي .

واذا تحقق هذا الامل فاعتقد اننا سنتمكن من تجهيز وتصديق نظام عدم التسليح الذي يمكن التوقيع والتصديق عليه فى بحر هذه السنة ، وهذا مما يلائم

---

١) لقد حدث ما تنبأ به البارونى باشا من محن وكوارث على العالم فى حرب العالم الكونية ١٩٣٩-١٩٤٥ ، اي بعد نحو ٧ سنين من تنبوئه اذ لم تبادر الدول بحسن الاصغاء اليه ؛ كما أخذ ذلك الامر يتحقق للامم على الاثر .

١٠ - النتيجة

تكون النتيجة ان تحقق الهزيمة على دول الاستعمار فى الحرب الآتية ولا نقف عند هذا الحد فى البيان مع انه كاف لتنوير الاذهان فى الموضوع الا اننا نقول سائلين : هل يتصور احد مع ما ذكرناه امكان انتفاع دول الاستعمار من مستعمراتها ويتصور انتصارها في الحرب المقبلة كالمرة الاولى ! ؟

اما نحن فنجيب عن هذا السؤال من الآن بالنفى القطعي بدون تردد . واما اركان حرب جيوش الاستعمار فلها رأيها ، وكم رأينا لها من غلطات فادحة في ءارائها واعمالها في الحرب السابقة مما ادركته بنفسها على كل حال (١)

١١ - نصيحة الى دول الاستعمار

وايطـــاليا خاصة

واني أعقب هذا بنصيحتى الى دول الاستعمار وايطاليا خاصة فأقـول : اذا كانت الدول تبحث باخلاص نية عما يقى العالم شر حرب مدمرة سينصب بلاؤها كله على عواصمها العظيمة الجميلة الحافلة بالعجائب والغرائب والمشحونة بخـلاصة امهما التى تحرص على سعادتها .

فلتبادر بتقرير الغاء الاستعمار وتحرير الامم المحكومة ، والاتفاق على سن قانون لتدريب الامم المستعمرة واعانتها على النهـوض ببلدانهـا بادارة مستقلة توافقها وتنتفع بخيراتها متعاونة مع الشركات واصحاب الفن من اوروبا .

وهذا أمر في طريق التحقيق عاجلا او ءاجلا .

---

١) ربما يقول قائل : ها هم أولاء الحلفاء قد خرجوا من الحرب العالمية الاخيرة بالنصر المؤزر فأين تنبؤات البارونى باشا هنا ؟ فنقول : الجواب هو طرابلس ومصر والسودان والهند واندونوسيا وبيرمانيا وكوريا والهند الصينية والاردن وتونس ومراكش والجزائر (ويخلق الله ما لا تعلمون)

فالواجب على الدول المبادرة اليه بدون حدوث محن وكوارث على العالم(١) ونتمنى ان تبادر حكومة ايطاليا بتحرير طرابلس الغرب التى اوقفت الحرب معها بموجب عهد اقتضاه الوضع والوقت سنة ١٩١٩ تعهدت به حكومتها السابقة وصدق عليه مجلسا النواب والاعيان ، وتوجه جلالة الملك عمانويل بارادته الملكية وبوشر تطبيقه ثم الغى بدون سبب مشروع .

مقدمه عضو مجلس الاعيان العثماني سابقـا

ووالي وقوماندان طرابلس الغرب في الحرب العظمي

سليمان الباروني

جواب رئيس المؤتمر

ثم فان رئيس مؤتمر نزع السلاح لعصبة الامم بجينيف المستر هندرسون وزير خارجية انقلتيرا اجاب سعادة الباروني باشا عن تقريره الهام الآنف الذكر برسالة شكر وثناء ، هذا نص ترجمتها — نقلا عن خط الباروني باشا نفسه :

مستر باروني المحترم ـ عضو مجلس الاعيان العثماني السابق .

اشكركم على تقريركم المهم حول عدم التسلح .

بالنظر الى عودة المانيا الى المؤتمر والى المواد التي حصلنا عليها بنتيجة اعمال ومفاوضات السنة الماضية ، اؤمل كثيراً بأن المؤتمر سيتخذ فى برهة الثلاثة ألاشهر القرارات الحاسمة التى يرتكز عليها النجاح النهائي .

واذا تحقق هذا الامل فاعتقد اننا سنتمكن من تجهيز وتصديق نظام عدم التسليح الذي يمكن التوقيع والتصديق عليه فى بحر هذه السنة ، وهذا مما يلائم

---

١) لقد حدث ما تنبأ به البارونى باشا من محن وكوارث على العالم فى حرب العالم الكونية ١٩٣٩-١٩٤٥ ، اي بعد نحو ٧ سنين من تنبوئه اذ لم تبادر الدول بحسن الاصغاء اليه ؛ كما أخذ ذلك الامر يتحقق للامم على الاثر .

شعور الامم في انحاء العالم ورغبتهم فى تاسيس سلم مستقر مع عدم التسليح .

أسمحوا لي ان اعبر لكم عن أملي الشديد بأنكم ستواظبون على تقديم جميع المعلومات والمساعدات التي تتمكنون من ابدائها الينا في برهة الاشهر العصيبة القادمة .

واؤكد لكم مع تشكراتى على تقريركم انني المخلص اليكم ،

٩ مارس ١٩٣٣ الرئيس : هندرسن

٢ — ومنها بيان كيفية الغاء الاستعمار :

رسالته الثانية الى مؤتمر نزع السلاح

ثم ان البارونى زاد فأرسل الى مؤتمر نزع السلاح رسالة ثانية مجيبا وشارحا وملاحظا في ٢٤ مارس ١٩٣٣ ، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

بغداد ٢٨ ذي القعدة ١٣٥٣ ـ ٢٤ مارس ١٩٣٣

حضرة صاحب الفخامة المحترم المستر هندرسن رئيس مؤتمر نزع السلاح في جمعية الامم بعد تقديم الاحترام اللائق بمقامكم الرفيع . أعرض اني تلقيت بيد الاجلال كتابكم الكريم المؤرخ فى ٩ مارس ١٩٣٣ وتلوته بلسان التعظيم شاكراً عواطفكم العالية وتنزلكم لرد الجواب عن رسالتى .

ان دخول جرمانيا المحترمة في المؤتمر يعد من اكبر موفقيات جمعيتكم الموقرة تستحق التهنيئة عليه .

لكن هل يؤمل اتفاق مطالب جرمانيا مع مطالب فرانسا المتضادتين ؟

وعلى فرض اتفاقها هل يؤمل اتفاق قرارات الجمعية النهائية مع ما تنتظره الامم المستعبدة من نيل حريتها واعتبارها من نوع الانسان حتى تكون

الجمعية عملت لأجل سعادة الانسان لا لأجل سعادة اوروبا خاصة !

وهذا انما يتحقق كما قلته فى رسالتي الاولى بالغاء الاستعمار .

ولأجل دفع ما تتوهمه دول الاستعمار من ضياع حقوقها بالغاء الاستعمار زيد الآن ايضاحا للموضوع بانه يجب :

١ — رفع الحماية عن الممالك ذات الصبغة الحاكمية من قبل والغاء المعاهدات التى عقدت معها فى حال ضعفها وتجديد معاهدات معها تضمن مصالح الدولة التى كانت حامية لها وغيرها بطريقة عادلة وقبولها عضواً فى جمعية الامم .

٢ — ابدال الاستعمار الموجود في المستعمرات البختة بانتداب حقيقى ، واستفتاء الامم المستعبدة بواسطة الجمعية في الشكل الذي تختاره لحكومتها الوطنية الى ان تتأهل لعقد معاهدة والدخول فى الجمعية .

٣ — عدم حصر الامتيازات فى دولة مخصوصة بل يكون للمؤسسات المالية مطلقا الحق فى الاشتراك فيها انما يكون للدولة المنتدبة النصيب الوافر وللحكومة الوطنية النصيب الاوفر ولغيرهما الباقى .

لان الامتيازات هي السبب الوحيد الذى يسوق الدول الى الحرب .

٤ — جعل مدة المعاهدات المذكورة والامتيازات غير طويلة وقابلة للتعديل حتى يمكن الصبر عليها الى ان تنتهى بدون نزاع اذا ظهر جورها واجحافها بحقوق الوطنين .

٥ — تبديل عبارة (حرية الاديان) التى تذكر فى المعاهدات لمقاصد سياسية بعبارة (احترام الاديان والحكم بالعقاب الصارم على من يهينها) حتى لا يبقى محل للتبشير الذى أصبح أقوى منفر للشرقي خصوصا العالم الاسلامي من دول اوروبا .

فان الدين الاسلامي متفق تمام الاتفاق مع المدنية الصحيحة في كل زمان

شعور الامم في انحاء العالم ورغبتهم فى تاسيس سلم مستقر مع عدم التسليح .

أسمحوا لي ان اعبر لكم عن أملي الشديد بأنكم ستواظبون على تقديم جميع المعلومات والمساعدات التي تتمكنون من ابدائها الينا في برهة الاشهر العصيبة القادمة .

واؤكد لكم مع تشكراتى على تقريركم انني المخلص اليكم ،

٩ مارس ١٩٣٣ الرئيس : هندرسن

٢ — ومنها بيان كيفية الغاء الاستعمار :

رسالته الثانية الى مؤتمر نزع السلاح

ثم ان البارونى زاد فأرسل الى مؤتمر نزع السلاح رسالة ثانية مجيبا وشارحا وملاحظا في ٢٤ مارس ١٩٣٣ ، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

بغداد ٢٨ ذي القعدة ١٣٥٣ ـ ٢٤ مارس ١٩٣٣

حضرة صاحب الفخامة المحترم المستر هندرسن رئيس مؤتمر نزع السلاح في جمعية الامم بعد تقديم الاحترام اللائق بمقامكم الرفيع . أعرض اني تلقيت بيد الاجلال كتابكم الكريم المؤرخ فى ٩ مارس ١٩٣٣ وتلوته بلسان التعظيم شاكراً عواطفكم العالية وتنزلكم لرد الجواب عن رسالتى .

ان دخول جرمانيا المحترمة في المؤتمر يعد من اكبر موفقيات جمعيتكم الموقرة تستحق التهنيئة عليه .

لكن هل يؤمل اتفاق مطالب جرمانيا مع مطالب فرانسا المتضادتين ؟

وعلى فرض اتفاقها هل يؤمل اتفاق قرارات الجمعية النهائية مع ما تنتظره الامم المستعبدة من نيل حريتها واعتبارها من نوع الانسان حتى تكون

الجمعية عملت لأجل سعادة الانسان لا لأجل سعادة اوروبا خاصة !

وهذا انما يتحقق كما قلته فى رسالتي الاولى بالغاء الاستعمار .

ولأجل دفع ما تتوهمه دول الاستعمار من ضياع حقوقها بالغاء الاستعمار زيد الآن ايضاحا للموضوع بانه يجب :

١ — رفع الحماية عن الممالك ذات الصبغة الحاكمية من قبل والغاء المعاهدات التى عقدت معها فى حال ضعفها وتجديد معاهدات معها تضمن مصالح الدولة التى كانت حامية لها وغيرها بطريقة عادلة وقبولها عضواً فى جمعية الامم .

٢ — ابدال الاستعمار الموجود في المستعمرات البختة بانتداب حقيقى ، واستفتاء الامم المستعبدة بواسطة الجمعية في الشكل الذي تختاره لحكومتها الوطنية الى ان تتأهل لعقد معاهدة والدخول فى الجمعية .

٣ — عدم حصر الامتيازات فى دولة مخصوصة بل يكون للمؤسسات المالية مطلقا الحق فى الاشتراك فيها انما يكون للدولة المنتدبة النصيب الوافر وللحكومة الوطنية النصيب الاوفر ولغيرها الباقى .

لان الامتيازات هي السبب الوحيد الذى يسوق الدول الى الحرب .

٤ — جعل مدة المعاهدات المذكورة والامتيازات غير طويلة وقابلة للتعديل حتى يمكن الصبر عليها الى ان تنتهى بدون نزاع اذا ظهر جورها واجحافها بحقوق الوطنين .

٥ — تبديل عبارة (حرية الاديان) التى تذكر فى المعاهدات لمقاصد سياسية بعبارة (احترام الاديان والحكم بالعقاب الصارم على من يهينها) حتى لا يبقى محل للتبشير الذى أصبح أقوى منفر للشرقي خصوصا العالم الاسلامي من دول اوروبا .

فان الدين الاسلامي متفق تمام الاتفاق مع المدنية الصحيحة في كل زمان

لتأسيسه على تقديس الاديان السماوية كلها ، ونشر كل ما فيه فضيلة وابطال كل ما يعد خبيثا ، ويحث على تعمير الارض وتعميم الامن والمساوات بين افراد الانسان بدون فرق بين اسود وابيض ، وكل هذا صريح في القرءان المقدس يفهمه كل من تامل فيه بانصاف وراجع التفاسير الاسلامية المعتبرة بدون التفات الى ترجمة اللغات الاجنبية المحرفة قصداً او جهلا باللغة العربية وبلاغة القراءن الكريم .

اذاً — فلا حاجة الى مناهضة الدين الاسلامي العداء بوسيلة التمدين لأن الاسلام قانون المدنية العالية الطاهرة .

وأظن ان المبشرين الافاضل تسعهم اوروبا وامريكا وروسيا لنشر مراشدهم وتوزيع صدقاتهم ، وفي ذلك كفاية لنيلهم الثواب الجزيل الذين يسعون له من عند الله .

هذا ما ظهر لفكري القاصر في هذه الساعة ، واعتقد أنه رأى أكثر مفكري المسلمين والشرق الذين يتمنون حصول التئاخي والسلم العام بين سكان الارض بواسطة جمعيتكم المحترمة ، وفي الختام اغتنم هذه الفرصة لتقديم احترامي الفائق .

المخلص : سليمان الباروني

نص جواب المؤتمر

جينيف ١ مايو ١٩٣٣

سيدى العزيز سليمان الباروني

قرأت كتابكم المؤرخ فى ٢٤ مارس باهتمام زائد واشكركم اذ وضعتم تحت نظرى وجهة النظر الخاصة بالمساواة بين الشعوب والاديان التى تعتقدون انها تسود الطبقة المفكرة في العالم الاسلامى . وثقوا باني المخلص لكم .

هندرسن

رسالته الثالثة الى مؤتمر نزع السلاح

شرح وتحليل

بغداد ٢٠ محرم ١٣٥٢ هـ ٢٤ ماي ١٩٣٣ م

حضرة صاحب الفخامة المحترم المستر هندرسن رئيس مؤتمر نزع السلاح في جمعية الامم .

تشرفت بكتابكم العالي المورخ فى ١ مليو ١٩٣٣ .

وارجو ان تسمحوا لي بان أبين لفخامتكم انه ليس مقصدي في رسالتى الاولى والثانية مجرد بيان امانى الاقوام الاسلامية فقط بل مقصدي هو ان تلك الامانى اذا حصلت على أيدي جمعية الامم المؤقرة تكون خير وسيلة لمنع الحرب وتحديد السلاح .

فانه اذا رفعت الحمايات كما فى المادة الاولى من رسالتى الثانية المورخة في ٢٤ مارس ، وابدال الاستعمار بالانتداب الصحيح كما فى المادة الثانية منها ، ولم تحصر الامتيازات فى دولة مخصوصة كما في المادة الرابعة . واحترمت الاديان كما في المادة الخامسة . أصبح العالم كله صديقا للجمعية وضداً لمن يسعى للحرب مطلقا فتضطر المانيا أن تقنع بما تناله من الربح لمشاركتها فى الامتيازات وبعض الانتدابات التى ستكون عوضا عن الاستعمار وحينئذ لا تبقى لها رغبة فى التسلح ولا يبقى لفرانسا وبريطانيا حرصهما القديم على محافظتهما على التفوق فى السلاح حيث انه لا حاجة اليه ، فان الممالك المحمية ستنال استقلالها ويبقى للدولة التي كانت حامية حق التقدم على غيرها بالحصول على النصيب الوافر من الامتيازات فقط ، وتنقلب المستعمرات لى منتدبات مؤقتة تنال استقلالها بعد بضع سنين ، ويكون للدولة التى كانت منتدبة حق التقدم ايضا على غيرها

بالحصول على النصيب الوافر من الامتيازات فقط . فعلى أى شيء يكون الحرب بعد هذا ؟ واي حاجة تدعو الى إنفاق الملايين من الذهب في سبك الحديد وتذويبه والامم تموت جوعا ؟

وبهذا ايضا تنال ايطاليا نصيبها فى الارباح من الامتيازات وتسكن حدتها وهيجانها .

وهذا فيما نظن يسهل على المانيا الاندماج فى الكتلة الاوروبية فتبقى الروسية الشيوعية صاحبة الخطر العظيم على العالم كله منفردة وتعجز عن تنفيذ خطتها .

اما اذا فشل مؤتمركم واتفقت الروسيا مع المانيا وايطاليا وتركيا وصار مضيق البوسفور والدردنيل ممراً حراً لسيول الروسيا التى تومل ان تملأ البحر الابيض بها ، فلتودع اوروبا الشرق كله مل الآن الوداع الاخير اذ لابد من حصول ما ذكرته في رسالتى الاولى المؤرخة في ١٠ كانون الاول ١٩٣٢ من ثورة المستعمرات كلها ووصول دعايات اليها بسرعة (١)

وبمناسبة ذكر البوسفور والدردانيل ، أقدم لفخامتكم ثلاث نسخ من رسائل كنت قدمتها ايام احتلال الحلفاء لأستامبول لممثلي الدول العظمى .

---

١) اين انت يا مؤتمر نزع السلاح ؟ واين انت يا مستر هندرسن الآن ؟ لقد رايتم تنبؤات الباروني باشا فى سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٣ ، مجرد امانى واحلام لاتصدر الا عن الدراويش ، ولكن ماذا حققته سنة ١٩٣٩- ١٩٤٥ ؟ وماذا هو واقع الى الآن ١٩٥٦ ؟ فهل بقيت الحمايات والمستعمرات الى الآن بين ايديكم كما كانت فى سنة ١٩٣٢ ؟ واين الشرق كله الآن منكم ؟ او لم ترجعوا الآن الى كثير من ءارائه عن قصد او غير قصد ؟ ولاسيما قضية الامتيازات ولكن بعد خراب البصرة (ويخلق الله ما لا تعلمون)

وقد تحقق بعض ما ذكرته فيها قبل وقوعه وفيها كلام على الدردنيل والبوسفور ألفت نظر فخامتكم اليه .

وهو وان كان مكتوبا فى ذلك الوقت بالنسبة الى مركز الخلافة والخليفة لكنه ينطبق الآن على حكومة الجمهورية التركية فانها اقدر من غيرها على محافظة المضيقين (الدردانيل والبوسفور) كما شهدت بذلك التجربة في الحرب العظمى وبانضمامها الى الكتلة الاوروبية يتقوى جانبها ويضمن السلم العام .

وتفضلوا بقبول احترامى .

المخلص سليمان البارونى

جواب المؤتمر

جاء جواب المؤتمر هذه المرة فاتراً اذ ورد منه بواسطة سكريتيره لا من الرئيس هندرسن ، حيث كان المؤتمر اذ ذاك غير مجتمع ، وقد ظهرت علامات فشله واضطرابه . وهذا نصه :

جينيف - عصبة الامم - ١٥ يوليو ١٩٣٣

ان دائرة سكريتيرية عصبة الامم تتشرف بابلاغ السيد سليمان البارونى وصول كتابه المؤرخ فى ١٤ مايو ١٩٣٣ ، وانه يختص بموضوع خارج عن دائرة اعمال سكريتيرية عصبة الامم .

رسالته الرابعة

حول خروج المانيا من عصبة الامم

ثم ان البارونى باشا حرر فى ٢٧ رجب ١٣٥٢ - ١٥ نفامبر ١٩٣٣ حول هذه المشكلة الخطيرة رسالة قيمة وهي الرسالة الرابعة الى اعضاء لجنة نزع السلاح في عصبة الامم وضمنها الفات نظرهم الى حل مشكلة فلسطين .

وقد نشرت الجامعة العربية نص الرسالة فى تاريخ ١٣ شوال ١٣٥٢ كانون الثاني ١٩٣٤ تحت العنوان التالي :

الزعيم سليمان باشا الباروني

ينتصر لقضية فلسطين

ارسل الزعيم الطرابلسى الكبير سليمان باشا الباروني نزيل العراق الكتاب التالي الى لجنة نزع السلاح فى عصبة الامم :

بسم الله

حضرة اصحاب الفخامة اعضاء لجنة نزع السلاح في عصبة الامم المحترمين .

شرفنى كتابكم عن رسالتى الثالثة وانا في مستمط وقد عدت الآن الى بغداد وبمناسبة ما احدثه خروج المانيا المحترمة من العصبة الجليلة من الانزعاج وتشاؤم العالم من فشل مؤتمركم .

ولمناسبة ما يجري من الفظائع المؤلمة في فلسطين العربية المظلومة المنكوبة بالصهيونية تلك الفجائع التى هزت العالم الاسلامي اجمعه والعالم العربي على الاخص أرجو باسم السلم العام من مجلسكم الموقر اعادة النظر فى رسائلي المتقدمة اليكم فى تاريخ ١٠ كانون الاول ١٩٣٢ وتاريخ ٢٤ مارس ١٩٣٣ وتاريخ ٢٤ مايو ١٩٣٣ ، فانى واثق بأنكم تستحسنون نظريتى في منع الحرب وتحديد السلاح وكل محب للسلم يؤمل ان تتوفقوا بحكمتكم الى اعادة جرمانيا الى حظيرة العصبة كما توفقتم الى ادخالها فى لجنتكم اولا فيزول الخطر .

وان تعاد الى فلسطين حقوقها المهضومة فتسكن العاصفة ، فان الصهيونيين ولو بلغوا الملايين لايحمون أنفسهم في فلسطين فضلا عن ان يحموا السكة الحديدية والمطارات وانابيب البترول اذا انفجر بركان حرب عامة واشتغلت الدول الكبرى بمصائبها الداخلية وانفتحت ابواب المدد للامم المقهورة كلها من الخزائن المعدة لذلك كما فصلته لمجلسكم فى رسالتي الاولى المورخة في ١٠

كانون الاول ١٩٣٢ . وفي الختام أقدم احترامى الفائق .

المخلص : سليمان الباروني

٢ - المشاكل الاسلامية العامة

١ - الوحدة الاسلامية التامة

كان له في هذه القضية الكبرى منذ بروزه الى ميدان العمل رأي خاص — كأفذاذ قادة الاسلام — يدعو اليه بشغف وغرام في كل مناسبة . وذلك:

اولا — برجوع المسلمين كلهم الى كتاب الله وسنة رسول الله كما كانوا عليه في عهد الصحابة رضي الله عنهم قبل نشوب الخلاف .

ثانيا — باعتبارهم أئمة المذاهب الاسلامية كغيرهم من علماء الاسلام فقط .

فمن ذلك ما نص به في تقرير له حول رسالة والده المرحوم « سلم العامة والمبتدئين » بعد كلام طويل فى افتراق مذاهب الاسلام ، قال :

« . . . فمتى يأتي يوم لا يذكر فيه المسلمون في الشرق والغرب الا الله ورسوله وكتابه ، ولا يذكرون الائمة الا باسم علماء كغيرهم من علماء الاسلام فيصبح الدين واحداً والمذهب واحداً لا طرق ولا مذاهب ، واذ ذاك يزول الشقاق ويتحد الرأي فيطلبون الانضمام الى خليفة واحدة كما كانوا على عهد الصحابة الراشدين أيام الخليفتين بالاتفاق أبى بكر وعمر رضي الله عنهما (١)

---

١)ص ٤٧ — طبع مطبعة النجاح بمصر فى ذى الحجة الحرام ١٣٢٤هـ ، ويقرب من رائه هذا قول قطب الائمة الشيخ طفيش رحمه الله اذ قال في كتابه « التيسير » في تفسير قوله تعالى (واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا) الآية ما نصه : والنزاع الآن فشا في اهل التوحيد فملكهم اهل الشرك .

ومن ذلك ما نص به فى منشور له مورخ فى غرة رمضان ١٣٢٥ ، وقد وزعه فى جريدته « الاسد الاسلامي » ضمنه أسئلة يطلب من علماء الاسلام الاجابة عنها :

وهذه الاسئلة تدل بفحواها على اتجاهات تفكيره يومئذ وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على رسوله الامين وءاله الطاهرين

صورة ما ارسلناه

الى معتبري هداة الامة علماء وادباء الفرق الاسلامية وفقهم الله

المرجو من حضرتكم — ايها الاستاذ — الذى سنعتمد على اقواله واقوال امثاله ممن تمسك بالمذهب المحترم ، امعان النظر في المقالة المحررة تحت عنوان (الجامعة الاسلامية) في جريدة « الاسد الاسلامي » الآتية اليكم مع هذا . ثم بعد اطلاق عنان الفكر بحثا وراء عين الحقيقه نطلب ابداء ما اقتضاه نظركم السامي من الجواب عن الاسئلة الآتية بايجاز غير مخل بالمراد خدمة للجامعة والدين ولحضراتكم الثواب والشكر ويكون الامضاء هكذا :

حرره فلان الفلانى البالغ من العمر كذا سنة فى البلدة الفلانية بشهر كذا سنة ١٣٢ .

الاسئلة

١ — هل توافقون على ان من أقوى أسباب تفرق المسلمين تعدد المذاهب وتباينها ؟

ولو رجعوا الى مذهبنا في الاصول او اغضوا عن مسائل الخلاف كأن لم تكن وكانوا يدا واحدة لغلبوا على اهل الشرك واهل الشرك الآن مشغولون بالاحتيال فيما يملكون به غيرهم الخ ج ٢ ص ٧٩١ .

٢ — على فرض عدم الموافقة على ذلك فما هو الامر الآخر الموجب للتفرق؟

٣ — على فرض الموافقة فهل يمكن توحيدها بالجمع بين اقوالها المتباينة والغاء التعدد في هذا الزمن الذى نحن فيه أحوج الى الاتحاد من كل شيء ؟

٤ — على فرض عدم امكان التوحيد فما الامر القوي المانع منه فى نظركم وهل لازالته من وجه ؟

٥ — على فرض امكان التوحيد فاي طريق يسهل الحصول على النتيجة المطلوبة ؟ واي بلد يليق فيه ابراز هذا الامر ؟ وفى كم سنة ينتج ؟ وكم يلزم له من المال تقريبا ؟ وكيف يكون ترتيب العمل فيه ؟

٦ — وعلى كل حال فما الحكم فى الساعي فى هذا الامر شرعا وسياسة أمصلح أم مفسد ؟

هذا ولسنا بناشرين مما ياتينا فى هذا الباب شيئا حتى يجتمع لدينا المطلوب الكافي لتكون الافكار مستقلة لا يقتبس بعضها من بعض ، والا دارت على محور واحد وذلك مما لايفي بغرضنا .

ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله . وعلى حضرتكم السلام

سليمان الباروني(١)

---

١) لسنا ندرى ما هو اثر هذا المنشور من هداة الاسلام وقادته اذ ذاك ، وهل اجاب بعضهم عن اسئلته ام لا ؟ وغاية ما نعلم ان تجاوبا بين انحاء العالم الاسلامي قد رن صداه نحو هذه الدعوة فتأسست جمعيات للتوفيق بين مذاهب الاسلام ؛ وانعقدت مؤتمرات تهدف نحو هذه الاهداف العالية .

٢ ـ حول المؤتمر الاسلامى العام

لمناسبة انعقاد المؤتمر الاسلامي العام فى القدس سنة ١٣٥٠ ، لاحظ الباروني باشا فى مقرراته بعض ملاحظات هامة حررها كمـواد اضافية مقـرونة بشرح اسبابها ، وأرسل الينا صورة منها نسجلها نقلا عن خطه حرفيا فيما يـلى قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة اعضاء الهيأة التنفيذية للمؤتمر الاسلامي العام الموقر ـ وفقهم الله .

السلام عليكم ورحمة الله

اما بعد — فاني أقدم لـكم تهنيئتى بتوفيق الله رجال الاسـلام الى عقد المؤتمر الاسلامى العام الذي طالما تمنت الامة الاسلامية انعقاده .

ثم أعرض رأي فى بعض المواد التي قررها وفى غيره خدمة للاسلام والمؤتمر

١ — كما انتخب المؤتمر هيأة من خيرة الاعضـاء لقضية السـكة الحديدية الحجازية يجب انتخاب هيأة كـذلك من ثلاثة اعضاء للبحث عن اوقاف الحرمين الشريفين المهملة والمأكولة في كـثير من الاقطار الاسلامية والمطالبة باعادتها الى مرجعها .

٢ — انتخاب هيأة كـذلك لمطالبة عصبة الامم بالغاء عهد « بلفـور » القاضى بجعل فلسطين العربي ومنه البيت المقدس وطنا قوميـا وملكا لليهود الصهيونيين وهو لأصحابه العرب من زمان بعيد وللعالم الاسلامي من الف وثلاثمائة وخمسين سنة .

٣ — انتخاب هيأة كـذلك لمطالبة حكومة انقـرة باعادة الآثار النبـوية الطاهرة الى مرجعها (المدينة المنورة او مصر)

٤ — انتخاب هيأة تطوف الاقطار الاسلامية لتشويق ملوكها وامرائها ووزراء اوقافها واغنيائها الى شراء ما يباع من اراضى فلسطين وجعلها وقفـا

مؤبداً لا يبدل على مساجد ومدارس ممالـكهم بشرط ان تبقى في ايدي اصحابها او غيرهم من عرب فلسطين باجرة خفيفة تنفع ، ولا يستصعبها العاملون فيها .

٥ — تقدير نفقات مكـتب المؤتمر على سبيل التقريب لمدة سنة واحدة .

٦ — تقدير نفقات الهيئات المذكورة لمدة سنة ايضا .

٧ — تقدير مبلغ احتياطي يحفظ امانة فى مصرف مصر الاهـلي او غيره في مصر .

٨ ـ الاعلان عن هذه المبالغ في الصحف وترغيب اهل المروءة في التـكرم بها ثم اعلان حصولها بمجرد اجتماعها فى صندوق المؤتمر .

٩ ـ لا لزوم لأنشاء كلية في القدس فى السنين القريبة ولا نقـل رفاة رجال الاسلام اليه من بعيد .

١٠ ـ وجوب دعوة المؤتمر الى الاجتماع فى كل سنة الى ثلاث سنين على الاقـل .

١١ ـ السعي لأنعقاد المؤتمر المقبل في مصر في ميعاده المقـرر ٢٧ رجب سنة ١٣٥١ (١)

شرح اسباب المواد المذكورة

اما سبب انتخاب الهيئات المذكورة فهو الاقتصاد فى النفقة وامكان سرعة المباشرة فى تنفيذ المقررات

واما سبب المادتين ١ـ٢ فواضح ولامراء فى انها من صلاحية المؤتمر الذي

---

١) يستفاد من هذا ان المؤتمر هذا قد وقع انعقاده فى ٢٧ رجب سنة ١٣٥٠ بمناسبة ليلة المعراج اذ اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم فى اصح الروايات ليلة ٢٧ رجب قبل الهجرة بنحو سنة ونصف .

أصبح لسان العالم الاسلامي

واما سبب المادة ٣ فهو ان الآثار النبوية الطاهرة كانت محفوظة محترمة عند الدولة العثمانية لأنها أقوى الدول الاسلامية ولملوكها الشرف الاسنى بكونهم خلفاء المسلمين ، اما وقد عادت حكومة انقرة لادينية تحتقر الدين الاسلامي ومقدساته فلا حق لها فى وضع يدها عليها .

بل روضة صاحبها صلى الله عليه وسلم او مصر التي نقلت منها وهي صاحبة الملك القوي في الاسلام الآن أحق بمحافظتها

واما سبب المادة ٤ فهو انه اذا كان الموقوف من الاراضي عائد الى مساجد ومدارس اغنياء واوقاف دول اسلامية أصبح في حرز منيع من تعدي الصهيونيين عليه ولو استفحل أمرهم لأن وراءه امما ودولا تناضل عنه وتتحاشى عصبة الامم او اية دولة غربية التعرض له لانه يؤدي الى الاخلال بالسلم العام الذى تسعى وراء تحقيقه فيما تزعم .

وبهذه الصورة ينقطع بطبيعة الحال طريق الهجرة الصهيونية ويثبت الفلسطيني ولا يبرح وطنه من عسرا وتضييق عليه ، حتى اذ تأججت نار الحرب المدمرة المنتظرة وهي على الابواب بدون ريب يسوقها الضغط البالغ منتهاه على الانسانية سوقا حثيثا وانقطعت المواصلات البحرية بالمخترعات المكتومة أصبح الفلسطينيون مع ضيوفهم الاغنياء الصهيونيين فى صعيد واحد لا اجنبي معهم ، وهم يعلمون اذ ذاك ما ياتون وما يذرون . ولعل الله ألهم الدول الى حشر ما بقى من شراذم هذه الامة على وجه الارض الى هذا المكان لتصبح قبل الامم كلها فى خبر كان كقوم نوح وعاد وثمود ، ولله في خلقه شئون .

ولو فكر عقلاء الصهيونيين في المسألة بعين البصيرة لأدركوا مصيرهم الذي يساقون اليه (مكرهين) .

واما سبب المواد ٥-٦-٧-٨ فهى انه اذا علم اهل الفضل والحميه بالمقدار الضرورى للشروع فى العمل وتبينوا الغرض المقصود منه واطمأنت نفوسهم بكونه سيحفظ فى محل لا تتطاول اليه يد غاصب كمصرف مصر مثلا ، سهل عليهم التبرع وقد يتبرع به واحد منهم فى اسرع وقت وتحصل المباشرة في العمل بدون تردد .

اما الانتظار الى ان تجتمع عشرات الالوف فمضيع للفرصة محلل للعزائم ، وخير البر عاجله ، وللتاخير آفات .

واما سبب المادة ٩ - فهى ان المتبادر الى الذهن من ظهور الدعوة الى المؤتمر من سياحة رئيس المجلس الاسلامي الاعلى السيد امين الحسيني على الوجه الواقع من الاستعجال في الدعوة هو الآستنجاد بالعالم الاسلامى لحماية البيت المقدس وحماية الاقربين اليه جيرانه عرب فلسطين من الخطر الصهيوني المحدق بهم وهذا لا يفيد فيه بناء كليات او مساجد او تشييد أضرحة اذ لم يهددهم الصهيونيون بالعلم او بالدعاء او بسكان القبور بل بقوة المال لأنتزاع اراضيهم من ايديهم وبالاستناد على جمعية امم مسيحية لتنفيذ خطتهم بالقوة فيلزم اذاً انجادهم بالمال وبجمعية امم اسلامية قادرة على محاجة جمعية الامم المسيحية .

على انه ما دام النزاع على البيت المقدس نفسه وهو رأس بل روح القضية فليس من الحكمة عندي بناء كلية وجمع اموال طائلة لها فيكون من باب الحاق الحبل بالدلو على رأي المثل . ونحن لدينا كلية الازهر العامرة وغيرها فى الهند وتونس وفاس ، بل لا أرى حكمة فى المخاطرة بدفن اعاظم رجال الاسلام البعيدين عن فلسطين في القدس الشريف اذا لم يقدر الله استخلاص البلاد من نير الصهيونيين الغاصبين وكتب على اهلها المساكين الجلاء (لا قدره الله)

فمن ذا الذي يحمى الكلية وتلامذتها الغرباء اذ ذاك ومن يحافظ على تلك الجثث الهامدة في مدافنها ولا حول ولا قوة لها ؟

ألم تطرد حكومة فلسطين عضواً محترما من اعضاء المؤتمر وساقته الى حدود البلاد مخفوراً كمجرم او لص وذلك لكلمة حق قالها ، وفي صحف فلسطين مثلها واشد منها .

فهل أمكن او يمكن للمؤتمر ان يقابل هذا العمل بغير كلمات يحتج بها ؟ وهل تفيد مقابلة الافعال بالاقوال شيئا ؟

وماذا يصنع الاعضاء يا ترى لو حل بهم ما حل باحدهم ؟

أيحتمون بالعرب المستنجدين بهم ؟ أم بقناصلهم ؟ ام يستسلمون للادارة الصهيونية ؟ لا نذهب الى بعيد فهذه جوامع دار الخلافة التاريخية العظيمة ومدارسها الدينية الفخيمة ومدافن الخلفاء من ءال عثمان سيوف الاسلام فى مدة ستة قرون تدمر وتنهب وتهان فهل قدر العالم الاسلامي على حمايتها ؟

وهناك ضريح المجاهد صاحب رسول الله عليه السلام أبي أيوب الانصارى وفى برقة وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب الاقصى قبور للقواد الفاتحين اصحابه صلى الله عليه وسلم ، فهل فى الامكان حمايتهم لو اريد بهم سوء كما يجري فى الروسيا الآن ؟ هيهات !

واما سبب المادة ـ ١٠ ـ فهى ان العالم الاسلامى شاهد عقد مؤتمرات قبل هذا فى مثل هذا السبيل في مكة ومصر مراراً ولم تسفر عن نتيجة بل بمجرد تفرق اعضائها بقيت المقررات حبراً على ورق ، فموالات انعقاد المؤتمر ثلاث مرات في ثلاث سنين على الاقل مما يثبت مركزه ويظهر ثمرته للمتطلعين اليها ، وفى ذلك من الجد فى العمل وترغيب اولي الحمية في معاضدته وبذل اموالهم في سبيله بطيب نفس ما لا يخفى على المتأمل .

واما سبب المادة ـ ١١ ـ فهي ان مصر اوسع صدراً للغريب وأغزر مادة فيجد فيها المؤتمر من الاحترام والتأييد والحرية ما لا يجده فى غيرها ويمكن ان يشترك فيه او يشرف عليه من قريب من اساطين رجاله الراغبين فى تأييد هذا المشروع من لا يمكنهم ذلك اذا انعقد في غير مصر .

وهذا أمر يجب ان تسعى الهيأة التنفيذية فيه عند حكومة مصر من الآن .

نعم — مع الامكان يجب ان يزور الاعضاء البيت المقدس بعد انتهاء اجتماعاته ، لما في ذلك من ادخال السرور والنشاط على حماته الحقيقين العرب وتقوية مركز مكتب المؤتمر هناك .

هذا ما ظهر لي على ما انا فيه من انحراف مزاج متعب ، فلينظر فيه بامعان وبالله التوفيق .

١٠ رمضان سنة ١٣٥٠ ـ بعمان مسقط

كتبه سليمان الباروني

وعلى اثر هذا كتب الينا ما يلي :

حضرة مدير النور الساطع .

أقدم لكم صورة مما كتبته في تاريخه الى اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاسلامى المجتمع بالقدس الشريف لتحفظوه الى الوقت المناسب او تنشروه للرأي العام لتحرى المناقشة في مواده خصوصا مادة كلية القدس التى لم ار احداً من الكتاب لم يستحسنها والرأي لكم .

وصلتنى كتبك الثمينة والنور الساطع ، واعذر أخاك فى تأخر الجواب سابقا ، وسأكتب فيما بعد ان شاء الله .

٦ ذي القعدة ١٣٥٠ سليمان (١)

---

١) لقد نشرنا كتاب الباشا المؤتمر في جريدتنا « النور » عدد ٢٦ الصادر في ١٤ ذى القعدة ١٣٥٠ ـ ٢٢ مارس ١٩٣٢ نقلا عن البلاغ المصرى

٣ـ حول المؤتمر العربي العام

لمناسبة اعداد العدة لأنعقاد المؤتمر العربى العـام في سنة ١٣٥٠ وردت الى الباروني باشا رسالة من بعض اعيان العرب يطلبه فيها بيان رأيـه فى المواد الـتى قررت لجنة المؤتمر جعلها ضمن جدول اعمالها ومدار بحث المؤتمر فيها .

وفيما يلي بيان قائمة فى تلك المواد وءارائه فيها نقلا عن خط المـرحوم . وهذا نصه :

وردت الي وانا بمسقط رسالة خصوصية من بعض كبار العرب مورخة في ٩ شوال ١٣٥٠ـ٢٦ شباط ١٩٣٢ فيها طلب بيان رأي فى المواد التي قررت لجنة الموتمر العربي العام البحث فيها ، وقد نشر بعضها بعد في الصحف وهى كما يلي :

أ) اختيار افضل مكان مناسب لعقد الموتمر

ب) تعيين موعد عقده

ج) تعيين اسماء الذين ينبغى توجيه الدعـوة اليهم من الاخـوان فى جهتكم للاشتراك في الموتمر .

د) تعيين موضوعات البحث التي يبنى عليها جدول اعمال الموتمر

يلي هذا جدول فيه المواد الآتية على انها من موضوعات البحث والمقترحات التى يبنى عليها جدول اعمال الموتمر

١ ــ توحيد الاحزاب الاستقلالية فى اوضاعها وتشكيلاتها في الاقطار العـربية .

وقد جاء في مقدمة البلاغ عن هذا الكتاب ما يلي :

وقد احلت اللجنة التنفيذية هذا الكتاب محل الاعتبار واحالت اقتراحاته الى اللجان الفرعية كل في دائرة اختصاصها على ان تقدم كل لجنـة تقريـرا عما تناوله بحثها .

٢ ــ توحيد العلم العربي فى شكله مـــع ملاحظة اضافة بعض العـلامات حفظا لخصائص بعض الاقطار

٣ ــ توحيد اسماء الحكومة العربية

٤ ــ توحيد شكل الطوابع البريدية وما اليها من الحوالات المالية البريدية

٥ ــ ضرب السكة الذهبية والفضية على صـور متماثلة وتوحيد شكل العملة الورقية على قدر الامكان .

٦ ــ توحيد شكل جوازات السفر ورفع حواجز المرور والاقامة .

٧ ــ جعل التابعية العربية حقا لكل عربي فى الاقطار العربية الاخرى .

٨ ــ السعي لرفع الحواجز الجمركية

٩ ـ انشاء الارتباط بين الغرف التجارية فى الاقطار العربية

١٠ ـ العمل للوحدة الاقتصادية

١١ ـ تاسيس بنك عربي متحد

١٢ ـ تغليب مصلحة البلاد العربية على كل مصلحة سواهـــا في مشروعات سكك الحديد وطرق المواصلات

١٣ ـ رعاية المصلحة العربية العامة فى جميع ما يعقد من معـاهدات داخلية او خارجية .

١٤ ـ توحيد نظام الموازين والمكاييل

١٥ ـ توحيد المجامع العلمية ومناهج التعليم وتسهيل القيام بالرحلات العلمية والمدرسية .

١٦ ـ ارسال بعثات المعلمين والائدية الى الاقطار العربية المحتاجة الى هذا وتسهيل القيام بالسياحة والسفر .

١٧ تأسيس كشافة عربية عامة متحدة على نظام عربى محض .

١٨ ـ توحيد شكل لباس الرأس

١٩ ـ السعي لحمل ملوك العرب وامرائهم الى عقد مؤتمر خاص بهم يجمع بينهم على اختلاف اقطارهم

٢٠ ـ تعيين يوم عام عيداً للامة العربية ويوم عام لذكرى شهداء العرب

٢١ ـ وضع كتاب للقضية العربية وكتاب لتاريخ العرب مختصر ومفصل

٢٢ ـ اقامة ممثلين للمؤتمر العربى الاول في الاقطار العربية

٢٣ ـ وضع نظام مالي للمؤتمر

٢٤ ـ اللجنة التنفيذية المقبلة تكون الهيأة السياسية العليا الممثلة للاحزاب الاستقلالية العربية

قال ـــ فاجبته عنها بما ياتى في ٢٧ صفر ١٣٥١

السلام عليكم ورحمة الله .

اما بعد ـ فقد تلقيت وانا في مسقط عاصمة عمان كتابكم الاول المحترم (. . .) ثم الثاني المورخ في ٢٥ ذى الحجة ١٣٥٠ الدالين على ما هنالك من الاهتمام العظيم بالقضية العربية المنشودة . والله اعلم بما خامرني من السرور اذ ذاك لكن كان وصولهما مع الاسف فى وقت كنت فيه عاجزاً عن رد جواب فضلا عن ابداء رأي فى قضية كهذه لها المقام الاول فى الاعتبار

واذ وصلت بغداد ولم يبق عذر لتأخر الجواب أعدت النظر فى الكتابين الجليلين .

والى انظاركم السامية ما بدا لى من الفكر فيما يخص المواد الاربع التى فى كتابكم الاول ، وان تأخر عن الوقت الذي عينتموه للجواب :

أ) ان أحسن مكان عندي لعقد الموتمر العربي المقبل هو المكان الذى يعقد فيه الموتمر الاسلامي

ب) أحسن وقت لأنعقاده المقبل هو الوقت الذي يعقد فيه الموتمر الاسلامي ايضا ، وذلك لأنه متفرع في نشأته من الموتمر الاسلامي ، ومـوسسوه من اعضائه وماليته منه فيجب ان يكون كقسم منه الى ان يتمركز في ظله ويستعد للاستقلال عنه باعضائه وماليته .

ج) ان مفكري هذه الجهة (مملكة عمان) يرجحون عدم الاشتراك في المؤتمرات السياسية ـ خارج بلادهم ـ فى الوقت الحاضر ، والبقاء على الحياد نظراً لوضعية بلادهم الجغرافية والسياسية ، فانها محاطة من المغرب بالربع الخالي مقطوعة به عن العالم العربي ومحاطة من الجهات الاخرى الثلاث تقريبا بالبحر وهو فى قبضة اساطيل الاستعمار ، فليس من الصواب عندهم اظهار العداء للاجنبى الواقف لهم بالمرصاد القابض على زمام البحر المتتبع لحركاتهم بالتدقيق ويتمنى ان يجد وسيلة للتدخل الفعلي في امرهم في استقلال عنه وان كانوا كالمحصورين (وبعض الشر أهون من البعض)

د) ان اعمال الموتمر العربى الاولى يجب (على ما اراه) ان تنحصر فى المساعى الموصلة من اقصر طريق الى تحرير البلاد العربية المستعمرة باعتبار درجاتها اذ انها متفاوتة فيه (اي الاستعمار) ومستعمروها مختلفو السياسة والمعاملات وان كانت المقاصد واحدة .

فمراكش ـ مثلا ـ فى حاجة الى رفع الحماية عنها ، وكذا تونس .

واما الجزائر فتحتاج الى امير وطني (تحت الانتداب الحقيقى) موقتا (١)

وطرابلس الغرب يلزمها اولا تنفيذ قانونها الاساسي وتحقيق استقلالها الداخلي الذى صالحت عليه ايطاليا في ١٩١٩ بعد حرب طاحنة دامت اعواما .

---

١) هذا اقصى ما يمكن ان يقوله الخريت الماهر فى سنة ١٩٣٢ وان تخطت حدوده ثورة الجزائر في سنة ١٩٥٤

ومصر تستحق الاستقلال بمعناه الحقيق

وسوريا في حاجة الى ضم اجزائها المبعثرة تحت لواء واحد مستقل

وفلسطين لا حياة لها الا بالغاء عهد بلفور وضمها الى اصلها وعلى هذا القياس فيكون على هذا وصول الممالك العربية الى الاستقلال تدريجيا ، وبعد حصوله او الاشراف عليه توجه الانظار والمساعي الجدية الى وضع اساس لأتحادها وربط بعضها ببعض بمعاهدة (لاتوحيدها) لان ذلك لم يحصل لا فى زمان المأمون من الاولين ولا في زمان عبد الحميد من الآخرين .

وهذا - في نظري - انما يتم بالتفاهم مع رءوساء الاحزاب الوطنية السياسية فى كل قطر عربي بعد ان ينتظم أمر المؤتمر ، لانهم هم الذين يمثلون امهم تمثيلا يعتبره المستعمرون ويحسبون له الف حساب وهم الذين يمكنهم تذليل ما يعترض مندوبيهم من الصعوبات في طريقهم الى المؤتمر وهم الذين يمكنهم الحصول على المال اللازم من ممالكهم لمندوبهم الى المؤتمر .

اما الاشتغال من الآن بالمناقشة في توحيد اسماء الحكومات العربية وتوحيد اعلامها ومكاييلها وموازينها وطوابع البريد والحوالات وضرب السكة بانواعها وجوازات السفر والجمارك والتابعية العربية العامة والسكك الحديدية والغرف التجارية وعقد المعاهدات وتوحيد لباس الرأس وحمل ملوك العرب على عقد مؤتمر عام وغير ذلك مما حوته المواد ٢٤ المحررة في كتابكم الاول فتضييع للوقت في نظرى لأنها أمور ثانوية تاتي بعد تحرير البلاد ويطلب المهم منها من حكومات البلاد العربية بعد نيلها الاستقلال

اما الآن والبلاد مستعبدة للمستعمر حقيقة او حكما رغما عما فيها من ملوك وائمة وسلاطين وامراء مجردين من كل قوة عصرية الا ما يبيعه لهم المستعمر بما يريده من القيمة من بقايا سلاحه المهشم المرقع المزخرف بالادهان ايهاما بانه

جديداً وصالح للاستعمال ، فالمناقشة فيها كالمناقشة في تسمية ولد لا تزال امه فى صلب والدها .

وأظن ان المستعمر لا يعارض فى الاشتغال بها وصرف الاموال والوقت في سبيلها ، لأن اكثرها لا يغير مركزه ولأنها تصرف المؤتمر وتلهي رجاله عن الاشتغال بما يقتل الاستعمار وهو تحرير البلاد ولانها تستدعي اموالا قد يعجز المؤتمر عن تحصيلها فيزاحم مالية المؤتمر الاسلامى فيضعفان معا وتنصرف الانظار عنهما وذلك هو متمنى رجال الاستعمار !

نعم ! لا باس بالسعي فيها لكن باسم جمعية خصوصية لا باسم مؤتمر عربى عام ، فان هذا الاسم عظيم يجب ان يباشر العظائم لا ذيولها .

هذا والذى اراه نافعا هو ان لا تستقلوا في المسألة بآرائكم فانما انتم بشر وافراد لم تتجاوزوا عدد الاصابع وهذه قضية عامة فيجب ان تنشروا ما يرد اليكم في هذا الموضوع من الآراء ليمحصه الرأي العربى العام فى كل قطر وينجلي الطريق الاصوب وليس في هذا ما يعد من الاسرار المكتومة ، وهل يصح جهاد مع التكتم خصوصا فيما لا يمكن القيام به الا بالتصريح بانواعه .

على انه لابد ان يكون المكتوم فى ظنكم معلوما عند من تعتقدون انكم تكتمونه عنه ، ولا اشك في وصول نسخ من كتابكم هذا الى بعض دوائر الاستعمار ، فما الفائدة اذاً فى كتمانه عمن يهمهم الاطلاع عليه من اقطاب العالم العربى .

هذا ما ظهر لفكرى القاصر فتأملوا فيه واحملوا خطأه على حسن نية .

والتوفيق بيد الله .

من اخيكم المخلص سليمان الباروني

٤ - حول حرب الجزيرة العربية

عندما نشبت الحرب فى جزيرة العرب بين الملكين العربيين المسلمين : الملك ابن السعود والامام يحيي فى سنة ١٣٥٣ه تشاءم البارونى باشا كسائر عقلاء العرب والاسلام من مغبة هذه الحرب على العروبة والاسلام وحذر الملكين المتحاربين من عواقبها الوخيمة عليهما معا وعلى العرب والمسلمين وبين لهما انه لا يخرج بالغنيمة منها الا اعداء الجميع من دول الاستعمار ، فكتب فصولا ضافية في الموضوع نشرت في جرائد الشرق كالقطم وغيرها ، ونحن ننقل عنها المقال التالي . قالت تحت العنوان الآتي : (١)

حرب الجزيرة - رأى البارونى باشا

لا تسموه اعتلاء وانتصار انما قولوا انهيار وانكسار

وصلت صحف الشام وفلسطين ومصر وفى بعضها كالدفاع الأغر عنوانات ضخمة بحروف كبيرة تلمت الانظار وتبشر بما احرزته جيوش الملك ابن السعود من النصر ومطاردتها لجيوش الامام يحيى وبما فتحته من البلدان ودمرته من الحصون والقلاع وبتقدمها لأحتلال صنعاء عاصمة اليمن .

وظهرت على أثر وصولها بعض صحف العراق مصدرة بمثل تلك العنوانات الضخمة والحروف الكبيرة لكنها تذيع الانتصارات الباهرة التى نالتها الجيوش الزيدية وما ظفرت به من الغنائم العظيمة من سيارات مسلحة ومدافع وقوافل واسارى مع ما سقط فى الميدان من ءالاف القتلى من الجيوش الوهابية ، وتلا ذلك ظهور منشور طويل من احدى صحف بغداد بيعت منه ءالاف فى ساعة واحدة وهو يبشر بسقوط صنعاء وخلع الامام يحيى وفرار ولي عهده وقتله والمناداة باحد

---

١) وذلك فى عددها الصادر في ١٩ ماي ١٩٣٤ عدد ١٣٧٨١

اولاد ابن السعود ملكا بعنوان فيصل الاول ملك اليمن ، ثم ظهرت صحف كذبت ذلك فهاجت خواطر الناس وظهر التحزب فلهج البعض سائلا ربه ان يحقق احتلال الوهابي لصنعاء ليمحو اثر الشيعة الزيدية .

وابتهل آخر الى الله ان يؤيد سبط الرسول حتى يحتل الرياض ليستأصل الوهابية من الارض .

فخيل الي عند ذلك اننا امام حرب تشبه حرب الدولة العثمانية مع اليونان فقد كانت الصحف اذ ذاك تصدر كل صباح على هذا النمط متوجة بمثول هذه العنوانات الضخمة مبشرة بزحف ادهم باشا بجيوش الخلافة على تساليا واستيلائه على مدن اليونان واحدة واحدة والناس ينتظرون سقوط اثينا عاصمة اليونان فى قبضته من ساعة الى ساعة ، واتسع امامي ميدان الخيال حتى ظننت ان هذه الجيوش زاحفة على بعض عواصم اوروبا للقضاء عليها انتقاما من دولها على ما قامت به من القضاء على الخلافة الاسلامية واستعباد الشرق كله او انها زاحفة على البيت المقدس قبلة الاسلام الاولى وثالث الحرمين الشريفين لأنقاذه وانقاذ جيرانه العرب المضطهدين وهو من الحجاز واليمن على قاب قوسين او ادنى .

الا انني - مع الاسف - أدركت ان ذلك كله خيال لا حقيقة له وان الواقع هو ان الجيوش المتطاحنة اليوم المبشر بانتصار بعضها على بعض هي اسلامية عربية فقط وفى بلاد اسلامية عربية لا غير . ولما قارنت بينها وبين الحرب العثمانية اليونانية المذكورة وجدت ان هذه وقعت بين اكبر دولة شرقية تحمل عنوان الخلافة الاسلامية منذ مئات من السنين وبين امة اروبية كانت تابعة لها وتمردت عليها فارادت اخضاعها ، فالتبشير بانتصاراتها أمر معقول لما في ذلك من الفوائد منها توسيع مساحة الدولة بما تضمه اليها من المدن العامرة والاراضى الخصبة ، ومنها اعادة ملايين من النفوس الى الدولة اكثرهم من المسلمين .

واما هذه الحرب المشئومة على الاسلام والعروبة الواقعة اليوم بين الاماميين العربيين الزيدي والوهابي في جزيرة العرب فانه لمجـرد اعلانها خسر اليمن تسع ولايات فيها عشرات الوف من العرب المسلمين ، لأن الامام يحيى يحارب لأجلها بريطانيا ويطالبها بالتخلي عنها وعما وراءها حتى كادت تعجز امامه فالتهمتها الآن لقمة سائغة بدون ثمن وانقطع أمل الامامين منها ومما وراءها من لحج وعدن وحضرموت وهي التي كان الامام يدعي انها من اليمن لان ابن حميد الدين تركها لبريطانيا استعداداً لابن السعود وابن السعود يصرح من الآن قبل ان يحتل صنعاء بانه لايمس ما دخل في حماية بريطانيا من البلدان .

وها هي بريطانيا واقفة باسطولها امام الحديدة متشفية فى خصمها الامـام يحيى بتمزيق جيوشه وبلاده ، لـكن لا بيد بريطانيا بل بيد اخيه فى الاسلام والعروبة الامام ابن السعود .

وها هي مدرعات بريطانيا وفرانسا وايطاليا واقفة امام ساحل اليمن تشـاهد هذه المذابح عن كثب وتنظر الساعة المناسبة لتتفق على تقسيم احدى الفريستين او كلتتيهما فى النهاية .

اما الملك ابن السعود فما كاد يعلن هذه الحرب حتى خسر اكبر جوهرة فى البحر الاحمر كانت في قلادة الحجاز وهي العقبة « وما ادراك ما العقبة ! » تلك الحلقة الثانية لاتصال البحر الاحمر بالبحر الابيض وارتباط المشرق بالمغرب ، وهي الغل الفولاذي للحجاز اليوم ، فقد اغتنمت بريطانيا فرصة هذه الحرب وباشرت تحصينها على ما جاءت به الاخبار الموثوق بها وسيصبح الحجاز ـ لا قدر الله ـ تحت رحمتها وسلطانها الى ما شاء الله

وابن السعود يصرح تطمينا لبريطانيا بان حاكمها في شـرق الاردن الامير عبدالله اخوه وعزيزه انه سيتلاقى به ويتفق معه (اى على ما تريده بريطانيا) ان

صح ما نشرته الصحف .

هذا ما ظهر الى الآن من الخسارة المادية والمعنوية للاسلام والعروبة من هذه الحرب المشؤمة والمستتر اعظم على كل حال وسينكشف عن قريب .

فالمرجو من المستبشرين بهذه الحرب سواء كان النصر الاخير فيها لابن السعود او لابن حميد الدين ان يبينوا لنا الفوائـد التى ستجنى منها للاسـلام والعرب مقابلة هذه الخسارة الواقعة والمتوقعة ولا اخالهم واجدين مثقـال ذرة من ذلك .

فجدير بالصحف المتألمة للاسلام والعرب من هذه الحرب ان تغير لهجتهـا وتجعل عنواناتها بين علامتي الحزن هكذا : « انكسار شوكة الاسلام بسيوف رجاله » و « انهيار صرح العروبة بمعاول ابنائها »

بغداد الاعظمية — ٢٨ محرم ١٣٥٣ سليمان البارونى

ثم كتب الينا البارونى باشا مذيلا لهذا المقال السديد، وقال :

تناقلت الصحف هذه المقالة وقد احدثت تاثيراً كبيراً فى النـوادى ، وقد جاء لزيارتي كـثيرون من عظماء بغداد الذين لم نجتمع بهم من قبل مقدمين شكرهم على هذه المقالة ومقالة « مؤتمر نزع السلاح » وكان لهما شأن كـبير فى النـادي العسكري فى بغداد . الخ

ثم قال في هذا الصدد معلقا ما نصه : (١)

كتبت بقية المقال السابق كما وعدت ، ولما شاع خبر الهدنة استبشرنـا خيراً وحمدنا الله على حقن الدماء ، وصرفت النظر عن ارسالها ، واليكم خـلاصة بعض ما فيها مما لايحسن اهماله رجاء ان لا يتكرر مثله من الـذين ينتظر منهم

---

١) وقد نشره المقطم في ٢٤ صفر ١٣٥٣ - ٦ يونيو ١٩٣٤ تحت عنـوان : فى جـزيرة العرب والبلدان المجاورة .

الاصلاح فى المستقبل .

١ ـ انتقدت عمل بعض الذين ذكرت الصحف انهم توجهوا من مصر الى اليمن انتصاراً للامام .

٢ ـ والذين توجهوا من الشام الى الحجاز انتصاراً للملك ابن السعود

٣ ـ والصحف التي جاهرت بالتحيز الى احد المتحاربين دون الآخر .

٤ ـ والذين ارسلوا الادوية والاطباء الى الحجاز خاصة ولم يقتدوا بتركيا ومصر .

فان ذلك كله ينافي القول بالوحدة العربية والسعى وراء تحقيقها ، اذ هذا تمزيق لا توحيد ، ولا حاجة في اثباته الى دليل ، فكان الواجب على كل من كان خارج منطقتى المتحاربين ان يعلن سخطه على هذه الحرب وان يدعو للمتحاربين بالهداية بل يصرح بالبراءة من احدهما لا على التعيين حتى يتحقق الظالم منهما الباغي المستحق للبراءة وحده ، لان نتيجة هذه الحرب على كل حال وخيمة على العرب والمسلمين والحرمين الشريفين .

اما القول بأن قضاء احد الخصمين على الاخر سيؤدي الى توحيد القوة التي يؤمل منها ان تنقذ البلاد العربية كلها من الاستعمار فانى اراه من الآمال التي لا طائل تحتها في هذا الوقت .

لان المنتصر منهما اذا رأت دول الاستعمار فائدتها في بقائه متظاهراً بالاستقلال في دائرة محدودة من الجزيرة فلابد من ان تكرهه بعقد معاهدات معها على الاعتراف لها بما فى يديها من البلاد العربية وعلى عدم التعدي وحسن الجوار والصداقة وعلى تسليم المجرمين وسد ابواب بلاده في وجه كل مقاوم للاستعمار ، وهذا مما لا شك في وقوعه اخيراً فلننتظره .

وهل من المعقول بعد ذلك تعليق الآمال به وانتظار خلاص الشام وفلسطين

مثلا على يديه ؟ اللهم انى لا احلم بهذا فضلا عن ان أقوله !

فالواجب على رجال العمل ان يعتمدوا على الله ثم على أنفسهم ببذل ارواحهم واموالهم في سبيل غايتهم الشريفة لا على الملوك المغلولين بالمعاهدات .

فان عهد صلاح الدين الايوبي قد طواه التاريخ ، وعهد الدولة العثمانية قد عفى عليه « ما حك جلدك غير ظفرك ، فتول انت جميع أمرك »

اما اظهار دول الاستعمار وصحفها التخوف من هذا التحول « الذي ملأ افئدتها سروراً » فما هو الا خدعة سياسية وتمهيد لأتخاذه وسيلة لتوطيد اقدامها ومضاعفة قواتها فى البلاد المرتبطة بها .

فسنرى عما قريب زيادة الجيوش فيها وتشييد الاستحكامات وبناء المطارات وحمل نفقتها او بعضها على اكتاف البلاد المحتلة بدعوى الدفاع عنها وحمايتها من الخطر الذي يهدد سيرها (الحثيث) في طريق استقلالها الذي قررته جامعة الامم

هذا ما سنشاهده عما قريب من نتائج هذه الحرب المشئومة غير ما شاهدناه مما ذكرته فى مقالى الاول .

وقد انتقدت ايضا وفد المؤتمر الاسلامى الموقر على عدم ارساله بعض افراد اعضائه من اول يوم الى اليمن وعلى بقائه في الطائف لما اعلنت الحرب بعد وصوله واستمرت وهو هناك ولم يؤثر كلامه شيئا .

وانتقدته على تسليم اوقاف الحرمين الشريفين التى في القدس للملك ابن السعود في الوقت الذي وصل فيه الى مكة المكرمة باسم المؤتمر الاسلامي للصلح بين المتحاربين .

هذه خلاصة بعض ما كنت كتبته ولا حاجة الى بقيته ، اذ كفى الله المؤمنين القتال واغمدت السيوف والحمد لله .

بغداد ـ ١٣ صفر ١٣٥٣ سليمان الباروني

على ذكر العقبة !

لمناسبة ذكر الباروني باشا لقضية العقبة فى مقاله السابق أستحسن ان أنشر على أثره قصيدة عصماء قالها الاستاذ محمود الفلاح في الموضوع ونشرها في جريدة الاخاء في ٣٠ رمضان ١٣٥٣ ، وذلك لمطابقتها مطابقة تامة لما كتبه في هذا الشأن . وهذا نصها :

أترك الشعر وألق القصبه ... وأنع بالسيف علا مستلبه
أي عز ظل او مفخرة ... بقيت بعد انتزاع « العقبه »
بعد تطويق بلاد العرب لا ... تنتظر الا انحناء الرقبه
لا يطيب العيش فى مملكة ... أدخل العقرب فيه ذنبه
كم أنادى القوم فى مضجعهم ... وكأني قد انادى خشبه
رميت بالعقم ارض النجبا ... وقديما هي كانت منجبه
ليت شعري طبعها منقلب ... أم طباع لهم منقلبه

* * * *

يا نياما عن مصير العقبه ... سوف تحيون حياة متعبه
أي أمن لقباها والصفا ... بعد درع لهما مغتصبه
حرم يأوي اليه خائف ... هدد الخصم بخوف قببه
خط « حيفا » افعوان غادر ... شحذت أم الدواهي أنيبه
سوف يلتف على اعناقنا ... حيث لا يبصر راء منكبه

* * * *

ويح شرق مرجت اهواوه ... لست أرضى عجمه او عربه
وشعوب جمعتهم ملة ... ثم كل راح يبغى مذهبه

شعبوا في الدين والدنيا معا ... كل شعب شعب منشعبه
قد اضاعوا النسب الجامع اذ ... راح كل مستثيرا نسبه
جربوا الاسياف فيما بينهم ... ليت فى الاعداء هذي التجربه
شربت اسلافهم صرف العلا ... وهم قد أسكرتهم عنبه
تركوا صرح المعالي للعدا ... وتفانوا في سبيل العتبه
ثم ظنوا انها منقبة ... لا تواز يها لديهم منقبه

* * * *

في فريقين من الناس هوى ... وطن العرب ولاقى كربه
ففريق ميت من ترف ... وفريق ميت بالمسغبه
غلبتهم شهوة الجيب على ... ان يفوزوا في العلا بالغلبه
ليس للاوطان من مرتبة ... عند من تاهوا بحب المرتبه
ما خراب الدار الا من هوى ... فى نفوس موهشات خربه
أخصبت اجسامهم لكنما ... تحتها تلك القلوب المجدبه

* * * *

خطة اسسها منتدب ... فى بلاد دعيت منتدبه
زرعوا الاضغان فى تربتها ... واذاقوها صنوف المتربه
ثم قالوا هاكم استقلالكم ... واشكروا الله على ما وهبه
واقمنا حفلة العرس وهل ... تم عرس والحلى منتهبه
وضعوا الاقياد فى أرجلنا ... فحسبناها حجولا مذهبه
لست أدري رأسها من عقب ... حالة ما فتئت مقتضبه

* * * *

سوف تبقى فى صباها فتن ... حضنتهن عجوز شهربه

ليس ياجوج وماجوج سوى ... ما توارى خلف تلك الحدبه
غول بحر شرب البحر ولم ... ير ان البحر وفى مشربه
يشبه اليربوع فى اكثاره ... من احافير تقيه عطبه
غير ان الدهر فى العابه ... دائب يفتن فيما لعبه

* * * *

قيل : للفصل تصدت عصبة ... وهي للاطماع كانت عصبه
تخمد النيران فيما زعموا ... وهي نيران الوغى محتقبه
بالدناميت هضاب حشيت ... فهي يوما كالحا مرتقبه
ترسل الشهب الى جو السما ... وهو يلقى من اعال شهبه
سوف تمسي الارض منها جمرة ... من تباريح بها ملتهبه
مثلها اذ فارقت جم ذكا ... وتناءت كرة محدودبه
كتمت اسرارها موجزة ... وهى فى الافشاء جداً مسهبه

* * * *

وهب الغرب لهذا الشرق لا ... عن وداد هبة اي هبه
بعث اليقظة في ارجائه ... فهي في كل رجا معشوشبه
لا ارى منا على الشرق له ... ان ذا فيما مضى كان ابه
غير ان الغرب عق الشرق فى ... انه لم يرع فيه أدبه
ان ذا الشرق على عري به ... مستعيد دون شك سلبه
وخيار الرأي معقود اذا ... ظبة من بطل لاقت ظبه

* * *

كيف حال الكون فى يوم به ... تلتقى تيتانه والدببه
لست تحظي فيه الا بالشقا ... او بانسانية منتحبه

ربما ود ابن حوا انه ... لم تزل اظهر عيس مركبه
هى فى يوم النوى مركوبة ... وهي في يوم الطوى مختلبه
اصبح العقل عليه عافة ... ربما يلعن من قد هذبه
ان تكن في عقلنا موهبة ... فهى عمر الله بئس الموهبه

٥ـ حول التداعى بالعنصريات ـ ترك عرب

اقتلوا نغمة قضت علينا بالتمزيق فان احياءها سيقضى علينا بالاضمحلال !

تحت هذا العنوان نشر الباروني باشا فى جريدة « الاهالي » الصادرة فى ١١ ربيع الثاني ١٣٥٣ ، المقال التالي (١) وهذا نصه :

منذ ظهرت كلمة : ترك ، عرب ، قبل سنوات ظهر تمزيق العرب خاصة ، لان الترك والعجم والافغان قد استقلوا بحد سيوفهم بعد الحرب العظمى استقلالا حقيقيا تاما ، واما العرب فقد قسمت ممالكهم بين المستعمرين الذين حاربوا معهم جنبا لجنب ليتخلصوا من دولة كانوا هم أشرف عضو عامل فيها، وليستقلوا بانفسهم فاصبح اكثرهم مستعبداً استعباداً لا رائحة للحريه فيه والقليل الباقى منهم قد استعبد ضمنا تحت ستار استقلال هو اوهى من خيط العنكبوت !

فعوضا عن ان نتناسى هذه النغمة المزعجة ترك ـ عرب ، ونتلافى ما فات بالتقرب والتحابب مع جيراننا اليوم واخواننا وشركائنا فى الملك بالامس ، قنا نحي ذكرها الآن كأننا استسعدنا بها من قبل وما هي الا مبعث داء عبودية عضال أصاب العرب وحدهم .

بدأت كلمة : عرب ـ ترك تلوح على الألسنة في هذه الايام وتجاوزتها الى الاقلام بوسيلة تجلى المودة والتقرب بين ممالك فارس وتركيا والأفغان المسلمات الشرقيات .

---

(١) سياتى قريبا بيان ما احدثه من التاثير البليغ في اندية الشرق .

وبدلا من ان نرحب بهذا المظهر الجديد في الشرق ونعده اساسا متينا لقاعدة الخلاص من الذل صرنا نتشاءم به ، ويعد البعض منا موجها الى العرب والبعض يراه موجها الى العراق خاصة ولا ادرى لماذا ذلك وكلنا يعلم ان لا نجاة لنا الا في الاتحاد والتعاون على ما فيه سلامتنا . وان ما يظهر من القوة في جانب منا هو قوة للكل .

ولا شك ان فى احياء كلمة « عرب ـ ترك » دعاية لتوطيد قدم الاستعمار من حيث لا نشعر .

سبق ان قلت في مقال لي على حرب نجد واليمن ان اظهار صحف الاستعمار التخوف من الملك ابن السعود هو توطئة لأتخاذ ذلك وسيلة لزيادة القوة البرية والبحرية والهواءية في البلاد التى تحتلها بدعوى حمايتها من ابن السعود الذى سيلتهمها يوما ما ويقضي على سيادة الغرب فى الشرق على زعمها ، وقد شاهدنا اخيراً شيئا من هذه الزيادة فى كثير من المستعمرات للسبب عينه .

والآن وقد ظهرت هذه الاشاعة الجديدة أصبحنا نشاهد آثارها تتجلى بسرعة يوما فيوما بدعوى وقاية الممالك العربية من الخطر التركي العجمى الافغاني الداهم الذي سيجدد عهد « جنكيز وهولاكو » فيما يزعمون .

وقد بالغ بعض المتشائمين من هذا الحلف المتحمسين للعراق فى كلامه حتى قال : ان العرب كلهم فداء للعراق اذا حدثت هؤلاء الحلفاء الثلاث « العجم والترك والافغان » أنفسهم بالاساءة الى العراق !

ولا ادري اي العرب يعنون على فرض وقوع الاساءة للعراق ؟ فان كانوا يقصدون عرب الشام باقسامه فاننا لا نعلم ان في الشام جنداً ينجد وسلاحا يقتل غير جند فرانسا وسلاحها .

وان كانوا يعنون عرب الاردن فالكل يعلم ان ما هناك الا جند بريطانيا

وسلاحها وقائدها ابو حنيك امير البادية .

وان كانوا يعنون عرب فلسطين فالحجر والمدر والانس والجن يشهدون بأن ما فى فلسطين الا جند وسلاح الصهيونيين المتسترين بالانكليز .

وان كانوا يعنون عرب نجد واليمن فقد علم الناس انهم قد قيدوا بمعاهدات لا تسمح لهم ان يتجاوزوا حدودهم قط !

وان كانوا يعنون الكويت والبحرين فان هاتين الامارتين قد اصبحتا كقاعدتين حربيتين للاسطول البريطاني الهائل في الخليج الفارسي فلا حركة ولا سكون فيهما الا بأذن بريطانيا .

فلم يبق الا ان نفسر ذلك ان وراء العراق قوات فرانسا المرابطة في الشام وقوات بريطانيا المتمكنة في شرق الاردن والعقبة والقوات الصهيونية الانكليزية القابضة على فلسطين ، فهى مع متطوعة العرب القوة التى تقدر ان تصد العجم وحلفاءهم عن العراق اذا قصده بسوء ، وبعبارة اخرى اذا ارادوا العبث بانابيب البترول الفرنسية الانكليزية .

وها هنا يجب ان ندرك اننا قد استنصرنا بدول اجنبية على دول شرقية اسلامية الامر الذي كان الكثير منا يحذر منه الامام يحي عند زحف جيوش الملك ابن السعود على بلاده قابلين بوجوب تسليم عرشه لأخيه المسلم العربي الزاحف عليه اذا غلب على أمره .

ولا يجوز له ان يحتمى او يستعين بدولة اجنبية ، والا حل غضب الله والملائكة والناس أجمعين ، لانه بذلك يكون قد اعان المشركين على امتلاك بلاده الاسلامية العربية ولم يسلمها لملك مسلم وان كان باغيا عليه فى اعتقاده .

نعم — لو صدر مثل هذا الكلام من افرنسي او انكليزي لكان معقولا وذلك بأن يقول مثلا : اذا فكرت روسيا في غزو مستعمراتنا الشرقية من طريق

الحلفاء الثلاث : ايران وتركيا وافغانستان على العراق والاستيـــلاء على منابع ثروتنا النفطية فاننا لا نهتم بذلك لان اكثر الغرب او كلهم في ايدينا وفي امكاننا ان نسوقهم كما سقناهم فى الحرب العظمى الى العراق للدفاع عن منابعنا وانابيبنا النفطية ، وعن طريقنا الى الشرق بدون ادنى صعوبة . او نفقـة كبيرة لكن الانكليز والفرنسيس ساكتون ونحن نتكلم بمـــا سيقضى على البقية الباقية لنا مما مزقتة سابقا كلمة « ترك عرب » من الشمل .

كأن الاصبع التي لعبت دورها المحزن في حرب الاخوين : نجد واليمن قد تم مرادها هناك ، فانتقلت الى هذه الجهـات لتلعب دوراً آخـر في حرب بين الجارين المسلمين العجم والعراق ، ولا ريب فى ان النتيجة ستكون كتلك فيخسر الطرفان المال والرجال والسلاح وتلعق الاصبع وحدها الزبدة والعسل .

وكأني بالفرنسي والانكليزي والصهيوني يقولون : اذا كان للعرب قدرة على حماية العراق من اعتداء اخوانهم المسلمين العجم والترك والافغان المتحالفين فما بالهم لم يحموا بلادهم منا ؟ ولم يطردونا منها ليجنوا خيراتها ويشيـدوا ملكا يحيون به عهد معاوية وابن عبد العزيز فى الشام جنة الله فى ارضه وعهد صلاح الدين الأيوبي فى البيت المقدس قبلة المسلمين الاولى .

أليس هكذا ايها القاريء المنصف ؟

هذا والحقيقة التى لا مرد فيها على ما اعتقـــده هي ان العجم وحلفاءهم لا يفكرون قط في الاساءة الي العراق لأسباب كـثيرة اهمهـا الجـــوار والاسلام واشتراك المنافع . وعلى فرض تجاهلهم ذلك كله ، فانهم لا يقدرون ان يتجاهلوا المعاهدة البريطانية العراقية فهي أمامهم أشهر من نار على علم ، وأمامهم مطـار « الهنيدي » العتيد ومطار « سن الذبان » الجبار ، وأمامهم أسطول بريطانيا العظيم الذي ملأ مـا بين البصرة والبحرين فى خليج فارس ووراء ذلك كله الجند

الجرار والمدفع الثرثار والدينار السحار المهيئين للعمل عند اول اشارة تصدر من القائد البريطاني ، ومع ذلك يعلمون أن الحرب مع العراق هى حرب مع بريطانيا وحلفائها ، ومعنى ذلك الحرب العامة .

وهذا ما لا يخطر ببال العجم وحلفائهم ان يخوضوا عبابهـا لأنهم في حاجة الى سلم مستمر مدة طويلة يجددون فيه ما تخرب من ملكهم ويجمعون قوتهم التى لم تزل فى درجة التأسيس ، ويحلون فيه مشكـلاتهم مع جيرانهم فى جـــو مملوء بالصداقة وحسن النية .

فالواجب على كـتاب ومتكلمي العرب والعجم وحلفائهم ان يتحققـوا انهم فى عصر ووضع يفرضان عليهم ان يتناسوا كل فارق في سبيل التقارب والتحابب وان يشتغلوا بالجديات المنتجة قولا وفعلا ، لا بالتهويل بالطرق التي يعلم المستعمر حق العلم انها كنفخ في رماد وصيحة في واد ، وهو يعمل بجد صامتـا لدوام استعبادنـــا .

سليمان الباروني

وبعد — فهذه بعض نماذج من ءارائه في المشاكل العالمية ، وفى المشاكل الاسلامية العامه عرضناها على انظار الباحثين ليروا مبلغ ومناحي تفكـيره فقط لا للاستقصاء ، لانه يستدعى مجلداً على حـدة ، وكتابنا الـوجيز لا يتسع لذلك كله فمعذرة .

هيام البارونى باشا باقطار افريقيا الشمالية

طرابلس تونس الجزائر مراكش

اذا علم الاخ الباحث مبلغ فناء البارونى باشا فى الجامعة الاسلامية منذ نعومة اظفاره .

واذا علم هواه العذري الخاص نحو مصر من قصيدته التى قرأها له فى هذا الكتاب التي مطلعها : هويتك يا مصر وهل فى الهوى صبر ؟ الخ

فكيف يتصور مبلغ هيامه وكنه هواه وشدة تعلقه باقطار افريقيا الشمالية على الخصوص طرابلس تونس الجزائر مراكش .

ان له نحو هذه الاقطار لشغفا لا يمارى ، وحبا لا يجارى ، ونظرات بعيدة لا تتناهى ، وغايات عالية لا تتسامى ، ومطامح واسعة غير محدودة ، وامانى بعيدة ممدودة . ونحن نلم هنا الماما خاطفة في هذا الشأن فيما يلي :

اولا — فاما طرابلس منبته ومسقط رأسه — فاننا وان كنا نخصنا عنه فى شأنها ما مر من جهاده بالقلم واللسان والسنان ذوداً عن حياضها حيث لا يفتر مدة حياته عن ذلك فى سائر ميادين الكفاح ، وكلما ارغمته الظروف على الانسحاب من ميدان ، تولى متحرفا الى ميدان آخر ، فمن قلم الى منبر الى سيف ومن سيف الى منبر الى قلم وهكذا الى آخر حياته كما علمت شيئا من ذلك من قبل . غير اننا نرى اتماما للفائدة تسجيل بقية من ذلك هنا .

فانه رغماً عن محنة الابعاد والتشريد والامراض وقلة المادة فهو لا يزال يسمع العالم من حين لآخر قوارعه على رءوس الظالمين والعابثين غير هياب ولا وجل ولئن كان استقصاء ذلك غير مستطاع لكننا نأتى هنا ببعض النماذج حسب خطتنا لهذا الكتاب :

١ - رسالته لموسوليني من عمان

في عنفوان طغيان الدكتاتور الايطالي موسوليني كتب اليه البارونى باشا وهو اذ ذاك رئيس وزارة الامام الرسالة الحازمة الآتية من عمان عندما بلغه اعتداء ايطاليا على طرابلس بالغاء قانونها الاساسي وهذا نصها :

عمان - مسقط — ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٤٥

الى حضرة الوزير الخطير السنيور موسوليني

قرأت مع الاسف العظيم فى بعض الصحف العربية ما عزمتم عليه من نقض بناء القانون الاساسي لحكومة طرابلس الغرب الذي نظمت مواده بالاتفاق معى انا واخوانى رؤساء مجاهدي طرابلس ، الهيأة العسكرية المحترمة التى كان يرأسها الرجل المخلص لأيطاليا في حروبه معنا الجنرال تارديتى وصدقه مجلس الوزراء الايطالي ومجلسا النواب والاعيان وجلالة الملك الموقر ورضيته الامة الايطالية جمعاء وحبذته الامم الشرقية والغربية كلها معلنة الثناء على ايطاليا بما أبدته من السعي وراء حقن الدماء والميل الى السلم وخدمة الانسانية ومد يد التعاون على اقامة العمران والاعتراف ببعض حقوق الطرابلسيين التي خولهم اياها « مبدع الكون » وشهدت عليها الدهور وسجلها التاريخ وأيدتها استماتتهم في سبيل الدفاع عنها بصورة لم يسبقهم الى مثلها غيرهم فى هذه العصور القريبة حتى كان عملهم انموذجا لكل أمة تطالب بحقوقها وحريتها في هذا الوقت .

وقد برهن الطرابلسيون بعد هذا القانون على الوفاء بالعهد ومدوا ايديهم لمساعدة ايطاليا على الاصلاح بالمال والانفس وكفى دليلا على ذلك تقديمهم ستة ملايين ليرة ايطاليا للقرض الفاشيستي على ما قرأته فى بعض الصحف العربية .

وقد كانت طرابلس في ايام الدولة العثمانية عاجزة عن القيام بتصريف ادارتها

فضلا عن ان تساعد الدولة باعانات كبيرة مثل هذه وما هـذا الا من باب الوفاء بالعهد من الطرابلسيين مؤملين من الحكومة الايطالية تطبيق ذلـك القـانون المعطل من يوم توقيع جلالة الملك عليه وفتح مجلس النواب الطرابلسي الـذي اهتمت حكومة روما اذ ذاك باتمام تشييده وبقى مغلقا الى اليوم ، والمارون امامه يقرأون ذلك السطر التاريخي المنقوش على جبهة بابه وفيه ما نصه :

مجلس المبعوثان الطرابلسي

لـكن مع الاسف خاب ظنهم وضاع أملهم في ايطاليا الفاشيستية اذ اصبحتم تبرهنون لهم بهذا النقض على ان لا عهد ولا ميثاق ، فانتم بعملكم هذا تسفهون رأي ممثلي الامة الايطالية في مجالسها العالية وتعبثون بشعـور الشعب الايطالي المجسم في توقيع جلالة مليكه وتنقصون حكم العالم الانساني الذي حكم لايطاليا عند اعلانها هذا القانون بأنها أقرب أمة الى التسامح وحب المساواة وانها الامة الوحيدة بين امم الاستعمار التي يمكنها توسيع دائرة ملكها والتأثير على نفوس غير ابناء جلدتها بسهولة .

اما ما يتفوه به بعض الفاشيستين من مروجي فكرة هذا النقض من وصفهم الوزراء والقواد الذين أسسوا هذا القانون بالجبن وضعف العزائم والحط مـن الشرف العسكري الايطالي ، فان المنصفين يرونه مخالفا للحقيقة . لأن اولئك الذين أسسوه كانوا من خيرة قواد ايطاليا . ولا أظن الا ان اكثرهم الآن من اعضاء حزب الفاشيست ، ولأن تاسيس هذا القانون كان في وقت حرج بالنسبة لأيطاليا ، لأن رسل الرئيس « ويلسون » كانت بعد الهدنة واستمرار الحرب في طرابلس واعلان الجمهورية فيها تتردد على عاصمة طرابلس لاستكشاف الحالة فيها .

لأن ايطاليا كانت تظن ان الحرب قد ختمت في طرابلس لكن لما

وصلت الرسل وجدتنا بجيوشنا حـــول اسوار طرابلس ، وربما سمعت اصوات مدافعنا من الفندق الذي نزلت فيه بجوار السراي الحمراء مقر القائد العام .

وربما رأتنا من استحكام قرقاش ونحن نحوم بخيلنا ورجلنا في ميدان النضال بين عين زارة وزنزور نقابل قنابل الطائرات المنهمرة علينا كالصـواعق بافئدة لا تتزلزل ونتلقى رصاص دم دم المسموم ونار المـدافع الضخمة والسيارات المـدرعة بصدور رحبة .

فلو لم يعلن هذا القانون اذ ذاك لـكانت ايطاليا فى مركز حرج بين الـدول خصوصا امريكا والامة الايطالية نفسها ، لأن حكومة روما رغما عن انتصارها مع حلفائها واحتلالها القسنطيطنية فمرجع طرابلس اذ ذاك وسندها المتين لم تقدر ان تخفف من جندها المحارب في طرابلس البالغ اكـثر من مائة الف على قـــول بعض كبار القواد الذين اخبروا ايضا بان مصرف هذا الجيش كان مليونا فرنك فى كل يوم والامة الأيطالية كانت حينئذ في ملل من الحرب وضيق المالية .

وقد شعر الجنرال « تارديتى » فيما أظن عند مذاكرتنا على هذا القـانون بميل بعض رؤسائنا الى الصلح بدون قيد ولا شرط .

او انه تلقى من بعضهم وعداً في التخلف بقبـائلهم عن الحرب اذا لم يحصل الاتفاق فقطع المذاكرات اكثر من مرة وأعلن الحرب ولـكن لم يتقدم شبرا واحداً في منطقة طرابلس وزنزور والزاوية الغربية التي كان قائدهـــا الجـنرال مزيتى الجسور المعدود من كبار القواد حتى فى العهد الفاشيستى الآن .

فعاد الجنرال تارديتي الى فتح المذاكرات مرة اخرى واستمرت الى ان حصل الاتفاق على المواد المعلومة المطبوعة تحت توقيع جلالة الملك وبعنوان : « القانون الاساسى » لحكومة طرابلس الغرب .

واذ ذاك ختمنا الحرب بدون ان نصغى الى نصيحة من اشار علينا بمداومة

الحرب والعمل على طلب قانون اوسع من هذا اعتماداً على مواد الرئيس ويلسون

ولو لم نختم الحرب بهذا القانون لدامت ولما وجدت ايطاليا الفاشيستية الآن مجالا لتوسيع خطاها ومد يديها الى الجهات الاخرى .

ونحن ما كنا نحارب ايطاليا لمجرد بغض فيها او لعداوة نضمرها لها او لطمع في درهم واحد من خزائنها او في منصب من مجالسها ، بل للمحافظة على بعض حقوق ورثناها عن ءابائنا ، فدافعنا عنها لنورثها ابناءنا مسجلة في عهد مسطور مطرز بتوقيع جلالة ملك ايطاليا .

وها هي اوراق وسجلات اسلافك الوزراء بين يديك فراجعها فلا تجد اسماءنا الا فى دفاتر الوقائع والمعارك .

اما دفاتر المالية والهدايا الثمينة والمطالب الشخصية فلا تجد لنا فيها ولا نفخر اثراً ولا ذكراً .

فالجنرال تارديتي والوزارة المحترمة لم تقصر في المحافظة على الشرف العسكري الايطالى قطعا لكنها مع ذلك لم يبلغ بها الغرور الى حد ان تجحد حق امة خلقت من تربة الارض الطرابلسية منذ الوف من السنين لا يعلم اولها الا الذي انشأها ،

وقد شهد لها التاريخ الصادق بانها لم يات عليها زمن لم تقاوم فيه الامم التي قصدت التغلب عليها حتى فى عهد الاسلام الذي محا ءاثار العنصريات والمذاهب بين بني البشر .

اما ما يترنم به غواة الاستعمار من ان ايطاليا لم تعتد على الطرابلسيين وانما عادت الى ارض ءابائها الاقدمين الذين ابقوا آثارهم دالة عليهم ، فقول لا يقبله سليم العقل ولا ينطبق على شيء من التاريخ الحقيقي .

فان بلاد الايطاليين منذ عرفوا ايطاليا المعلومة بحدودها فى كتب الجغرافيا

وراء البحر الابيض ما اجتازوا هذا البحر الا غارين او مسترزقين كما اتوا الى تونس والجزائر وغيرهما ، وكما اتى العرب الى قطانيا وسارا كوزة وبلرمو ومسينا وغيرها من بلاد ايطاليا التى ملكوها قرونا من الدهر .

فهل لهم ان يقولوا الآن تلك بلاد ءابائنا واجدادنا ؟

وقد أتى طرابلس من غير الايطاليين كثيرون كالمصريين والحجازيين والسوريين والترك وعادوا عنها واحتلوها مدة بعد حروب طاحنة ثم بارحوها فهل لهم ان يدعوا كلهم انها بلاد اجدادهم ؟

ولو التفتت دولتكم التفاتة خفيفة الى الوراء لرأيتم ان رأية ايطاليا كانت قبل خمسة عشر عاما فقط مرفوعة فوق اسوار مرزق في فزان وفوق قصور غات وغدامس على حدود السودان ، فما بالها رجعت في اول الحرب العامة متقهقرة الى ان اوقفها البحر فانحصرت داخل اسوار طرابلس وزوارة والخمس تاركة وراءها كل عزيز لديها من مال وسلاح ووجال ؟

أليس اولئك المتقهقرون هم عينهم الفاشيستيون الآن ومنهم دولتكم ؟

ام الفاشيستية نزلت ومعها رجالها من السماء ؟ لا ـ لا ـ وشرفك !

فحينئذ أليس من الصواب المحتم اتباعه استبقاء رضاء الطرابلسيين لايطاليا والمحافظة على ولائهم واخلاصهم الذي برهنوا عليه لايطاليا في مقابلة هذا القانون الواجب الاحترام بصورة كانت غير مأمولة منهم ، لانهم أدركوا ان لا راحة لهم مع هذا الانقلاب العظيم والتغير المشاهد على الكرة الارضية الا بالاتحاد وتبادل المودة مع ايطاليا التي عرفتهم وعرفوها سنين متعددة فى ميادين ما اجتمع فيها اثنان ثم تصافحا الا كانت صداقتها بعد ذلك امتن صداقة وادومها .

فالانصاف الانصاف والنظر النظر الى المستقبل ببصائر لا تغفل عن الماضي لأن التاريخ يعيد نفسه كما قيل ، وقد قال الشاعر العربي !

ما انت اول سار غره قمر ورائد أعجبته خضرة الدمن

ايها الوزير الخطير — انك قد أعليت شأن الامة الايطالية واحييت مجدها والبستها تاج الفخار وخلدت لنفسك ذكراً لاينسى فلا تجعل نقض القانون الاساسي الطرابلسي نقطة سوداء بين اسطر تاريخك الذهبية .

وفى الختام تقبل احترام ابن العزيزة طرابلس الغرب :

نزيل الشرق - سليمان الباروني

٢ - كونوا كما تريدون

وانما لا تدخلوا طرابلس في نظرياتكم

عندما كانت المعركة القلمية حامية الوطيس في صحف سوريا وفلسطين ضد بعضها فى شأن مدح ايطاليا او ذمها في سنة ١٩٣٥ من اجل استمالتها اليها لتقوى بها على نيل بعض حقوق بلادها على حساب طرابلس الغرب كتب الباروني باشا المقال التالي تحت العنوان اعلاه ونشره في جريدة الف باء فى جوان ١٩٣٥ وهذا نصه :

. . . نرى مع الاسف العظيم فى هذه الايام اكبر صحف الشام وفلسطين المحترمة ومن انتصر لها تتحارب وتسود اعمدتها يوميا بالتنابذ وكشف العورات ناسية كل المحن المحدقة بها ، كأن معول الاستعمار لم يبلغ الى نصابه متغلغلا فى افئدتها الى الآن .

ولكون اكثر اصحابها ومحرريها ممن يشار اليهم بالبنان فى السياسة والوطنية الصادقة والعلم الواسع ، لا اتطاول الى نصيحتهم او تنبيههم الى ان مسلكهم هذا سيؤدي الى خسران قضيتهم وذهاب اتعابهم ادراج الرياح وبقائهم مثقلين باغلال الاستعمار والعبودية الى اجيال لا يعلم منتهاها الا الله ،

والذي دعاني الى كتابة هذه الاسطر هو ماشممته من عبارات بعض الصحف التى تكاد تكون صريحة فى ان المقصود من مدح او ذم اعمال ايطاليا في طرابلس هواستمالتها اليها لتقوى بها على نيل بعض حقوق بلادها .

وهذا معناه الصريح ، هو جعل طرابلس فداء لسوريا وفلسطين وهو مقصد جارح ومؤلم لكل طرابلسي حيث كان ، ننزه عقلاء اخواننا السوريين والفلسطينيين عنه .

ان الطرابلسيين خصوصا الذين تلقوا بصدورهم مدة تسع سنين متواليه قنابل عدوهم وغازاته السامية من يوم محاربة الساحل الشهيرة ومحاربة قصر الهانيء الطاحنة على اثر احتلال العدو عاصمتهم سنة ١٩١١ الى اواسط ١٩١٩ .

وخسروا من رجالهم ءالافا ومن اموالهم واموال الدولة العثمانية التى كانت تمدهم بها ما يعد بالملايين .

ثم بارحوا وطنهم مرغمين وتشتتوا بالاقطار صابرين غير سائلين احدا نفعاً لايقبلون ابدا ان تجعل بلادهم وسيلة لتنازع الاحزاب او ان تتخذ حقوقها فدية لحقوق غيرها من البلدان .

ان الذى يريد ان يستميل ايطاليا لمصلحته بتمجيد أعمالها في طرابلس يمكنه ان يمجدها بجهات اخرى غير طرابلس فان لها مستعمرات واسعة ويغرقها مدحا كونها من الدول المعظمة التى تدير الكرة الارضية كما تشاء فى هذا الوقت .

والذي يريد استمالتها بالتهديد يمكنه ان يعد مساويها فى غير طرابلس من مستعمراتها . ويمكنه ان يذمها ان اراد لكونها دولة استعمارية محضة ، وما بعد الاستعمار ذنب ! فان فيه كل ممقوت شرعا وعقلا وانسانية مالا يجتمع مع المدح قط .

والذي يرى في نفسه قوة على نفع طرابلس والتاثير على ايطاليا فليحملها على

اعادة دستورها الذى نالته سنة ١٩١٩ مصدقا من مجلسي شيوخ ونواب ايطاليا متوجا بتوقيع ملكها المعظم .

فهذا هو الذى يرضي الطرابلسيين خوض الصحف فيه ، ومن قـــدر على اعطاء طرابلس اكثر من دستورها فله الف شكر مقدما .

اما زخرفة المساجد المعطلة واحداث مدارس لطمس البصائر وقتـل الشعور واعادة البقرةوالنعجة والثور والتيس وخرابات الطين وكـتبان الرمل والاراضي السبخية لأصحابها فى مقابة السكوت عن طلب الدستور فامور لا تهم المجاهدين الذين لا يزالون يقاسون انواع الآلام فى هجرتهم الى اليوم ، وانما تهم اشخاصاً معدودين يجب ان يسعوا لها باسمائهم الخاصة بهم لا باسم طرابلس التى لا يرضيها الا دستورها او أكثر منه ، ولو كان فى ذلك انقطاع نسـل البقر والحمير وانقلاب الجبال براكين والرمال رماداً والاخضر يابسا ، أقول هـــذا بالنسبة لبلادى طرابلس التي يحدها شرقا قطر بني غازي وغربا تونس .

اما قطر بنى غازي فلا حق لي في التعرض لشئونه لان له رجالا وابطـــالا حاربوا دونه ببسالة سمع بها العالم كله الى ان أستشهد الشيخ عمر المختار واكثرهم موجودون في مصر وفي مقدمتهم اشبال العائلة « السنوسية » المحترمة ، فانهم أحق بالكلام على بلادهم .

هذا وارجو ان لا أكون ملوما على مقالتي هـذه ، لان الصبر الى ان يبلغ السيل الزبى دليل على الخمول المتناهى والاعتراف بالواقع .

واعتقد ان كل او اغلب اخواني مجاهدي ورؤساه الحرب الطرابلسية عـلى هذا الرأي .

بغداد — سليمان الباروني

اصداء مقالاته فى اندية الشرق

كان لمقالات الباروني باشا من الوقع والتأثير في أندية الشرق ما كان لمدافعه من الزلزال في ميادين الغرب .

فانه كلما نشر مقالا في الصحف في اي موضوع لا يمر مقاله كما يمـر كلام المغمورين على الآذان ، ولـكنه يحدث من الرجات ما يزعزع الاطواد ويزلزل الجبـــال .

والـكلام الحق اذا خرج من القلب دخل فى القلب . وقد عبر عـن ذلك بنفسه فى رسالة منه الينا مؤرخة في ربيع الاول ١٣٥٦ جاء فيها ما نصه :

. . . كان الطرابلسيين الذين في المهجر : الشام ومصر ادركوا انهم لا امل لهم في غير الباروني فاكثروا من مكاتبتى .

اما الذين فى تونس فقد تنبهوا على أثر اطلاعهم على ما نشرته من المقالات وما كتبه أمين سعيد فى مؤلفه عن حرب طرابلس ، فجاءتني كتب من بعضهم يطلبون مني العمل وانه لا امل لهم في غيري الخ .

وعليه أرجو ان ترسلوا مما نشر ونقلته الامة من مقالاتي عن حرب طرابلس خصوصا مقالة الرابطة « القول الفصل فى حرب طرابلس » التي لم ارها تامة في الامة ولم ادر السبب ومقالي الذى نقلته من الجهاد في ان الحكومة والحرب فى طرابلس لم يكونا مبنيين على مذهب او طريقة وانما على الاسلام والوطن.

من اخيكم سليمان البارونى

وقبل ان نفرغ من الـكـلام عن هذا الموضوع يجدر بنا ان نـورد بعض نماذج من ذلك عن مدى التأثير الذي يحدثه مـا يكتبه فى قضية طـرابلس خصوصا وشمال افريقيا عموما .

١ — عندما رد على الاستاذ عمر فائق شنيب البرقاوي صاحب جريـــدة

شامي يتزلف لايطاليا فى اواسط عام ١٣٥٦ ، كتب الباروني باشا مقالا يؤيد فيه الاستاذ عمر فائق فيما سلكه ضد المتزلف لايطاليا ونشره فى الرابطة العربية وقبل وصول الرابطة له وردته رسائل عديدة من بعض الغيورين الطرابلسيين والبرقاويين في الشام تنويها بمقاله الموما اليه (١)

من ذلك رسالة لطيفة بامضاء : « مهاجر مغربي »

قال بعد كلام طويل فى رسالته ما نصه : وفى هذا القنوط المخيم علينا وفى هذا التردد بين اليأس والرجاء ، وفي هذا السوق النافقة بالدعايات تحمل الرابطة العربية صوتا من بغداد ويندفع زئير هزبر باسل ترددت اصداؤه فى دمشق وفى كافة الاقطار العربية فزلزلت له الارض وارتجفت منه الفرائص يؤيد عمر فائق شنيب ، فتساءل القوم لمن الصوت ؟ فاذا به صوت زعيم طرابلسي غير مدافع وسيد البلاد بلا منازع « سليمان باشا الباروني » !

فاذا بعمر ينبعث فيه نشاط ما كان يعرفه من قبل ! واذا بعمر يبتديء عمله من هذا اليوم ! واذا بعمر يشمر عن ساعد الجد كأنه خلق هذه الساعة !

ولا أكتم سيدي انني — والله — كنت أقرأ المقال وعمر يرقص رقصاً حقيقيا لا مبالغة فيه .

اما انا فقد كان دموع الفرح والسرور تتساقط من محاجري كالمطر !

كيف لا أفرح وما عجزت عنه وضقت به ذرعا قضاه الزعيم البطل بمقال واحد ! وكيف لا يرقص عمر طربا وقد تشرف بتائيدكم ونال رضاكم الذي سيذخره شهادة بين يدي الله على اخلاصه لوطنه .

سيدى ان صوتا واحداً من معاليكم يرد الحجر من حيث أتى ويقطع الطريق

---

١) نحن لم نقف على هذا المقال ولعله — كما ورد الخبر من سوريا — ان الرابطة صودرت في بغداد من اجل هذا المقال ولم تصل نسخة منه الى احد من بريد بغداد

عن كل من يريد بالبلاد سوء . الخ

قال الباشا : وهذا لا أعرفه الا بالسماع ولم يكتب الي قط وهذا يدل على مقدار تاثير المقال . الخ

ومن ذلك رسالة طويلة من السيد عمر فائق نفسه (١) جاء فيها ما نصه :

لا اقدر ان أصف كيف قرأت تلك الكلمة التى صدرت من سيد البلاد المطاع في مجلة « الرابطة العربية » بعددها ٦٥٨، جمادى الاولى ١٣٥٦ وما كان لها من تاثير بليغ فى قلبي وقلب كل صادق مخلص لوطنه من ابناء بلادى ، وما احدثته من رنة استحسان فى جميع الاوساط الوطنية والاندية السياسية فى دمشق كما انني أؤمل بلا شك فى ان صداها اثر فى تونس ومصر اضعافا مضاعفة ، وان وصفت او تكلمت أقول باختصار :

لقد احييت يا زعيم البلاد الحقيقى القضية الطرابلسية البرقاوية وبعثتها من جديد بعد ان كادت تندرس ان لم نقل اندرست او اضمحلت ، واحييت فينا ميت الامل بل وبعثت فينا قوة ونشاطا ليس لهما حد ، وافهمت الراي العام معنى الرجولية ومعنى الحق فى الذب عن حياض الوطن وقيمة الجهاد الحقيق والغاية من السياسة والسيادة .

فلك الشكر الذى يراس كل شكر ، واكرر ما قيل :

فلو كان للشكر شخص يبيـ ـن اذاً لتمثله الناظر

لتمثله لك حتى ترا ه ، فتعلم اني امرء شاكر

وقد نقل حضرة الكاتب في رسالته هذه قسما من كتاب ورد اليه من السيد ادريس يقول هكذا :

« سليمان باشا الباروني كاتبته من زمن وشكرته على ما كتبه في الجرائد

---

١) هو من اعيان برقة ومن خواص السيد ادريس السنوسى

فرد علي بكتاب الى ان قال : « انى مؤيده فى كل ما كتب وهو الرجل الوحيد العاقل العالم المجرب والذى ينظر الى الامور من وجهها الحقيقى . الخ

٢ — أثر وفاة فقيد العروبة والاسلام المجاهد العظيم الشيخ احمد الشريف السنوسي عقد لتأبينه حفل كبير القى فيه امير البيان شكيب ارسلان خطابا مستفيضا نشر في جريدة « الجهاد » ولكن حاد فيه عن الجادة في بعض كلمات فكتب البارونى باشا رسالة في شأنها الى الجهاد في محرم ١٣٥٢ غير ان الجهاد لم ينشرها ، وهذا نصها :

. . . قرأت ما نشره « الجهاد » المحترم للامير شكيب ارسلان فى تأبين فقيد الاسلام ورجله العظيم السيد السنوسى الذي كانت رزية فقده من اعظم مصائب العالم الاسلامي اليوم ، وقد اجاد فيما يتعلق بفضائله العالية واخلاقه الزكية وجهاده الكبير ، الامر الذي لا نزاع فيه ولا ينتطح فيه عنزان .

ولو وفقت فى ترغيبي بعض اهل الرأي من بغداد في عقد اجتماع لتأبينه لأديت الواجب فى حقه بما لا يقل عن كلام الامير مما تحققته عنه خدمة للفضيلة وتعزية للعائلة السنوسية الجليلة .

هذا وقد استغربت من الامير ذكره جملا فى رسالته هذه منها قوله :

لولا السيد احمد الشريف رحمه الله لكانت ايطاليا استصفت قطرى طرابلس وبرقه في الشهر الاول من غارتها عليها ، لولاه لم يكن انور قدر ان يعمل شيئا ولا كانت الدولة العثمانية قدرت ان تدافع عن طرابلس شهراً واحداً وهو وحده كان مصدر هذه الارادة التي انشأت باذن الله هذا الجهاد الطويل العريض وحفظت شرف الاسلام المعتدى عليه فى طرابلس وغير طرابلس .

فاني ما كنت اعتقد ان الامير يتعمد انكار المحسوس وطمس حقائق التاريخ الى هذا الحد على مسمع ومرءى من العالم كله ، وفيه من رجال التاريخ

واساتذة التدوين وفطاحل العلماء ومحرري الصحف ورجال الحرب الواقفين على دقائقها ما لا يعلم عددهم الا الله ، وهو يدري ان التاريخ امانة ثمينة يجب ان تحفظ للاجيال غير مشوهة . وان المؤرخ أمين لا تزعزعه الاغراض ولا تستهويه العواطف .

فانه بالتأمل في تلك الجمل يتضح انه جرد الدولة العثمانية ورئيسها الخليفة الاعظم (اذ ذاك) من فضل الدفاع عن طرابلس وبني غازي تجريداً تاما

اما انور باشا ، فلم يجعل له فيه شانا ولا نصيبا قط

واما الطرابلسيون والبنغازيون فقد طوى صحيفتهم طيا ، اشارة الى انهم هم وعلماءهم ورؤساءهم وابطالهم كانوا فى ذلك الدفاع كله حمراً مستنفرة ، وغنما تساق من غير اختيار منها الى المجزرة بارادة السيد السنوسى فقط ، سواء كان السيد مقيما في حدود السودان ام في استامبول أم في بروسه ام فى انقره ام في مرسين ام في الرياض ام فى العسير ام فى الحجاز ؟

ولو اطلع السيد السنوسى على هذا الكلام لما ارتضاه بدون شك عندي لأنه عالم بما هو عائد اليه من هذا الجهاد وما هو عائد الى غيره ، ويتنزه ان يكون من الذين قال الله فيهم « لا يحسبن الذين يفرحون بما اوتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا) الآية

وقد مزج الامير فى كلامه حرب بني غازي (برقة) بحرب طرابلس ، وهو عالم بانه لا علاقة لأحد القطرين بالآخر فى الحرب : لا اداريا ولا عسكريا ولا ماليا قط !

لكنه تعمد هذا المزج لأمر ما :

١ — وحيث ان الجمل المذكورة لا تتفق مع تاريخ حرب طرابلس الصحيح قطعا .

٢ — وحيث ان فيها اهانة جلية وغصبا لحق مجاهدى طرابلس الذين ضحوا مختارين بارواحهم واموالهم واولادهم وخضبوا الرمال والجبال بدمائهم فى سبيل الدفاع عن شرفهم ، وهاجموا الايطاليين على اثر اعتدائهم بدون تردد ولا انتظار امام اسوار طرابلس قبل ان تقرر الحكومة العثمانية ومجلس نوابها جواز الدفاع وقبل ان يبلغ الخبر السيد السنوسي المقيم اذ ذاك مطمئنا عند حدود السودان فى واحة الكفرة التى تبعد عن مدينة طرابلس بمسافة لا تقل عن شهر ونصف ، جلها رمال كالبحر ومفاوز قاحلة وصحاري معطشة .

واستمروا في دفاعهم متكلين على ربهم مستمدين من دولتهم بعد ان قررت الحرب مسترشدين من قوادها الابطال من عرب وترك وغيرهم حتى صاروا مثالا للامم التي اقتدت بهم ، وقامت للمطالبة بحقوقها كما صرح بذلك كاتم اسرار سفارة بولونيا في استامبول في مأدبة سنة ١٩١٣ .

٣ — وحيث ان فيها انكارا لفضل الخليفة الاعظم ، ودولة الخلافة اذ ذاك التى قامت بواجبها ، فكانت تنفق الملايين من الذهب والسلاح مدداً لمجاهدي طرابلس وبني غازى الى ساعات احتضارها لما كانت امم البلقان زاحفة على مركزها « استامبول » سنة ١٩١٢ ، ولما كانت اساطيل وجيوش اعظم دول الدنيا متجمعة امام مضيقي الدردانيل والبوسفور لأقتحامهما وللاستيلاء على استامبول سنة ١٩١٥ وما بعدها للقضاء على الخلافة الاسلامية التى كانت قذى في أعينهم مئات من السنين .

وهي دولة الخلافة على يقين من انها لا تجنى لنفسها من وراء الانفاق على حرب طرابلس وبني غازي اولا واخراً شروى نقير ، وانما تعود فائدة ذلك على القطرين اذا حصلت ، ولذلك يرى الطرابلسيون والبنغازيون انهم مدينون لها ما دامت الارض والسماء ، ولا ينسون جميلها وان انقرضت واصبحت فى خبر

كان وورثتها جمهورية تركيا الآن ، فان نسيان الجميل والمروءة لا يجتمعان .

٤ — وحيث ان فيها جحوداً لجهاد انور الذي مجده حينئذ العالم باسره ولا ينساه الطرابلسيون والبنغازيون كبيرهم وصغيرهم لمشاركته اياهم في محنتهم قولا وفعلا الى النهاية وان مات مجاهداً فى سبيل مبدإه مقاوما للمستعمرين اينما حل ، ولم يبق اليوم الا اسمه ورسمه والبقاء لله وحده .

٥ — وحيث ان حرب طرابلس وبنى غازي أصبحت عند الناس ككنز مطلسم كل يقول فيه ما عن له ، والبعض يتصرفون فيه كمال مشاع ، والباحثون عن حقيقتها فى حيرة لأختلاف الروايات وتعدد المصادر المتباينة .

٦ — وحيث كان ما ذكر كله وفيه مخالفة لحقيقة التاريخ ، رأيت ان أقدم للجهاد المحترم سلسلة مقالات مختصرة كانموذج لهذه الحرب المطلسمة تكشف عن بعض حقائقها وتشخص للقراء المغرمين بها ماهيتها على التقريب ، تكون لهم كدبراس يهتدون به الى معرفة الصحيح من المزيف مما يجدونه مكتوبا عنها . وكل ذلك عن مشاهدة لا عن قيل وقال او اقتباس من رسالة او استنتاج من مقالة ، وليس الخبر كالعيان .

ولا أتعرض فيها لذكر اسماء الاشخاص الا حيث لا محيد عن ذكرها لأن الاسماء كثيرة والمقال مختصر وذكر البعض واهمال البعض خروج عن دائرة الانصاف .

وسيحصل ذلك باذن الله فى التاريخ المفصل الذى سيكون جامعا لاسماء وصور الرؤساء والقواد والضباط والممتازين بالاقدام والآلات الحربية ولصور بعض الاماكن والخرائط والوثائق الرسمية وغير الرسمية التى لا تشوبها شبهة .

سليمان الباروني

كما لا حظ بعض النابهين على الامير نفسه اغفال مواقف الباروني باشا فى

جهاد طرابلس الغرب في خطبة التأبين ، فكتب الامير استدرا كا نشره فى الجهاد الصادر في ابريل ١٩٣٢ ، ومما جاء في استدراكه قوله :

« انى لعارف من فضل الشيخ سليمان الباروني فى جهاد اهالي الجبل الغربى من طرابلس ما لا يباريني احد في تقديره ، لأن هذا الرجل هو الذي ثار بقومه الفرقة الاباضية قبل الجميع فى غربي طرابلس . الخ

فكتب الينا الباروني باشا فى هذا الصدد رسالة مؤرخة فى ٢٩ ربيع الاول ١٣٥٣ ، وهذا نص محل الحاجة منها :

. . . قلت لكم فى جوابى السابق لايهمكم ما يكتبه المعروفون عن طرابلس ، ولا تجعلوا له صبغة مذهبية ، فان الواقفين على الحقائق يسخرون من تلك الكتابات .

فليكن ابكاتهم بظهور التاريخ الصحيح المدلل بالوثائق الرسمية الشاهدة بانني ما حاربت بالاباضية فقط كما ذكر « شكيب » فى تصحيحه الاخير الذي نشره فى الجهاد تحت عنوان « فضل البارونى فى جهاد طرابلس » بالاباضى والبربري القليلين وبالسنى والعربى الكثيرين وباصحاب الطرق كلها وهو الامر الذى جعل الطليان اذذاك يسألون عن هذا السر خصوصا بعد تسليم الدولة فى حرب ١٩١٢ .

فقد حاولوا ان يحدثوا تفرقة باسم العناصر والمذاهب والطرق فلم يفلحوا اذاً لا لزوم للاشارة الى المذاهب قط ولنقتصر الآن على هذا . الخ

٣ — لما كتب الباروني باشا المقال الذى عنوانه « ترك عرب » وقدسبق تسجيله فى محله من الكتاب كتب الينا عن مبلغ تاثيره فى اندية الشرق ما نصه : اليكم مع هذا مقال « ترك عرب » وقد احدث ضجه عظيمة في النوادى والمقاهي ، والكل على تصويبه قائلين :

« هذه حقيقة خفت صوتها منذ الحرب العظمى » وقد قال لي بعض الاصدقاء : انك لا تزال مخاطراً براحتك !! فقلت له ألم تسمع بقول القائل :

« انا الغريق فما خوفي من البلل ! » انى محصور بين بغداد ومسقط فاذا رأوا نفي الى مصر او تونس او الجزائر فاني مستعد لذلك ! فضحك .

١٥ ربيع الثاني ١٣٥٣ من اخيكم سليمان البارونى

٤ — عندما كان اقطاب العروبة والاسلام يتبادلون الاراء فيم هو أنفع للمسلمين والعرب ؟ أهو الجامعة الاسلامية أو الوحدة العربية ؟ وأي منهما أجدر بالتحقيق ؟ وما هي حدوده ؟ جنح امير البيان شكيب أرسلان الى الثانية « الوحدة العربية » فالقى خطابا في هذا الموضوع في النادي العربي بدمشق ، حصر فيه الوحدة العربية فى حدود ضيقة وترك كثيراً من البلاد العربية الاسلامية خارج هذه الحدود وعلل نظره هذا بانه لا يتحمل عداوة دول الاستعمار لأجل صداقة مسلمي مستعمراتها فيما نقل عنه بعض الكاتبين

وحيث ان هذه النظرية صادمت أقدس ما في نفسية البارونى باشا ، وهو الذى فنى كله فى الجامعة الاسلامية وقطعت عنه طريق اماله التي كان يصبو اليها نحو شمال فريقيا منذ نشأته ، كتب مقالا رد فيه على الامير ونشره في الرابطة العربية (١) فكانت له هزة عنيفة في أندية الشرق ، فجاءت اليه رسائل ومضابط من رجال التحرير من مهاجرى طرابلس وبرقة وتونس والجزائر .

وقبل ان نسجل بعضا من ذلك فيما يلي نقدم بين يديه ما كتبه الينا البارونى باشا نفسه فى هذا الشأن ، قال رحمه الله :

---

١) كما نشرناه عنها فى « الامة » عدد ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ الصادرة فى ١٧ شوال ٢٤ منه ١ ذي القعدة ١٣٥٦ ، وكما كتب عنها الاستاذ افلح الشبخ بيوض للجمع بين اميري السيف والبيان نشرت كذلك فى الامة بعدها .

أحدث مقالي في شكيب رنة استحسان في جميع الجهات لأشتماله على حقائق كان الناس يجهلونها .

واليكم — مع هذا — ما كتب به الي من رئيس مقر جمعية الطرابلسيين واعيانهم في الشام ومن أحد ادباء الشام المشهورين ، اما فى بغداد فبمجرد انتشار خبره تسابق الناس الى الكتبية ، ولما وصلني العدد أرسلت من يشتري لي منه اعداداً لأرسلها الى اصدقاءي فى الخارج فلم يجد عند الباعة شيئا منه .

من رأى ان لا تنقصوا الجامعة العربية بل صوبوها بالنسبة الى الشرق ، وانما المغرب لا تنفعه الا الجامعة الاسلامية ، لانه ليس فى المغرب كله من طرابلس الى المحيط غير مسلم من الوطنيين حتى تجب مراعاته .

وفيه غير العرب ملايين من بربر وترك وسودان وغيرهم ، ولا تجمعهم الا كلمة الاسلام والوطن التى تجمع الجميع بالاقطار الاسلامية كلها وتوجب عليهم حق الاخوة الاسلامية التي فرضها الله في كتابه : « انما المؤمنون اخوة »

هذا رأي فتفاهموا في مثاله مع اخوانكم خصوصا رجال جمعية العلماء . والرأي لكم .

سليمان الباروني

اما ما كتب اليه حول ذلك المقال ففيما يلي نموذج من ذلك :

١ — رسالة مستفيضة اليه من دمشق مورخه فى تشرين الاول - جانفى سنة ١٩٣٧ ، وهذا نصها :

حضرة سيدى الافخم الزعيم الكبير المفدى الشيخ سليمان باشا البارونى حفظه الله ورعاه . تحية واحتراما

وبعد — فقد تشرفت بمطالعة كتابكم الموقر المبشر بصحتكم الغالية مسروراً بهذه البشرى وحمدت الله تعالى على ذلك ، كما رجوته ان يديمها علينا ويحفظها ذخراً للوطن والدين ، وان يقبل منكم الصيام والقيام ويمتعكم به

وبامثاله فى الوطن المقدس وهو رافع رأية الاستقلال فى اقرب وقت انه سميع مجيب

وصلت الرابطة واطلعت على ما فيها من رد على الامير شكيب بصورة حاوية جميع الحقائق والحجج فكان لها رنة واى رنة ، جزاكم الله خيراً عن الوطن وبنيه .

اما تاثير ذلك فى الاوساط فهو ما لا نقدر ان نوضحه فى هذه العجالة ، وكفى ان أقول : ان ليلة ورود العدد حضرت ومعي الاخ التونسي ثلاثة اجتماعات ضمت كثيراً من الشخصيات وادباء سوريين ، فجميعهم كانوا يثنون على سعادتكم ويقولون : ان هذا هو الزعيم الحقيقى الذى تكلم .

وقال آخرون : لو ان الامة السوريه انتخبت مثل هذا القائد الفحل المشهور بعلمه وغيرته على الدين الى المجمع العلمي وامنت له معيشته لكان خير كافل لتوثيق الروابط بين الاقطار الاسلامية ، لا كمن يدجل على الناس باسم الوطن والدين و. . . مثل . . . وبعض الزعماء المزيفين فشكرتهم على ذلك .

اما اخوانى العاملون معي فكل منهم يقول : روحي فداء زعيمنا الحقيقي البارونى ! هذه خلاصة مجملة مختصرة

قررت مع الاخ التونسي زيارة جريدة الايام عسى ان نتوفق لنقل ما كتب في الرابطة فيها ، وقرر التونسى ان يكتب كلمة على صفحات الرابطة . من مدة ايام كتبت كلمة في الايام نقدمها لكم ، وهي خلاصة ما اخذته في كتب من تونس ومصر ، ومع ذلك يا مولاي الباروني باشا لك ملء الحق ان تتصرف وتكتب ما تشاء او تشير الي بما يجب كتابته ولو كان في ذلك اعدامي ، وهو غاية ما اتمناه فى سبيل الله والوطن ، لانى جندي تحت لوائكم وقصدي اذ ربما ترون اشياء يجب كتابتها ولكن لا يجوز ان توقع باسمكم لان مقامكم سامي فى جميع الاندية والمقامات وبين الحكومات التى تزن كل كلمة

تصدر منكم ، واما مثلي فهو جندى امين خادم لوطنه ودينه وزعيمه بالروح والجسم والقلم ، والله على ما نقول شاهد ووكيل .

وهذا قول مجاهد وطني وفي مخلص ان شاء الله

اذ كثيراً ما يجيش في نفسي ان أكتب فى المسائل العامة ولكنى أحجم عن ذلك حرصاً على قضية بلادي .

هذا من جهة ومن جهة ثانية ، ما انا الا كنقطة من بحركم الزاخر بالعلوم والتجارب والحقائق ، وأني أعترف بالتقصير ، ولكن أعتمد دائما على عفوكم ،

فاتني من ايام ان ارسل لكم ما اطلعت عليه في كتاب وارد للاخ التونسى من السيد الثعالبي بمناسبة محاضرة الامير شكيب ارسلان ، وها اني اذكر ذلك لكم كما نقلته حرفيا من كتاب الثعالبي لا زيادة ولا نقصان :

كلمة الشيخ الثعالبي فى محاضرة الامير

قال مخاطبا للاخ التونسى : قرأت كلمتك التي علقت بها على محاضرة الامير شكيب ارسلان عن الوحدة العربية ، ولست أحسبه جاداً حين أظهر الشك فى عروبة شمال افريقيا ، بل كان يلفظ لفظ السياسيين حين يريدون تجاهل الحقائق المسلمة .

ومن يستطيع ان يتجاهل عربية افريقيا الشمالية من مصر الى المحيط وان زعم الزاعمون انهم بربر فقد اطبق المحققون من علماء الاجناس ان برابرة جنوبي الاطلس انحدروا من جزيرة العرب عن طريق مصر في احقاب مختلفة من التاريخ في ايام الفراعنة والفنيقيين ثم تكاثروا فى غمار الايام وعمروا البلاد فى عهد الاسلام وسادوا عليها عرقا وثقافة ، فهم عرب قديما وحديثا ، وبلادنا موطن من مواطنهم حب من حب وكره من كره ولن يضرنا فى ذلك شك شاك مغمور بترويج دعاية سياسية اجنبية اه حرفيا .

ولقد عجبت بالثعالبى وعددته من رجال افريقيا الذين يفتخر بزعامتهم حقا واني سأجد مناسبة وا كتب له شكري وما يخالج ضميري نحوه ، لاننا افريقيون مسلمون طال الزمان او قصر ، وسنرسل له عدداً من الرابطة مشفوعا بكتاب من الاخ التونسى ونشكره ، كما انني سأكتب الى كل من السيد محي الدين القليبى والسيد محمد الغربى في تونس ونلفت نظرهم للمقال ، ونطلب منهم ان ينقلوه الى بعض صحفهم التى تنشر في الجزائر ومراكش وان يعطوا هذا الامر عنايته : فاما جامعة اسلامية ، والا لا يغتروا بعد الآن بخزعبلات طلاب الوحدة العربية السائرة تحت ستار الدعاية الاجنبية . الخ فلان

٢ — رسالة الى البارونى باشا ايضا من هذا الكاتب فى هذا الشأن نفسه

وهذا نصها :

دمشق ٢٧ رمضان ١٣٥٦

سيدي ومولاي الزعيم المفدى سليمان باشا الباروني الافخم ، تحية واحتراما

وبعد فانى قدمت قبله مفصلا عن مقالكم البديع فى الرابطة ، وبعد توديعي اياه في البريد أخذت كتابكم الثانى المرسل لى مع الاخ ... فأشكر الله تعالى على صحتكم التي هي كل شىء عندنا . وأحيطكم علما ان تاثير مقالكم في النفوس والاندية كان له أحسن وقع حتى انه بلغني ان جماعة ... وبعض رجال الجبهة الشعبية قرروا ان يجعلوه مع مقال « هانى » في نشرة خاصة ويوزعوا منه اعدادا ، هذا ما بلغني اليوم فاذا تم ذلك فاني سأقدم لكم منه اعداداً .

وما عدا بعض اشخاص تربطهم بالامير رابطة المصلحة الطليانية تقريبا ، اذ هى رابطة المنفعة الشخصية ، فالجميع جاءهم ما كتبتم برداً وسلاما .

ومما يؤلمني بل ويقتلني ان « فلانا » سا كت عن هذه الاحوال ولم ينبس ببنت شفة نظراً لأرتباطه بالامير وباصدقاء الامير ظنا منه ان امثال هؤلا

يفيدون وطننا والحقيقة انهم جميعا يضحون به مثلما ضحى به الامير ، مع ان لدى « فلان » من الوثائق على الامير ما اذا نشر واحدة منها لجعلته فى خبر كان ، وعلى كل لا اريد الآن البحث مطولا ، ولا بد لى من الاستحصال على قسم من هذه الوثائق عينا نرسلها لكم لتكون حجة عندكم عليه . الخ

فلان

٣ — جملة من رسالة اخرى من احد ادباء سوريا المشهورين وردت الى الباروني باشا نقتطف منها ما يلي :

ان مقالكم عن شكيب كان له وقع كبير ، ولقد رايت اهتماما من كثيرين بطلب اقتناء عدد الرابطة الذي يحمل مقالكم ، ولنفاذ الاعداد كلفت المتعهد ان يستحضر كمية منها بسرعة . الخ المخلص « فلان »

٤ — مضبطة — عريضة تحمل شعور جماعة من علماء وادباء مهاجري طرابلس - برقة في سوريا نحو الزعيم الباروني باشا فى شأن مقاله المومى اليه ، وهذا نصها :

سيدنا الزعيم المفدى - ايها البطل الكبير ، لو بحثنا في لغة يعرب ونقبنا في قواميسها ومحيطها لنجمع من دررها تاج لنكلل به مفرقكم الوضاء وجبينكم الناصع لما وفينا بشكركم وقمنا بحمدكم .

واي لسان يعرب عما يخالج ضمائر جنودكم من اخلاص لكم وولاء لزعامتكم المقدسة والتفاف تحت لوائكم .

سيدنا ، لقد اوشكت نهضتنا ان يخمد اوارها فاذا بنور يشع من نبراسكم فاضرم نار الحماس فى قلوب الشيب والشباب منا .

وها ان نفحاتكم قد غمرتنا حتى اصبحنا نعدها ولا نحددها فهناك زئير يصم اذان سماسرة الفاشيزم .

وهناك يراع امضى من السيف جرد على اعداء الوطن !

وهناك عطف ابوي على هؤلاء الجنود الذين يتفانون فى حب قائدهم الاعظم حتى باتوا يرفعون به الرأس عاليا ويفاخرون بزعيمهم المفدى امم العالم .

وان ننسى لا ننسى ذلك الصوت الداوي الذي هز اركان العروبة على صفحات الرابطة ، وتلك الاريحية التي تجلت في تأبين فقيدنا الغالي « فوزى النعاس » وكانت خطبتكم فيها بيت القصيد

واخيراً نرجو من الله ان يمد في حياتكم لنصل الى هدفنا الاسمى تحت رأيتكم كي تجوسوا خلال ديارنا ونحن في ركابكم سيدنا المعظم . التواقيع

ثانيا — واما **تونس** منبته العلمي فان عطفه وحنوه نحوها أمر لم يفارقه منذ حداثة سنه الى اخر ايام حياته

فقد انشأ في علمائها وبعض ملوكها غرر القصائد في شبيبته ، والتجأ اليها بعائلته في محنته بعد حرب طرابلس الاولى سنة ١٩١٣

وعمل فى قيادته مع رجالها الاحرار لاسيما مع الزعيم علي باش حامبه والاستاذ الثعالبي لتحريرها فى الحرب الكبرى سنة ١٩١٤-١٩

وقد شملتها اليته بان لا يحلق شعر رأسه حتى :

تسود اعلام الخليفة في البلاد الضائعات

من قصيدته السابقة التي مطلعها :

هذا هو الشعر الذي شهد الحروب الهائلات

كما حن اليها فى شيخوخته حنو البازى الى وكره للسكون فيه بافراخه ، وقد رأيت الشيء الكثير من ذلك فيما اوردنا له من الرسائل في « فصل » مراجعاته للحلفاء للاذن له بالدخول الى احدى البلاد الداخلة تحت نفوذها ، فلا تقرأ رسالة له منها الا وتجد فيها ذكر تونس .

وعلى قدر هذا العطف وهذا الحنو منه كان اصرار فرانسا وتشددهـا في ايصاد الباب واحكام اغلاقه دونه !

وان اهتزازه بوجود بعثنا العلمية فيها وتغنيه بها ونعيه على من ينكر علينا ذلك امر عرفه منه الاخ الباحث فيما تقدم .

ثالثا — واما الجزائر معهده الثقافي فكل ما قلناه عنه في تونس نقوله عنه فى الجزائر ، فان نشوه بميزاب فى احضان قطب الائمة الشيخ طفيش وجولاته العديدة فى العمالات الثلاث بالقطر الجزائري منذ سنة ١٣١٤ وامتزاجه العلمي والادبي والاجتماعي برجال القطر وتبادل الرسائل والقصائد بينه وبينهم ومسايرته لنهضة الجزائر فى سائر اطوارها ، كل ذلك وغيره جعله يعد الجزائر وطنه الثانى فى كل شيء فكان يفرح لفرح الجزائر ويألم لألمها .

ومن اجل ذلك خافت فرانسا الخوف الشديد من اي اتصال له برجال هـذا القطر ، حتى عادت تحصي الانفاس وتلاحظ الخطرات وتقرأ للاتصال به الف حساب وتبالغ دائما في اغلاق بابها في وجهه ، رغما عن تسامحها الواسع عمن دونه ، حتى قال وزير خارجيتها يومئذ « بون مارشي » فى هذا الشأن كلمته المشهورة : « ان الباروني لن يدخل الجزائر ولو في المنام » !

ولكن لم يدر هذا واضرابه ان الباروني وان لم يدخلها بجسمه فقد دخلها بمبادئه ، وان بذوره التي بذرها هو ورجال التحرير منذ سنة ١٩١٤-١٩ قد اتت اكلها فى سنة ١٩٥٤

وفيما يلي نورد امثلة من اهتمامه الشديد بالجزائر كادلة على ما نقول :

١ — عندما ثارت زوبعة قلمية بين بعض افاضل الكتاب الجزائريين حول الانتساب الى القبائل كتب الينا ضمن رسالة ما يلي :

تتبعت ما ينشر فى البصائر الغراء على توقيع الزواوى والصنهاجي من

الاعتراضات والرد عليها حتى أصبحت فتنة ، وانى لا ارى لهذا مبرراً قط فانه لا شعوبية فى ذلك ، كما لا شعوبية فى الخالدي والراشدي والعمورى والحفصى والورغمى والهلالي والهمامي والنايلي والصويمى ، لانـه نسبة الى قبيلة لا الى عنصر كالعربي والمزيغي — على الصحيح — او البربرى على المشهور .

فان الواجب على سكان المغرب وطرابلس الى المحيط ان يهجروا الاخير لانه فتنة فلا يكون هناك الا المسلم المراكشي او المسلم الجزائري او المسلم التونسي او المسلم الطرابلسي في العموميات فلا يذكر عربي او مزيغي ، واما الانتساب الى القبائل كما تقدم فلا مبرر لأنكاره في نظري .

ان دعوى العربية والعروبة في هذه الجهات قد داست كلمة الاسلام والمسلمين بنعالها زعما بان فيها رضاء للقسم الضئيل من غير المسلمين ، وهو محو بل دفن لكلمة الاسلام .

ان رافعي اعلام كلمة العرب والعروبة وطي كلمة الاسلام تحت ستار توحيد الكلمة ، والذين اكثرهم حركة واجتهاداً هم غير مسلمين . هذا رأي وتحيتي القلبية الى اعضاء جمعية العلماء الجليلة ورئيسها المجاهد .

وقد انشرح صدرى لعنوان « المؤتمر الاسلامى الجزائري » فليكن في المغرب من يصدق دائما الحديث المروى ، أرجو ان تعرض هذا الرأى على الجمعية لعلها تراه صوابا . والسلام عليكم اجمعين من اخيكم : سليمان الباروني

٢ — عندما بلغه اخبار جمعية العلماء ونشاط رجالها ومشاركتنا فيها كتب الينا الرسالة الآتية فى جمادى الاولى ١٣٥٣ يعرب فيها عن مبلغ سروره بالاتحاد والوئام الحاصل بين علماء الجزائر العاملين المخلصين . وهذا نصها :

تلقيت كتابك المؤرخ في ١٩ ربيع الثاني بيد السرور وتغذت الروح بما حواه من اخباركم المبشرة بما انتم عليه من تحسن الحالة عما كانت عليه

وطالعت بامعان خطبكم وقصائدكم العالية وحركاتكم الجليلة في سبيل الدين والوطن الدالة على ما هنالك من حسن الوئام وجمع الكلمة وتناسي أسباب التفرقة أخذ الله بايديكم وكلل مساعيكم بالنجاح (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) تحيتي الى الاخوان كافة والى الاخوان المخلصين جمعية العلماء المحترمة خاصة . وسأكتب اليكم غير هذا وارسل اليكم بعض مناظر بغداد . الخ

من اخيكم سليمان البارونى

٣ — عندما وقعت حوادث قسنطينة في ٥ اوط ١٩٣٦ وتناقلت شركات التلغرافات والصحف اخبارها الى العالم عامة والى الشرق خاصة هاله الامر وتحير فكتب الينا الكلمة الآتية :

. . . قرأنا في التلغرافات والصحف خبر فتنة قسنطينة ، فاضطربت افكارنا جداً وخف الاضطراب اذ تحقق — اذا صح — ان قتلى المسلمين اربعة فقط نرجو انه لم يصب احد الرجال المعروفين بسوء

اني فى انتظار جوابكم ببيان الحقيقة ، وارجو ان يكون فى الطريق .

والسلام عليكم أجمعين من اخيكم : سليمان الباروني

٤ — اثر حوادث قسنطينة وعواقبها من مقاطعة اليهود التي انجرت منها بدسائس اليهود مقاطعة تجار بني ميزاب في اواخر ١٩٣٦ كتب الى الشيخ امتياز ابراهيم فى هذا الصدد رسالة مؤرخة في ٢٩ شعبان ١٣٥٣ وهذا محل الحاجة منها :

اما بعد . فقد تلقيت باحترام كتابك الكريم المؤرخ فى ١٩ نفامبر وكدرني جداً ما كنت متوقعه من حصول سوء التفاهم بين الأخوان بسبب مقاطعة اليهود ، وهو امر عظيم يجب السعي في تلافيه قبل وقوع ما لا يمكن معه الاصلاح بعد ذلك ، فمكائد اليهود لا تحصى ولا يستهان بها . فالواجب على

عقلاء الطرفين (بنى ميزاب واخوانهم العرب) خصوصا العلماء منهم ان لا يدعوا مجالا لتمكن اليهود من عقول السفهاء فيشفوا غيظهم وياخذوا ثارهم من الجانبين ، وهذا شيء لا أظن ان عقلاء وعلماء الفريقين يجهلونه .

انما يجب اذا كان العمل جديا حقيقيا ، الاتفاق على بيان معنى المقاطعة العمومية ، وعلى معنى المقاطعة التى يجب ان يتبعها بنو ميزاب نظراً لأشتباك معاملاتهم من قديم مع اليهود ، فلتكن مقاطعتهم تدريجية حتى يتمكنوا من تأسيس معاملاتهم مع ديار فرانسا مباشرة ، واذ ذاك تجب المقاطعة بمعناها التام وأظن ان عقلاء الفريقين (بني ميزاب والعرب) لا يعجزون عن ايجاد طريقة لحل هذا المشكل ، لأن من العرب تجار كتجار بني ميزاب فماذا صنعوا ؟

وقد تشاءمت مما حصل من الشقاق بين جمعية العلماء والحزب الجديد وهذا مما تضيع معه نتيجة الجهود السابقة كلها ولا حول ولا قوة الا بالله .

أرجو ان يكون رجالكم اغتنموا الفرصة فربطوا معاملاتهم مع دور التجارة فى فرانسا واستراحوا من اسر اليهود ، فالعمل العمل لهذا بكل ما لديكم من جهد والله الموفق .

وصلت الي اعداد « الامة » والله المسئول ان يمد فى عمرها .

ودمتم موفقين محفوظين ، تحيتي الى الاخوان كافة . سليمان الباروني

٥ — على أثر رحلة قمت بها لتونس ، ونظراً لفائدتها ونتائجها للقطر الجزائري كتب الينا الرسالة الآتية ، وهذا محل الحاجة منها :

كلنا فى صحة وهناء والمنة لله . اهنيئك والاخوان كافة بعيد الفطر المبارك وأقدم لك تهنيئتي الخصوصية بسياحتك الى تونس وما لاقيته من رجالها العاملين من الاجلال والاحترام ، وما شنفت به اسماعهم من خطبك الرنانة (١) التى

---

١) يشير الى خطاب القيته امام نخبة من الادباء والصحافيين اذ ذاك بتونس موضوعه :

أدخلت علي من السرور ما الله به اعلم فلله انت، زادك الله توفيقا واعانة على اظهار ميزاب والجزائر كلها بالمظهر اللامع الفتان الذي يجدد ذكرها ويحي مجدها بين الاقطار . تحيتي القلبية الى رجال العمل للدين والدنيا الاخوان الكمل جمعية العلماء ورئيسها البطل الجليل .

أرجو ان تسلموا لادارة « البصائر » الغراء المجاهدة الجريئة قيمة الاشتراك عن سنة من اول عدد منها وضموه الى حسابي ولكم الشكر . الباروني

٤ — واما مراكش فانه يعده داخل بلاد افريقيا الشمالية التي تتألف منها وحدة اسلامية عربية عمل لتحريرها مع رجال التحرير سنة ١٩١٤-١٩ حتى الى ان لا يحلق شعر رأسه حتى تتحرر من الاستعمار الاجنبي وتسود عليها اعلام خليفة المسلمين .

وكان مراكش من بين البلاد التي طرق بابها للدخول اليها والالتجاء بعائلته اليها طلبا للراحة والسكون من عنائه وجهاده المرير المتواصل .

ولكن أوصد بابها دونه ايضا كما علمت من قبل ولله الامر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

عاطفة البارونى باشا نحو وادى ميزاب

ان الكلام على عاطفة الباروني باشا نحو وادي ميزاب مثل الكلام على عاطفته نحو مسقط رأسه « جادو »

فان من يتتبع هواه نحو ميزاب فى سائر اطوار حياته مذ شبيبته من لدن ١٣١٤ الى اواخر ايامه في ١٣٥٩ يرى ان حبه العميق نحو وادي ميزاب ممزوج

« الحركة الادبية الحديثة في الجزائر » وذلك فى نادى الشبيبة المدرسية فى ٩ ديسمبر ١٩٣٤ كما نشر في الامة عدد ١٤و١٥

بلحمه ودمه فى سائر حركاته وسكناته ، فمن عكوفه للتعلم عن استاذه الشيخ طفيش ما يقرب من ثلاث سنين ، ومن تعرفه باقطاب العلم والادب من قدماء تلامذة استاذه ، ومن مساجلاته لهم في فنون العلم والادب على الدوام ، ومن اتصالاته المتنوعة بسراة وكبراء ميزاب ، ومن شهوده للمحافل الكبيرة والمآدب الفخمة فى شتى قرى الوادى ، ومن مشاركته بعض الاغنياء منهم فى الشئون الاقتصادية كالطبع والنشر ، ومن زياراته المتوالية لقرى ميزاب ولسائر المراكز التجارية لبني ميزاب في التل ومن مراسلاته المستمرة لعلمائهم وادبائهم واعيانهم ومن ادلائه بارائه فى كثير من مشاكلهم العلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية بخالص النصح وغاية الصراحة كواحد منهم .

لم يفتر عن جميع ذلك في سائر احواله العامة في حالة الرخاء والشدة فى حالة السلم والحرب فى حالة البعد والقرب فى حالة الصحة والسقم فى حاله اقبال الايام وادبارها .

فان الملاحظ اذا تتبع ذلك منه بامعان يتراءى له كأنه من صميم الميزابيين سلالة ونسبا ونشأة وخلقا وعاطفة وهوى .

ان كل ما اسلفناه من علاقة اجداده ءال بارون الى والده — متشتتا — نحو وادى ميزاب نجده متجمعا فيه وزيادة نحو الشعب الميزابى باكمله .

وعسى ان تبقى هذه العلاقة متينة ومتينة جداً بين اولاده واحفاده الاشبال وبين وادي ميزاب الى اجيال متطاولة .

وتأييداً لما اجملناه هنا ندلي ببعض النماذج من رسائله فى هذا الشأن حتى لا يظن الاخ الملاحظ اننا ذهبنا في ذلك مذهب المبالغة ، بل بعكس ذلك انما نأتي بقل من كثر وغيض من فيض ، لأن برنامج الكتاب لا يتسع لغير هذا وما سنورده هنا ، انما هو نماذج قليلة من مجموعة كثيرة لا نسبة بينها

— وهي مجموعة — وبين ما لم نتصل بها وهي متفرقة بين سائر احبابه واصدقائه القدماء والمخضرمين والمحدثين . وربما يستاء البعض من تسجيل بعضها هنا ولكن هي الحقيقة والتاريخ — كلفة الارقام — لا تبالي بغير الواقع عرضا على الاجيال المقبلة .

١ — رسالة منه الينا من عمان مورخة فى ١ شوال ١٣٤٦ . وهذا نص محل الحاجة منها :

. . . اما بعد فاني فى عافية ولله الفضل ، وبمناسبة حلول عيد الفطر السعيد أرفع بواسطتك اليك والى اخوانى الافاضل الذين بطرفكم واجب التهنيئة به ، سائلا منه تعالى ان يعيده على الامة الاسلامية بالعز والنصر دهراً طويلا وان يمتعكم بالعافية والانس بالاهل والاولاد . من هنا الاصدقاء كافة يقدمون لكم التحية والتهاني .

الامام أعزه الله في نزوى مشمولا بالصحة والعافية . وقد رزءي الاسلام عامة وعمان والمذهب خاصة بوفاة علامة عصره قاضي الامام الشيخ عامر بن خميس ذى التصانيف والتحقيق صاحب الارجوزة العظيمة الجامعة البالغة مائة الف بيت فرحمه الله رحمة واسعة . وقد ارتجت عمان واغلقت أغلب الاسواق فى كل الجهات بمصابه لكن لا راد لقضاء الله ، وهو رابع اربعة من اكبر العلماء عمان فقدهم الاسلام والعمل والعلم فى هذه السنة : الشيخ ماجد بن خميس والشيخ ربيعه والشيخ محمد ابن شيخان والشيخ عامر والامر لله .

استبشار

لا أقدر ان اكيف مبلغ سروري وانشراح صدري بنزول اخواننا تلامذة شيخنا القطب رحمه الله الى ميدان التحرير والسياسة كالاخ الشيخ حمو بن باحمد والشيخ سليمان بن نوح اللذين رأيت لهما ذكراً وكلاما في « وادي ميزاب »

وغيره (١) يغبطان عليه فالى الامام ، الا اني يعجبنى من الشيخ حمو ان لا يجعل مقالاته كدرس وعظ رمضان الجامع فان ذلك ميدان وها هنا ميدان وهنالك سامعون وها هنا قراء ومنتقدون فليمزج كلامه بصورة تصلح للفريقين فلا ينفر اولئك ولا يتأفف هؤلاء ، وبالممارسة يسهل كل صعب ، ابلغها وغيرها تحيتي . ولعلها لم ينسيا ما كنت اقوله اذ كنا معا فى هذا السبيل ، حتى غضب من كلامي ذات مرة الاخ الحاج اسماعيل (٢) وقال وقلت ثم اخبرت استاذنا رحمه الله فضحك قليلا معجبا بكلامى وناقشنى فى كوروية الارض ، فاستدللت له بالدليل المعروف : السفن والبحر الخ ، فقال اذاً يلزم ان تكون الارض قبابا بارزة في كل عدة اميال فطلبت ان يأتى بالزجاجة المكورة المعروفة لدينا ـ بيضة ابليس ـ التى تعلقها النساء فى البيوت للزينة ومددت فوقها مسطرة وصرت أديرها وهو يشاهد المسطرة متماسكة بنقطة مع الكورة حيثما دارت ولا قباب فتبسم ضاحكا مستبشرا وقال كفى كفى زال الشك .

وقد الهمت هذا الدليل اذ ذاك ولا أعرفه من قبل (٣)

في اصطلاحات ميزاب

ثم قال : انى في اهتمام كبير بالاصطلاحات الجارية في ميزاب خصوصا المتعلقة بالولاية والبراءة ، فانها مما لا تدوم رابطة فى ميزاب بدونها وانه لمثل عظيم لسيرة هذا المذهب النقى لا يوجد لها نظير في الدنيا فعضوا بالنواجد على محافظتها في المدن والقرى فانها جامعة الشمل فلا توهنوها بمسائل السياسة والوطن

١) هما زميلاه في التلمذة لدى الشيخ طفيش وقد نشرنا للاول مقالا في عدد ٦٣ من وادي ميزاب وءاخر فى عدد ٦٨ منه وءاخر فى ٨٠ منه

٢) هو كذلك من زملائه من بنى يزقن وهو شيخنا زرقون الحاج اسماعيل بن ج ابراهيم

٣) وقد حضرت مجلسهم هذا ومحاورتهم في ايامى الاولى من حضوري تلميذا لدى الشيخ طفيش في شوال ١٣٢٥ هـ

العمومى فتضيع الميزة والشخصية البارزة لميزاب والميزابيين وهذا لا ينافى اتحاد ابناء القطر كله من جهة اخرى

قوله الفصل بين العلوم القديمة والجديدة

ثم قال فى نفس الرسالة مواصلا كلامه :

هذا رأي منذ كنت فى باريس وقد سمعتم رأي في فندق تونس فانه يلزم وجود متخصصين في علوم الدين والعربية ولو خلوا من غيرها ليكونوا مرجعاً عند الحاجة فلا تبالغوا فى الانكار ، بل حرضوا على المحافظة عليها من جهة المشتغلين بها ، فانها هى الاساس ونبهوهم الى الالتفات الى غيرها .

ولا باس بل لابد من تفرغ فريق لغيرها ليكونوا مرجعا ايضا فيما يختص به وذلك بعد ان ترسخ فى نفوسهم الاصطلاحات والقواعد الدينية والوطنية والا أصبحوا نقمة كما ترونهم في تونس والجزائر ومصر .

أرجو نقل كلامي هذا للاخوين وغيرهما ممن يدرك له فائدة .

سمائل — من اخيكم سليمان الباروني

فى سياسة ميزاب

٢ — عند ما عطل « وادي ميزاب » في سنة ١٣٤٧ كتب رسالة الى المرحوم الحاج عمر العنق أوضح فيها رأيه فى السياسة التى يجب سلوكها فى ميزاب ، وهذا نص الحاجة منها :

. . . طالت المدة ولم ار منك جوابا كما لم ار من الاخ أبى اليقظان جوابا عن جملة كتب ارسلتها اليه ، ولما قرأت فى الصحف تعطيل وادي ميزاب علمت انه فى شغل .

واني ابارك لوادي ميزاب بما ناله من الاهتمام والاعتبار فى نظر رجال

الدولة وارجو ان يخلفه قريبا الوادى او ميزاب او الجنوب .

فاجعلوا همتكم فى ذلك واعتدلوا فى المشرب فقد قلت لكم من قبل « ان قليلا دائما خير من كثير منقطع »

وان لكم امتيازا خاصا يلزمكم ان تحافظوا عليه ولو بالسكوت عما لا يعنيكم . ويكفيكم ان تحافظوا على حقوقكم اذا قدرتم .

هذا رأي فى هذا الموضوع خفف الله المصائب الخ

٢٥ دي القعدة ١٣٤٧ — سليمان الباروني

في قضية التجنيد بميزاب

لما اخذت قضية التجنيد بميزاب تنحل عقدتها بفضل المساعي المبذولة من رجال ميزاب من جهة وحسن تفهم جناب الوالي العام م فيوليت من جهة اخرى كتب الباشا كلمة فى الموضوع ضمن رسالة للمرحوم الحاج عمر العنق مورخة فى شوال ١٣٤٤ وهذا نصها :

اليوم وصلنى كتابك المورخ فى ٣ رمضان المعظم فشرح صدري وحمدت الله اذ كنت بخير وسرني جداً تحسن حالة قضية التجنيد بحسن ادارة الوالى الجديد أصلح الله الامور

ثم كلمة اخرى في رسالة اخرى له مورخة في رجب ١٣٤٥ حينما وقع تدرج محسوس في حل القضية وهذا نصها :

وصلني كتابك الكريم وتأنست به وبما حواه من اخباركم المؤنسة ادام الله سروركم وعزكم

وقد ضاعف سروري تساهل الدولة معكم فى مسالة التجنيد بهمة الوالي الجديد الحر فنهيئكم بذلك .

فى قضية الاذان

٤ — رسالة منه الينا ضمنها تألمه العميق من قضية الاذان التى يراها دسيسة وضعت عمداً لتمزيق الشمل بين ابناء الامة في اوان تاسيس جمعية العلمـــاء ومشاركتنا فيها ، قال :

. . . تلقيت كتابك الكريم في ٢٢ ذى القعدة ١٣٤٩ بعد زمن طويل كنت التقط فيه بعض اخبار كم من « المغرب » الذي ماوصلني الا عدده الخامس وبعض مما بعده ، فكنت اتالم مما اراه من التحزب لمسألة « الاذان » الموضوعة لتمزيق الشمل وتحطيم بعض ما بقى لميزاب من الامتياز الحافظ للدين الحامى للبلاد

لا تسأل عما انا فيه من التألم مما هو جار من التضييق على المســلم حيث كان وبالاخص ما يهدد ميزاب من الاخطار ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

أرجو اتصال كتبك كلما حانت فرصة ، وان تأخرت عنك كتبي فان اعذاري كثيرة وشوقي الى اخباركم عظيم .

وصل مسقط الحـــاج محمد بن سليمان اليسجني ورفيق له ولا اعرفهما اذ كنت بحضرة استاذنا القطب رحمه الله ورضي عنه ولعلها اذ ذاك صغيران .

فى موقفه ازاء نهضتنا الحديثة

٣ — ما مر فى فصل « اتصالنا » بالباشا في النزل » من التحفتين الادبيتين منه في صفحة ١٨٦ - ١٨٩ فى الجزء الاول من هذا الكتاب .

٥ مكرر — من رسالة منه الينا من جملة ما جاء فى مضمنها موقفه المشرف ازاء بعض الجامدين زاروا عمان وحاولوا بث دعاية غير شريفة ضد نهضتنا الجديدة ولعل منهم ذينك الرجلين اللذين ذكرهما في اخر رسالته الآنفة ، قال :

أرى فى كتبكم اهتماما من القادمين الى عمان ؟ وأقول لا يهمكم الامر قط

اما الذي ذكر انه كتب اليكم فى اول الامر من مسقط نصيحة فقد بينت له خطأه بصورة أخجلته حتى قلت له :

أعجب ممن يتطاول الى نصح من أوقفوا انفسهم واموالهم وأقلامهم والسنتهم على الدفاع عن الدين ومذهبهم ووطنهم خاصة حتى أسسوا لذلك مطابع ومجلات وجرائد رغماً عن مقاومة حصلت لهم من اعظم المقاومين

وهل من المعقول ان يتصدى لنصحهم من لا يملك من هذا مثقال ذرة ؟ وهو المسئول بالقيام بمثل هذا لو كان اهلا لشيء الخ

وبالجملة فليس هنا شيء اذكره حتى تهتموا به .

نعم — تمنيت انهما كانا خير مثال لمصعب في بلاد نائية بينها وبين وطنها مطلع الشمس ومغربها ولكن (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) فان عزة المرء وشرفه بقومه عند من لا يعرفه من قبل وليس له من الاعمال ما يدعو الى اجلاله .

والسلام من اخيكم سليمان الباروني

فى اهتمامه بمشاكل ميزاب

٦-٧-٨-٩ — حينما ثارت زوبعة قلمية حول بعض المشاكل بميزاب ولاسيما قضية « التليفون » الشهيرة ، كان الباروني باشا يتتبعها على بعد المكان بكل عناية واهتمام فكتب الى اخوانه في شأنها رسائل كثيرة تعبر عن ألمه وأمله فيها :

فمن ذلك رسالة منه الى المرحوم الحاج عمر العنق مورخة في ٤ محرم ١٣٥٥ وهذا نص محل الحاجة منها :

كدرني جداً حصول الاختلاف فى ميزاب على بعض المسائل حتى ءال الامر الى التشاتم واظهار المعائب على صفحات الجرائد والاوراق المطبوعة بصورة بشعة لا تصدر من عاقل ، وقد كتبت مراراً الى الاساتذة . . . في الكف

عن النشر الى ءاخر ما كتبته ولم يفد والامر لله الخ

ومن ذلك رسالة منه الينا مورخة في ربيع الاول ١٣٥٤ ، وهذا نص محل الحاجة منها :

ان ما ذكرته من الشقاق الواقع بين العزابة بسبب خطاب الاستاذ ...قد كدرني كدراً لا مزيد عليه ولا اصوب رائكم في احداث شيء جديد خلاف ما جرى به العمل ولاضرر فيه ، فان أقل شيء يحدث انقساما مضراً انتم في غنى عنه ، ويكفيكم اعتبار قضية « الصلاة على النبيء » صلى الله عليه وسلم فانها لم يخف أثرها السيء بعد فما معنى اثارة غيرها .

عن الحوزة

ان ما يعنيه اصحابنا من الحوزة لا ينطبق فى نظري على القرارة وبنى ريان لعدم اتصال املاكها بالوادي ، ولفصل الغير بينهما ، كما هو الحال في يفرن الذي هو مركز الجبل كله عندنا .

فان اهل الجهة الغربية من الجبل يصلون فيه قصراً لأنفصاله بقبائل الزنتان وغيرها عنها ، اما بين لالوت وفساطو فمعدود حوزة حوزة واحدة لأتصال الاملاك وان وجدت مسافات قليلة من الاراضى المشاعة لم يعتبروها فاصلة .

على ان اخواننا العمانيين ، رغما عن تقارب قراهم الكثيرة لا يرون الحوزة وقد ذكرتها لهم فلم يروا العمل بها ، لانه قد يؤدي الى اختلاف في الراي لا داعى اليه

عن قراءة القرآن على الميت بالاجرة

قال : اما قراءة القرءان على الميت بالاجرة فأمر جرى به العمل عند اقطارنا كلها وعند غيرنا ، ربما يؤيده جواز الاجرة على الحج والصيام مطلقا عند

الجميع . فاظهار كلام فيه موجب للتفرقة لا معنى له .

هذا والذي أقوله من باب النصيحة الرجوع عن هذا الرأي واعلانه والكف عن مخالفة كل ما هو جار به العمل مما له وجه شرعى قطعا لأسباب النزاع الديني ، ويكفيكم محنة النزاع السياسى . وانى فى انتظار جوابكم عن هذا ليطمئن قلبى .

اما العادات السيئة فيجب ابطالها تدريجيا بمداولات لا عناد فيها لأن اليد العليا لغيركم . الخ

ومن ذلك رسالة منه الينا مورخة فى محرم ١٣٥٥ ونصها :

. . . وقد رزق زكريا اخا جديداً ، اليوم سابعه سميناه محمداً جعله الله محمود السيرة والعاقبة دينا ودنيا ،

وقد أرسلت اليك قبل هذا جوابا ذكرت لك فيه اني سأرسل اليك رسم الشعر والى الآن لم أتمكن من ذلك وسأفعل ان شاء فى هذه الايام

لا ازال اقرأ مع الاسف مقالات في الصحف وكلاما فى اوراق ملونة تدل على انكم لم تأخذوا بما اقترحته عليكم من توقيف النزاع الى ان اعود الى عمان واذاكر حضرة الامام والعلماء في المسائل ، لأني سئلت مراراً من طرف بعض اخواننا الزنجباريين فيما اختلفتم فيه ، وانا لى رأي لكنى علقت الجواب على اجتماعى بالامام لأنه هو الذي يمكنه ترجيح ما يراه من الاقوال مناسبا فى المختلف فيه حتى لا يقع اختلاف في المذهب مع سهولة المواصلة وقربها المتفاهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ، ودمتم موفقين من اخيكم :

سليمان الباروني

ومن ذلك رسالة الينا مورخة في ٢٨ ربيع الاول ١٣٥٦ يستبشر فيها بحصول الاتفاق فى ذلك وهذا نص محل الحاجة منها ـ قال :

اما بعد — فقد قرأت مع الافتخار والسرور في الامة حـــوادث ميزاب والاتفاق التام المبارك والحمد لله ، نسأله تعالى حصول النتيجة المحمودة ودوام الاتحاد والتحابب ، وقد اخبرني الاخ ... اليوم فى رسالة منه بذلك فضاعف سرورى الخ

فى عنايته بمنشئاتنا

١٠ - فى وادى ميزاب

كتب الينا في شأن جريدتنا « وادى ميزاب » كثيراً لم يحضر لدينا منه الا ابيات تقريظا له فى ذي الحجة ١٣٤٥ ونصها فيما يلي :

انت يا ناطقا بفصل الخطاب ... خل ذكر الابدال والاقطاب
واذكر الناهضين في كل قطر ... من كهول وسادة وشبـــاب
واجن ورداً وان تشأ لؤلؤ البحـــر فغص فى بحار وادي ميزاب
تلق من جوهر السياسة عقداً ... لا يبـــاع ويشترى بحساب
كيف لا ومدير دفته اليقـــظان من جاءنا بكل عجاب

١١ - فى المطبعة العربية

فيما يلي كلمته في المطبعة العربية وردت فى بعض رسائله الينا ، قال

وقد استبشرت بتأسيس المطبعة العربية فارجو لها حياة طويلة لنشر مئاثر السلف الصالح . الخ

١٢ - فى الديوان والنور

وفيما يلى كلمة له في الديوان والنور وردت اثناء رسالة الينا مورخة فى ٢٠ ذي الحجة ١٣٥٠ ، قال :

الديوان الجليل وصل فى وقته — وانا مشغول — والنور لا يزال يسطع وعند استراحة الفكر ان شاء الله أكتب فيها وفى المطبعة ، وعند انفراج الازمة أسعى فى رواجها باذن الله . الخ

ثم كلمة أخرى له في النور ونصها :

وقد قرأت شاكراً همتك العالية وحميتك الخارقة معجبا بفكرك الوقاد كل ما رصعت به هالة النور الساطع ، مد الله أشعته الى الآفاق وكان لك مؤيداً وموفقا

١٣ - فى الامة

وفيما يلي كلمته فى « الامة » وردت اثناء رسالة الينا مورخة فى ١٢ رجب ١٣٥٣ عندما استأنفنا سيرها اذ ذاك ، قال :

وقد وصلت الامة رافلة فى حلتها الجديدة الفاخرة ، فـــاهنىء الامة بالامة واتمنى لها طول العمر وعلو الهمة والتغلب على الحوادث المدلهمة .

علاقته بخواص اخوانه بنى ميزاب

ان علاقة البارونى باشا بخواص اخوانه الميزابيين تحمل كل معاني الصدق والاخاء والاخلاص والوفاء فى سائر الاحوال .

فمن مشاركتهم فى افراحهم واتراحهم بالتهاني والتعازى ومن مقاسمتهم الآلام والآمال في السراء والضراء ، ومن مبادلاتهم الآراء والنظريات بصراحة ونصح فى كل ما يهمهم من شئون الحياة العامة والخاصة ، ومن مكاشفتهم عن شئون حياته الخاصة والعامة بما لا يبوح به لأحد سواهم ، ومن تنويهه بحسناتهم وشكره لمكارمهم وان قلت ، ومن تغاضيه عن سيئاتهم وتسامحه بصدر رحب عن هفواتهم وان جلت .

ذلك كله — رغما — عن البون الشـــاسع والفرق الكبير بين مرتبته

ومراتبهم ، وبين درجته ودرجاتهم .

فانك تراه يخاطب او يراسل ، وهو عضو في البرلمان العثماني او والي وقائد جيش او رئيس وزارة احداً من أصغر اخوانه متى أحس منه صدقا واخلاصاً ووفاء ، كما يخاطب أخ اخاه او صديق صديقه ، او خليل خليله !

وهو لن ينسى اى مزية من احد مهما كان فى غمرة من المغامرات او في لجج من الاشغال او فى جمرات من فراش المرض او في مضيق من الازمات او في مكان من الغربة سحيق

كما انه لن يتجاهل مروءة أحد منهم وهو في أريكة تسامي الى ما يقرب من ارائك الملوك !

لا توهن علاقته باحدهم غفلة هذا عنه او تراخي مراسلته له ، او غضه من حقه ، مالم يحد هذا عن منهاج الحق ، فهناك يمحضه النصح باخلاص وان اعرض عن نصحه وكل أمره الى الله ، وسأل منه تعالى الهداية والرشد وكفى .

ذلك — لعمري — منتهى درجات الصدق والاخلاص والوفاء ، وما يلقاها الا ذوحظ عظيم ، ولا تتسامى عنها الا درجات الانبياء والرسل الذين يقول سيدهم صلى الله عليه وسلم فى امثال هذه المواطن «اللهم اهد قومي فانهم لايعلمون»

ان استعراض أمثلة كثيرة من ذلك قد يخرجنا عن خطة هذا الكتاب

ولكنا — زيادة على ما تقدم في هذا الشأن بالتبع — نقتصر لايضاح ما اجملناه انفا على النماذج الآتية :

١ ـ رسالة منه للمرحوم الحاج عمر العنق شكراً له على مروءته مورخة في في جمادى الثانية ١٣٤٣ ، وهذا نص محل الحاجة منها :

السلام عليك وعلى رفيقك الذي اعتقد انكما المنقذان الاولان لي مع السيد عمر ، والمنقذ الثانى هو ملك الحجاز الحقني الله على مكافأة الجميع بخير

وصلني كتابك الاول ثم الذي ذكرت فيه مرضك بالحمى فأشكرك وارجو ان لا تقطع عني كتبك كل اسبوع فانها تؤنسنى ، وسلم على الاخوان كافة .

من اخيكم سليمان الباروني

٢ ـ رسالة منه اليه فى تهنيئته بعيد ، وهذا بعض ما جاء فيها :

شرفنى كتابك الكريم المورخ في ٢٤ شوال فتلوته مسروراً مبتهجا ولا زلت انتظر جوابى فرانسا وايطاليا فى الاذن اسأل الله تسهيل ما صعب

واني اقدم اليك والى الاخوان الافاضل والجماعات التهنيئة بعيد النحر المبارك اعاده الله على الجميع اعواما كثيرة فى عز ونصر الاسلام ، ومن هنا الاصدقاء يقدمون لكم التهنيئة والتحية .

ننتظر وصول حضرة الامام من نزوى بعد اسبوع . وسلامي الى ابنائك النجباء ، وارجو اتصال كتبك فانها تونسني ، والحمى لا زالت تعاودني ، وسيصلك رسم المدرسة ان شاء الله . ودم موفقا لأخيك : سليمان البارونى

٣ — رسالة اليه ايضا مورخة في رمضان ١٣٥١ ، ونصها :

... انى والعائلة في صحة ولله الحمد ، ابراهيم بعد ان شفي عاد الى مسقط للتدريس فى المدرسة السلطانية ، ولما عطلتها الازمة عينه السلطان فى العدلية هو هناك في صحة طيبة .

أنقطعت عني كتبك فاين انت ؟ ارجو انك بخير وصحة وان احوالك على ما يرام .

بمناسبة قرب انتهاء رمضان المعظم والعيد السعيد أقدم لك وللاخوان الكرام التهنيئة احياكم الله اعواما كثيرة في عز وهناء ونصر للاسلام وأهله الخ

من اخيك المخلص سليمان البارونى

٤ ـ رسالة اليه فى فرحه بقيامه بمهمة التعليم بوارجلان مورخة فى ٢٢

ذي القعدة ١٣٥١ ونصها :

اما بعد ففي اسعد اوقات تلقيت بيد الاحترام كتابك الكريم المورخ فى ١٥ رمضان بعد ان وصل مسقط وتلوته مسروراً

وقد كنت استفهمت عنك من الشيخ ابى اليقظان لما انقطعت كتبك عني ونسيت عنوانك فاجابنى في هدا الاسبوع بانك فى وارجلان بلد السلف ومدفن رجاله العظام وأرسل الي الظرف الذي يصلك فيه كتابى هذا ، يعلم الله مبلغ سرورى بوجودك في ذلك القطر ، ولعل الله قدر له ان يحيي على يدك وان تكون سببا لعمرانه بالمذهب كما يدل عليه اسمك ، اسأل الله لك تسهيل الرزق والربح فيه حتى تستقر ، فاعمل جهدك ايها الاخ فى ايقاظ همم من بقى من رجاله الى احياء المذهب وتعمير الجامع العظيم التاريخي وارجو ان داء التعصب المذهبي قد خف او زال او حصل التئاخي ، وقد سررت جداً بصورة الجامع ومنارته . فلله انت ما ادراك بما تتوق اليه نفسي فزدني من مناظرها ومن مناظر ميزاب الجديدة وارجو اتصال كتبك الى بغداد فاني استحسنت الاقامة اذ تجددت صحتي والحمد لله والصحة نعمة لا مثيل لها

ارى انه يجب على رجال ميزاب اعانتك بما امكن على احياء الاسلام هناك والقيام بما يعجز عنه اهل المكان ولو بمقدار من فضلة اموالهم لنشر العلم الديني ومبادئه والقرءان الكريم . الخ المخلص سليمان الباروني

٥ ـ رسالة اليه ايضا في شوال ١٣٥٣ وهذا نصها :

اما بعد . فاننا بفضل الله في صحة وهناء وشوق زائد اليكم . وقد شرفني كتابكم الكريم مهنيئا بعيد الفطر فلكم الشكر الجزيل احياكم الله لأمثاله فى عز وتائيد اعواما كثيرة .

هذا وقد كدرني جداً ما ذكرتموه من وفاة اخيكم الجليل الحاج بكير

صورة المصلح الكبير المرحوم العنق الحاج عمر بن الحاج ابراهيم
الصديق الوفي للمرحوم البارونى باشا

لكن لا حيلة مع القدر وكل نفس ذائقة الموت ، فالواجب امتثال قوله تعالى « والذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، فرحمه الله رحمة المسلمين واحسن عزاءكم وعظم اجركم وجعل البركة في اعماركم ولا ارا كم مكروها

ومن هنا ابراهيم يقدم لكم تحيته ، ومنذ اسبوع مشغول بالامتحان في كلية الحقوق وفقه الله . من اخيكم المخلص سليمان الباروني

٦ — رسالة منه الى الشيخ امتياز ابراهيم شكراً له على اريحيته ونجدته ، وهذا نص محل الحاجة منها :

بالامس تلقيت كتابك الكريم بيد الاحترام ، ولا تسأل عما ادخله علي من السرور ، وقد ذكرني بكتابك القديم الذي أجبتك عنه اذ ذاك وانا فى مرض شديد بارك الله لك ولأخوانك الافاضل ، وللاطمئنان على وصول كتابكم قدمت اليكم هذا ، وانا أقول مرتجلا :

ملأتم فراغا كاد يملأ بالدين وابعدتم بؤسا يشاهد بالعين
اذا ما عددت المنقذين من الاذى فثالثهم في العد انتم بلا مين
فلله انتم كثر الله خيركم وزادكم عزاً وبعداً عن الدين

ودمتم فى حفظ الله موفقين ، من هنا ابراهيم يقدم لكم احترامه ، تحيتي الى الاخ الاستاذ ابي اليقظان ، وارجو ان جريدة الف باء او الشعب وصلته من الشام وفيها حديثي مع مخابرهما الى ءاخره ، اما جريدة العقاب فقد توقفت عن نشره باشارة من بعض المصادر فيما أظن والسلام من اخيكم : سليمان الباروني

٧ — رسالة منه اليه فى شأن « مدالية الحرب » التى اهدتها اليه دولة النمسا واليك بعض ما جاء فيها :

بالامس سلم لي القائم باعمال مفوضية النمسا في بغداد مدالية الحرب الذهبية التي انشأتها النمسا حديثا تذكاراً للحرب العامة واهدت منها للذين قاموا باعمال

حربية لها شأن فى الحرب العامة ، ولا يخفى اني كنت اذ ذاك واليا وقائداً عاما لطرابلس الغرب العزيزة ضد ايطاليا عدوة النمسا حينيئذ فلم تنس ما كان ، أرجو ان تخبر الاخ الاستاذ ابا اليقظان والاخوان ، والمدالية في حجم الريال الفرنسي القديم كما ترى صورتها أسفله ، وسأرسل اليكم صورتى بها مع ما سبق ، ودمتم موفقين . بغداد ـ ١٤ صفر ١٣٥٦ من اخيكم سليمان الباروني

ثم جاء في رسالة منه اليه اثر هذه ـ التصحيح الآتي :

« ذكرت لك انها من الذهب لكن ظهر انها من البرنز الذى يشبه الذهب الخالص في اللون واللمعان فحصل الخطأ فاذا اخبرت الاخ ابا اليقظان بذلك فاخبره بهذا التصحيح اذ ربما ينشر فى الامة خبرها وانها من الذهب اعتماداً على كلامي الاول . »

٨ — رسالة منه الينا وبعض الاصدقاء الافاضل في شئون شتى من بينها ما هو في شأن نسخة له من متن النيل اذ بيعت في جملة ما بيع من كتب نفوسة في سوق الكتبية بتونس أثر حوادث الفتن فى طرابلس المشار اليها سابقا ـ فكانت النسخة من جملة حظ ذلك الاخ الصديق بالشراء وبعد ان استخبر الباشا عنها اجابنا فى هذا الشأن في ٢٧ شعبان ١٣٥٠ بما يلي :

اما نسخة النيل ذات الجلد الاحمر التي كتبت عليها اثناء قراءتها على شيخنا القطب رحمه الله فقد سامتها عارية للاخ الحاج عبدالله بن عمر الميزابي اذ حصلت بيننا مودة اذ كنت موقوفا بطرابلس من طرف حكومة عبد الحميد وهو اذذاك مقيم فى طرابلس ورغبته في مطالعة كتب المذهب ، وقد فرقت الحوادث بيننا وانقطعت المواصلات الى ان توفي ليلة قصده للالتحاق بي فى حرب طرابلس الاولى وكنت دائما افكر فى مخاطبة السيد احمد فى شأنها لأنه يعز علي ما كتبته من التقريرات مما تلقيته من لسان القطب رضي الله عنه ـ فارجو حفظها

باسمى ، اما الكتب الاخرى فعلى كل من منهوبات الفوضى التى أعانت عليها ايطاليا الناهبين باموالها وسلاحها لا انهم فعلوا ذلك بانفسهم جهاداً في الدين كما يزعمون !

فاذا امكنك شراء شيء منها مما هو بخط الوالد رحمه الله او احد اجداد البارونيين فلا تقصر ولك الشكر . والسلام من اخيكم سليمان الباروني

٩ — رسالة منه الينا في شئون شتى من بينها ما هو في شأن حادث أليم وقع لأهلنا ، وهذا نص محل الحاجة هنا من الرسالة :

. . . شرفني كتابك الاول المحرر فى ١٣ رجب اي في الوقت الذى كنت اعانى فيه ما شرحت للاخ الحاج عمر ثم كتابك الثانى المؤرخ فى ٢ شوال ، اي اليوم الذي كانت فيه أحدى البنات مشرفة على القبر حتى أمرت باحضار الكفن والغاسلات ثم نفخ فيها الروح .

تألمت مما اصابك فى الاهل والنفس من المشاق ومن الازمة الحاصلة فى المطبعة والنور ، وهذا أمر قد عم الاقطار والامر لله الواحد القهار .

اما هنا فلا تسأل وسببه سقوط القرش النمساوي المتعامل به في عمان فانه كانت المائة منه بمائة واربعين ربية فتدحرج حتى أصبحت المائة منه بخمس وسبعين ربية فقط ثم سقوط سعر البسر الذى يصدر الى الهند وتمر الفرض الذي يصدر الى امريكا وبهما قوام البلاد فقد بلغ ثمن البهار من البسر فى السنة الماضية الى ٣٠٠ قرش وفى هذه السنة لا سؤال عنه والقليل الجيد منه يباع بثلاثين قرشا للبهار وعلى هذا القياس الفرض فكادت النقود تفقد من البلاد ولولا لطف الله لجلا اهلها لكن تداركهم برحمته فهطلت الامطار فى السنة الماضية واستمرت فكثرت المزروعات بانواعها حتى السكر والقطن وعاش الناس بمحصولات البلاد والحمد لله .

تحيتي الى اخوان الصفا كافة خصوصا شبلك عيسى وعضدك تعموت عيسى ومن هنا الاصحاب كافة يسلمون . وبمناسبة مرور العيد السعيد أقدم اليكم التهنيئة به والسلام . سمائل ٢٠ ذي الحجة ١٣٥٠ البارونى

١٠ — رسالة الينا في شئون شتى مورخة في محرم ١٣٥٥ وهذا نصها :

السلام عليكم اننا على ما سبق

وقد أحزنني ما وصلت اليه قضيتكم حتى أصبحت شتما وسفاهة على الصحف والاوراق ، وقد كنت مومِلا توقف ذلك بعد ان أجبت الاستاذ . . . (وما تشاءون الا ان يشاء الله)

ورد الى جوابك وقصيدتك الغراء من مدة وأوقفت الجواب الى ان أرسل اليك « الظل » الشعري الجديد لانه باق ، فطال الامد ، وسأرسله اليك قريباً ان شاء الله .

وأرجو ان الحالة تحسنت وادركتم وخامة العاقبة هداكم الله . وقد كنت كتبت الي الاخ . . . كتابا ذكرت فيه شيئا وأحلته فى الباقى على جوابي الى الاستاذ . . . فأجابنى متألما مما كتبته اليه ومبينا انه لم يسمع بجوابي الى الاخ . . . فعلمت انك لم تخبره فضلا عن ان تطلعه عليه كما قلت لك فاضطرت ان ارسل اليه نسخة منه لأن المقصد مما فيه موجه الى الفريقين ، واليوم كتبت اليه ان يطلعكم على ما كتبته اليه سابقا وما كتبته اليه الآن لأنى لا أستطيع الكتابة الى الجميع الآن .

تلزمني خريطة طرابلس الجديدة من صنع ايطاليا ويلزمني دليل طرابلس الايطالي ايضا اذ يمكنكم الحصول عليهما من الجزائر او تونس . ولتكن الخريطة كبيرة مفصلة اذا توجد .

وقد وجدت فى اوراقي ذكرا لجريدة « الحق » الفرانسية التي كانت تصدر

فى وهران في وقت هجوم ايطاليا على طرابلس ، وانها اول من انتصر للحق وكتبت مقالات على الحرب فهل يمكنكم الاطلاع على مجموعتها في سنة ١٩١١ - ١٢ ونقل ما يهم التاريخ منها وان كان في ذلك تعب ومشقة وارجو اطلاع الاخ . . . على كتابي هذا الخ من اخيكم سليمان البارونى

١١ — رسالة الينا فى شئون شتى كذلك وهذا نص محل الحاجة منها :

اما بعد فقد وصلنى كتابك الاول المبشر بوصول الاستاذ الاخ طفيش ونجله النجيب « قالمة » فأهنيئكم وأهنيئه بذلك الانس وانشراح الصدور بمشاهدة الاخوان وزيارة الوطن .

ثم وصل جوابك الثاني المورخ في ٧ جمادى الثانية الذي شرحتم فيه سياحتكم الى « تيهرت » عاصمة مجدنا القديم وسياحتكم الخصوصية الطويلة وما اتيت على تلاوة اسماء « تيهرت » وما معها من المدن حتى تمنيت ان تكون لي اجنحة اطير بها واتجول فيها ولو يوما واحداً واعود !

فهنيئا لكم بما اتاكم الله ، لاسيما الاخ طفيش من حرية التنقل فى تلك البقاع النضرة العامرة بالاصحاب ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ويمنعه عمن يشاء . الخ

١٢ — رسالة الينا مؤرخة في ربيع الاول ١٣٥٦ وهذا نص محل الحاجة منها

هذا وقد فرج الله عنا الضائقة التي استحكمت حلقاتها منذ سنين وان لم يشعر بها هنا أحد بفضل التكتم والاقتصاد التام .

قد أمر جلالة الملك بصرف ١٥ دينار لنا شهريا من خزانته الخاصة ، وذلك لما بلغه اني أستعد للسفر بابراهيم لتبديل الهواء ، ورأى ان ذلك يستدعي نفقة واسعة فتذاكر مع رئيس الوزارة « حكمت بكر سليمان » فاقترح تخصيص هذا المقدار (والمنتظر غيره) فبلغ لي رسميا (وقد تقدم ملخص عن هذه الصلة

السنية في فصل « كيف افرجت الازمة فجأة » فى صفحة ١١٢)

ويصلنى الى البيت ءاخر كل شهر بدون ان أذهب مثـــل غيرى الى دائرة الخزانة فى البلاط جازى الله الاثنين خيراً ، والحمد لله الذي يرزق من يشـــاء بغير حساب .

ثم قال : ابو يحيى زكريا واخوه محمد في غاية الصحة والذكاء ، سارسل اليك يا ابا اليقظان صورتى الجديدة بالشعر مع ابيات جواب ابياتك مع صورة بالرتبة وعليها كل الاوسمة التي نلتها بعد الصورة القديمة التي عندكم

وسنخرجها بطلب من الاخوان المهاجرين فى الشام ومصر ، عرفوني بوصول هذا اليكم وقد أرسلته ضمن رسالتى الى الاخ . . . اقتصاداً فانى لا انسى الماضي

ودمتم لاخيكم سليمان البارونى

وبعد — فقد نقلنا الكثير من الوثائق والرسائل التى بين ايدينا للبارونى باشا كنماذج فى مختلف المواضيع من الكتاب ، واكتفينا في ذلك غالبـــا بمجرد النقل ، وتركنا لامعية الاخ الملاحظ وذكائه مهمة التعليق والاستنتاج واستخراج مواطن العبر من خلال ذلك كله .

وذلك محافظة منا على البرنامج الذي رسمناه لهذا الكتاب ، ونرجو اننا قد وفقنا الى ذلك ووفينا بالغرض المقصود منه بلا اخلال ولا إملال .

كما نرجو ان يخرج الاخ الباحث بالنتيجة التى نهدف اليها منه من وضع البارونى باشا في منزلته اللائقة به ومن اتخاذه مثـلا اعلى في البطـــولة والنزاهة والاستقامة والكمال .

أسرة البارونى باشا

تتألف أسرته الكريمة من أخوين وزوجتين وابنين وبنتين وحفدة .

فاما الاخوان — فهما الشيخ يحيى والشيخ أحمد .

اما الشيخ يحيى فانا نعرفه شخصيا ايام كان تلميـذاً لدى قطب الائمة الشيخ طفيش سنة ١٣٢٥ وايام ان تلاقينا بتونس اوان التجائهم اليها سنة ١٩١٣ بعـد حرب طرابلس الاولى ، ونعرف منه انه اديب المعي لطيف المعشر بديع النكـتة ميال الى الدعابة والمزاح يشع وجهه بشراً وابتساما .

وهو قد درس العلوم — كاخيه الباشا — في القاهرة وتونس وميزاب وله شعر رائق . نشر بعض قصائده في ديوان البارونى يعـاتب اخاه الباشا فيها بمغامراته ومطلعها : (١)

اراك - اخى - بالدهر غير مبـال وقد ذقت منه المر بضع ليال

وقد لعب ادواراً مهمة في حرب طرابلس لاسيما فى ذلك الدور المخطـر من الجهاد الوطني بطرابلس ١٩١٤ - ١٩

فقد علمت مقدار المهمة الخطيرة التي كلفه بها اخوه الباشا فى غضون سنة ١٩١٦ من الذهاب مع ضباطه في غواصة لتقصي اخبار طـرابلس في ظروف حرجة ، فقام بها احسن قيام بما اوتى من شجاعة واقدام وكياسة وسياسة حتى نال بذلك رتبة جنرال - فيما بلغنا ، وكان نائب رئيس مجلس الشورى لجمهورية طرابلس الوطنية سنة ١٩١٨ - ١٩

ناهيك به سمواً ورفعة شهـــادة اخيه الباشا فى حقه بتلك القصيدة الرائعة

---

١) ص ١٥ من قسم التقاريظ للديوان وقد أجابه الباشا عن قصيدته بقصيـدة اخرى عـلى الاثر ومطلعها :

صدقت - اخى - والنجح فيك مؤمل نظمت فكان النظم احسن فـال

البليغة التي رثاه بها لما بلغة نعيه وهو بسمائل (عمان) فى اواخر جمادى الاولى سنة ١٣٤٦ ، ولاشتمالها على ما لم يعلمه الناس من فضائله ومزاياه ننقلها فيما يلي وهذا نصها : (١)

(اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) قرءان كريم

يحيى اخى اين انت اليوم مستتر ... يا خير عون اذا ما احدق الخطر
يا مخزن السر يا رب الوفا ويا ... فخر الرجال ويا من وجهه قمر
نعاك لي اليوم كل الكاتبين ولم ... اجد سوى الصبر فيماشاءه القدر
بالطبع نحزن لكن هل لنا امل ... في عودة منك ؟ كلا ما لذا اثر
انا حزنا وطال الصمت وانزعجت ... منا النفوس ولكن هل شفى الضجر
هيهات هيهات لا عود ولا صلة ... من بعد موت ولا نعت ولا خبر
الى القيامة حيث الحشر يجمعنا ... نرجو اللقا وذنب الكل مغتفر

* * *

ما الحزن يحيى لموت كلنا عبر ... للموت جيئنا فلا تبقى ولا تذر
وانما لمقر كنت فيه اتى !! (٢) ... في ضيق عيش وقهر الخصم اذ قدروا
هذا الذى طرد النوم اللذيذ ولم ... نهدا ولم ندر نام القوم ام سهروا
لم يغن للدول الكبرى تزلفنا ... حتى جرى فيك ما قد خطه القدر

* * *

لهفى عليك عزيز النفس قد نضبت ... منك الحياة وغطى وجهك النضر
ودعت اهلك والاوطان وانقطعت ... منك العلائق منهم وانتهى العمر

---

١) حياة سليمان باشا البارونى ص ١٤٢ نقلا عن نسخة منها للشيخ ابى اسحاق طفيش من قلم الناظم الباشا .

٢) لم يظهر هنا معنى اتى ولعله ابيا فوقف عليه لضرورة الشعر

رفعت فوق رءوس كنت ترفعها ... على سرير الى روض بها حفروا
واروك وانصرفوا داعين واتعظوا ... بك فهم ادركوا ان لا بقا ودروا

* * *

لنا «زوارة» مذ كنا وقد نشأت ... اخواننا الاصفياء ما شابهم كدر
فلست يحيى غريبا فى البلاد بلى ... انت الاصيل اذا ما دقق النظر
فحيثما كنت مدفونا بلادك لا ... تستقلن رمالا ما بها مدر
ءاه ابا زكريا الحر قد قطع الـ ... ءامال نعيك قطعا واستوى الذعر
يبني المؤمل والاقدار ضاحكة ... والغر يبسط والآجال تختصر
كم فكرة في الدياجي كنت أنظمها ... فى سلك مستقبل الآمال افتكر
أضحت سرابا وخاب الظن وانعكست ... بالنعي كم من قضايا جلها سفر

* * *

ما انت يحيى الذي ان مات قبل فتى ... قد غاب لم يبق فى الدنيا له أثر
بل انت يحيى الذي خضت الخضم على ... عفريتك الاسود الفتاك اذ زخروا
تغوص طورا وطورا فوق موجته ... تطارد المنشئات الشم تنتظر
شاهدت منظر من اغرقت مركبهم ... فأصبحوا ما لهم مأوى ولا صور
اضحوا طعام سباع البحر فى ظلم ... والمركب الضخم امسى حظه الشرر
جازفت بالنفس يحيى غير مكترث ... قطعت بحراً ونار الحرب تستعر
وجبت برا مثيرا فى طرابلس ... وعدت تحمل اخبار الالى نصروا
وعدت ايضا ولم تقبل لها بدلا ... وقلت ذا وطنى يفدى فذا الوطر

* * *

بل انت يحيى الذي للحرب كنت على ... جوادك الادهم الكرار تنحدر
حكمت فى الجبل الغربي ءاونة ... فكان من راحتيك العدل ينفجر

أمنت فيه سبيل السالكين وقد ... اثنى عليك الفتى والشيخ والخدم

* * *

ان يجهلوك فاني لا أصدقهم ... اذ أنت عند الخصم الضيغم الخطر
او يكتموك فاني لا اعاتبهم ... ولا ارد جوابا ان هم سخروا
علما ودينا وءادابا منقحة ... جمعت معها مزاحا ما به ضرر
محافظ لفروض الله مجتنب ... اهل الهوى واثق بالله مصطبر
كرعت في الازهر المعمور موردنا ... وتونس وبني ميزاب يا خضر
لا تعرف الغش اصلا لم تقل كذبا ... ولم تنم ولم تسع وان عثروا
ولست تعرف خوفا ان دهت نوب ... وان تكن عصبيا حين تحتقر
لم تحمل المن من اي الرجال واذ ... أمحلت صمت وقال الاهل ندثر
تجود ان وجدت كفاك منقبض ... اذا استقلت كما اذ كنت تحتضر
صبرت اذ لم تجد فكا لأسرك من ... ابناء رومة يحيى حينما مكروا
سدوا الدروب فقلت المكث اوفق لي ... وراقبوا فاختفت من عندك الزبر
أبرزت كل جهاد في طرابلس ... ولم تلن قط يا يحيى وان ظفروا
لم ترض ذلا ولم تمدد يداً ابدا ... لمحسن في استلاب العقل مقتدر

* * *

لا بدع انك شبل الاسد من قدم ... اجدادك الشم كم ءاوا وكم نصروا
ان كان جدك يحيى لم يكن علما ... فالبدر عيسى ابنه في القطر مشتهر
أبوك بحر الندى والعلم ليس له ... في الغرب مثل اذا اهل التقى اختبروا
اما ابو زكريا الحبر من عقدت ... له الامارة من اجدادك الغرر
فكان خير امير في الجبال له ... صيت وعدل وعلم كله درر

* * *

اما الهزبر ابو يحيى الذي نطقت ... بجوده البكم وانقاذت له الزمر
وكررت ذكره البيضا صحائفه ... وعدله كتب الاخبار والسير
فهو الامام الحكيم الضيغم المرتضى ... امارة حفها الافلاس والخطر
فذاد عنها وكان النصر رائده ... في نائبات لها الاكباد تنفطر
يعطي فيغني ويكسو لا يرد يدا ... الا وفي كفها الدينار ينتثر
اما الامير الغزير العلم كوكبهم ... ابو الربيع سليمان الذي شكروا
فحدث عنه كالبحر الخضم ولا ... تحصى خصالا له في الكتب قد عثروا
وسل اذا شيئت عن موسى الامام ابي ... هارون جد الجميع المجتبى عمر
فهو الذي حاز بالاجماع مرتبة ... من قبل الف من الاعوام تعتبر
فطوق الدهر عقداً من عدالته ... واصبح الجبل الغربي يفتخر
وسل وسل ان تشا عن غيرهم لترى ... في وصفهم كل تمجيد اذا ذكروا
فابن الباروني يحيى انت لا عجب ... اذا حوت مدحك الاسفار والزبر

* * *

ارثيك يحيى ولا ابكي فلست بمن ... يسيل دمعا اذا ما عضه القدر
لا دمع عندي يحيي انت تعرفني ... في كل نائبة فالجفن يعتذر
أرثيك ما دمت حيا بالقريض ولا ... انساك من صدقات حين اقتدر
اما بنوك فابناء لنا ولهم ... منا الاعز وان عزوا اذا كبروا
(نزيهة) النفس في عيني «زعيمة» بل ... «عزيزة» هي «والمعصوم» مدخر

* * *

يحيي تخلفت حيث الشمس مغربة ... كيما تغيب كما غاب الالى قبروا
اما انا اليوم حيث الشمس مشرقة ... ولي شروق طويل اليسر معتكر
ولي غروب ككل المشرقين بلى ... لكنه بعد ان يسترقب الظفر

يا غربة لي اراها بعد فقدك يا ... يحيى ستغشل شيئا صار ينتثر
كنت الذي ما مللت الدهر صحبته ... ولا عامت له ذنبا فيغتفر
كنت الطليعة لي طول الجهاد وقد ... اصبحت من قادة الاموات ما النظر

* * *

فى ذمة الله سر روحا مجردة ... من كل بال فلا لحم ولا شعر
دعها مكفنة في القبر هامدة ... الى المعاد عليها الحزن ينهمر
وطر الى ملكوت الله مغتبطا ... حيث السعادة لا بؤس ولا ضجر
ولا جهاد ولا داء ومخمصة ... كلا ولا الحلفاء والشر والغير
واسرح مع الاولياء الأجداد قبلك مع ... رسل الاله وارواح الالى صبروا
ولا تهمنك الدنيا فنحن بها ... حتى نوافيكم اذ ينتهي العمر

❀ ❀ ❀

رثيت يحيى اخي بالنظم مختصراً ... تلك المزايا التى لم يدرها البشر
فلا الام اذا جالت مجاوزة ... حد المناسب اقلامي فى كدر

سمائل - عمان — ١ جمادى الثانية ١٣٤٦ سليمان الباروني

واما الشيخ احمد فانه كاخيه الشيخ يحيى بعد ان تلقى مبادىء العلوم الدينية عن أبيه ذهب معه الى القاهرة لتلقي العلوم العربية من منبع الازهر الشريف ثم الى تونس كذلك .

وكان اريبا متزنا غير مغامر كاخويه ، ولم نعرفه شخصيا الا لماما ايام التجائهم الى تونس بعد حرب طرابلس الاولى سنة ١٩١٣ ، ثم رجع منها الى الوطن بمرافقة اخيه الباشا ليحفظ املاك الاسرة من الضياع .

وقد تولى القضاء الشرعي زمانا بمركز « نالوت » و« الرحيبات » وغيرها

من الاماكن الكثيرة الى ان احيل على المعاش فى سنة ١٩٥٤ ، وهو الآن فى السن السبعين من عمره .

ولمركزه العالي هذا لابدا أن تكون له حياة حافلة في ميدان القضاء نظراً لمركزه العلمي والاجتماعي بين ابناء قومه ، لكننا نجهل شيئا كثيراً عن هذا الرجل الكبير الذي لم نحظ بالاتصال به كما حظينا من جانب أخويه العظيمين ، وغاية ما نعلم عنه — حياه الله — انه أشد قضاة طرابلس تحريا ونزاهة وخبرة ودراية باحكام القضاء حتى قيل : انه رفع من احكامه ٨٥ حكما الى محكمة الاستيئناف بطرابلس فلم ينقض له ولا حكم واحد قط

ومع هذا فان مركز « نالوت » الذي تولى قضاءه هو اكبر مراكز الجبل الثلاث ، هذا ومركز « فساطو » ومركز « يفرن » اذ يشتمل هذا على سبع مديريات : ١ — مديرية كباو ، عرين العائلة الباروني . ٢ — مديرية الحرابة ٣ — مديرية الجوش . ٤ — مديرية وازن . ٥ — مديرية سيناون . ٦ - مديرية درج . ٧ — مديرية غدامس .

وفي كل مديرية نائب قاضي تابع لقاضي مركزه (١)

وله من الابناء عشرة منهم : عبدالله ، يوسف ، سعيد وهو متصرف بترهونة علي ، صالح ، سليمان وغيرهم .

واما الابنان فهما سعيد وابراهيم

فاما سعيد فبعد ان تلقى مبادىء العلوم التحق بالمدرسة الحربية في استامبول ايام كان أبوه عضواً في البرلمان العثماني ، وقد نال رتبة ضابط « فسيان » فيما بقي بذاكرتي ، ثم غابت عنى أخباره ، أيام الغمرات التي أقتحمها أبوه .

---

١) انظر جريدتنا « الامة » عدد ١٢٩ الصادر في ٣ جمادى الاولى ١٣٥٦ الموافق ١٣ جويلية ١٩٣٧

واما ابراهيم

فقد ورث خلال والده — حقا — من ذكاء وفطنة وطموح ، وقد تقلب منذ طفولته مع أبيه فى سائر ادوار حياته رخاء وشدة منذ اواخر الحرب الاولى بطرابلس ، فقد التجأ طفلا صغيراً مع أبيه وعائلته الى تونس ، وقد رأيته هناك صبيا يفيض ذكاء ويطير خفة ولطفا وأبوه وعمه الشيخ يحيى يدربانه على الاعمال الحربية ، من مشي الجندي وحمل البندقة ونحو ذلك ، ثم انتقل معه الى استامبول وتلقى مباديء علومه هناك . ثم أرسله أبوه الى مدرسة رأس التين الاميرية بالاسكندرية فواصل تعليمه بها الى ان نال الباكلوريا .

وانتقل الى طرابلس ولبث بجنب العائلة أيام محنة ابيه بالاغتراب ، وكان الباشا يأمل ان لو التحق بافراد بعثنا الميزابية بتونس ولكن لم تساعده الاقدار الى ذلك .

ثم انتقل الى ابيه لعمان ، ثم أنتابه هناك مرض الملاريا فى جملة من انتابه من افراد العائلة ثم انتقل به أبوه الى بغداد للمداوة ثم التحق بمدرسة الحقوق هناك ، ولكن لم تساعده الظروف لمواصلة دروسه بها حتى يحصل على شهادة الليصانص في الحقوق رغم استعداده ، فتكرم جلالة الملك « غازى » فاضافه الى دائرته السنية فى جملة كتاب ديوانه .

ورجع لمسقط فعاد يزاول مهنة التعليم بالمدرسة السلطانية ثم أختص بتعليم افراد العائلة المالكة .

ولما أضناهم مرض عمان وانتقل أبوه الى الرفيق الاعلى حسبما يأتى أنتقل هو والعائلة الى طرابلس ، وقد ترك فى نفسه ذلك المرض أثره العميق عافاه الله .

وكان له نثر رائق وشعر فائق ، وقد نشرت له صحف ومجلات العراق والشام ومصر فصولا ممتعة ومقالات بديعة وشعراً بليغا ، كما نشرنا له شيئا من

صورة ابراهيم بن سليمان البارونى

ذلك فى جريدتنا « الامة » ، وان تتبع ذلك يخرجنا عن خطتنا المرسومة .

ولكننا نشير الى ذلك بعناوين البعض منها ثم نختم الموضوع ببعض النماذج ليستدل الاخ الباحث منها على وجهة تفكيره ومبلغ نضوجه فيعلم ان هذا الشبل من ذلك الاسد ، وانه لو ساعده القدر لسد حقيقة مسده ولملأ فراغه ، ولله الامر من قبل ومن بعد .

وهذه عناوين تلك المقالات على الترتيب الآتى :

العنوان	الصحيفة او المجلة
١ - طلائع عهد جديد	نشر في الرابطة العربية فى مصر
٢ - مطالب المرأة الحديثة	- التمدن الاسلامي في دمشق
٣ - ترجمة تفسير القرءان الكريم	- الرابطة العربية في مصر
٤ - قضية فلسطين	- الدفاع في العراق
٥ - بشائر الاسلام	- التمدن الاسلامى في دمشق
٦ - تحية العلم	- الفتح (مصر) الامة (الجزائر)
٧ - تحية الشهيد	- الدفاع

وفيما يلي بعض النماذج له من نثر ونظم :

فمن الأول — رسالة منه الينا مورخة يوم ١٦ جمادى الاولي ١٣٥٦ وهذا نصها :

. . . ولقد سرني اهتمامكم بنشر مقالي عن قضية فلسطين ، وها هي الايام كل يوم تجيء بجديد مصداقا لما ورد فيه .

ولعل اعداد الدفاع التالية التى بها مناقشتي للاستاذ ساطع الحصرى عميد كلية الحقوق البغدادية سابقا — ايام كنت بها — قد وصلتكم ايضا وأظن ان الموضوع سيعجب قراء « الامة » رغم انحصاره فى دائرة الادب خصوصا

الفصل الاخير في « الوطنية في دراسة التاريخ »

كنت كتبت لمجلة « التمدن الاسلامى » الدمشقية فصلين أجملت فيهما بمناسبة ذكرى المولد النبوي لهذا العام نشوء الاسلام والاحوال التى مهدت لظهوره فى العرب ومظاهر البطولة في كفاح أول المؤمنين في سبيل الاسلام ثم سبيل العرب الى المدنية وانتشار الاسلام والدواعى والأسباب التي أدت اليه وقد تعذر حينيئذ نشرهما لطولهما وضيق المجلة ، وقد رئي أخيراً ان يبدأ بنشرهما فى العددين السادس والسابع ، شعبان ورمضان ١٣٥٦ ، ثم يطبعا على حدة بصورة كتيب صغير على نفقة جمعية التمدن ولمنفعتها .

وقد اردت ان أنبهكم من الآن حتى اذا اردتم طبعه فى « الجزائر » ايضا نقلا عن التمدن فليكن ذلك تعميما للفائدة المرجوة منه للناشئين فى دراسة تاريخ الاسلام .

والمقال والكتاب ايضا سيصدران ان شاء بعنوان « بشائر الاسلام » فارتقبوه ، هذا موقتا .

حتى اذا استحسنتم طبعه في الجزائر نظرنا في الكمية التي نطبع منه والقيمة التي تقدر له .

نشيد (تحية العلم) الذي نقلتموه عن الفتح قد حور صاحب الفتح مطلعه فاذا رأيتم ان تعيدوا نشره مصححا بمناسبة اقتراح جريدة الدفاع العراقية التي نشرته مصححا بعد مجلة الفتح على وزارة المعارف العراقية تلقينه لتلاميذ المدارس العراقية وتلحينه حسنا تصنعون . والتصحيح هكذا :

عش منيعا مستعزاً في السماء مالئا باسم الوطن عرض الفضاء
خافقا . . . . .
للوطن انت شعار ولنا انت معنى العز رمز الكبرياء

هذا وقد نشر الفتح بعد هذا قطعة اخرى لا غلط فيها هي (تحية الشهيد) فاذا نشرت في (الامة) فضعوا معها هذه المقدمة التي أسقطها صاحب الفتح لأنها وردت فى خطاب طويل خاص :

« تحية الى شهداء الحق والحرية من ابناء مصر العزيزة وفلسطين المقدسة وجنود الاسلام في كل مكان »

ومن عجيب الاتفاق انى وضعت الرسالة المتضمنة لهذا النشيد في البريد يوم الثلاثاء ويوم الخميس الذى يليه أعلن مصرع بكر صدقي القائد العام لجيش العراق وكانت هذه المقطوعة مطوية في اوراقى منذ عام ١٣٥٠ ، فكان اقتران نشرها بعد هذا النسيان الطويل — مع ذلك الحادث — من الصدف الغريبة حقا .

ابناءي محمد وزكريا يقبلان يديكم وارجو ان يسعدهما التوفيق فى يوم ما بزيارة تلك الاقطار العزيزة بلاد القطب رحمه الله واطلال « تيهرت » الزاهرة ان شاء الله .

سلامي واحترامى للاصحاب كافة ولمن شيئت له السلام ممن يسأل عنا ، الوالد منحرف الصحة منذ ايام ، وقد لزم الدار باشارة الطبيب وهو يسلم عليكم .

والسلام من ابراهيم الباروني

ومن الثانى قصيدة رائعة كنا نشرناها فى الديوان تحت عنوان « العلم يحي كل شعب ميت ، كما نشرناها من قبل في جريدة (وادى ميزاب) تحت نفس ذلك العنوان (١) ومطلعها :

طيف ألم بساحتي فأقاما وأحل ما قد كان قبل حراما

وختامها — وهذا لم ننشره مراعاة للظروف — وهو :

---

١) ذلك فى صفحة ٥٠ من الديوان وفى عدد ٨٦ من وادي ميزاب الصادر في ٢٥ مايو ١٩٢٨ وقد انشاها بالاسكندرية فى ١٧ ذى الحجة ١٣٤٥

فلابد من حرب تجدد أمرنا نحيا كراما او نموت كراما

ومن ذلك نشيده الموحى اليه عانفا والذي عنوانه :

تحية العلم !

وقد نشر فى الفتح كما نشرناه فى الامة (١) وقد توجه بمقدمة لطيفة وهذا نصها معا :

. . . بعد السلام ورحمة الله وبركاته ، أقدم اليك هذا النشيد الذى أعتقد ان شباب العرب فى كل مكان فى أشد الحاجة الى مثله ، ولست أزعم انه النهاية التي لا مطمع وراءها ، ولكني أعتقد انه بداية صالحة لما هو أفضل واكمل ، وقد لاحظت فى وضعه ان يطابق حاجات المستقبل مهما تبدلت الاوضاع وتشكلت الروابط بين اقطار العروبة ، فلم أخصصه بسمة تميزه وتقصره على مكان او زمان ، وهو من اليوم يصلح ان يتغنى به شباب العرب في مصر والشام والعراق والحجاز واليمن وغيرها وان اختلفت الاعلام .

وحسب هذا النشيد ان يعبر عن الشعور المشترك الى ان يجيء اليوم الذي تزول فيه الفوارق كلهاان شاء الله وينضوي الجميع تحت لواء واحد يحبه الجميع ويحيونه بهذا النشيد وقد تمثله الارواح وتشربته القلوب ، فهل لك ان تقدم بيدك البرة هذه التحية للقراه عساها تلقى صدى في نفوسهم كما لقيت فى نفسى ونفس من وقف عليها من اصدقاءى ؟

الناظم

وها هو هذا النشيد فيما يلي :

عش منيعا مستعزاً فى السماء مالئا باسم الوطن عرض الفضاء
خافقا تبعث فينا نشوة وحياة ويقينا ورجاء

---

١) عدد ١٣٣ الصادر فى ٢ جمادى الثانية ١٣٥٦ - ١٠ اوط ١٩٣٧

للوطن انت شعار ولنا انت معنى العز رمز الكبرياء
ولنهج المجد نجم لا يغيب

أنت للماضى سجل لا يبيد انت للاحفاد ميراث مجيد
جمعت فيك امانى فرقت في عصور بين شيخ ووليد
ثابت كالطود تستعرضها قائما بين قديم وجديد
بؤرة انت لها تجمعها ثم تفشيها كنور قد بدا
في سبيل القوم يهدي السالكين

كل قلب خافق يخفق لك كل طرف حائر يرنو اليك
كل حي اذ غدا يهرع لك يستحب الموت يلقاه فداك
ويوارى رمسه بين يديك

في ظلال الحق فاخفق يا علم وقرين النصر دم طول الزمان
وبفضل الله ميمون الخطى في مراقى السعد فاصعد بامان
ولتعش للضاد رمزاً ساميا وامانى العرب فى كل مكان
ولنهج المجد نجما لا يغيب

بغداد ابراهيم البارونى

واما البنتان

فهما زعيمة وعزيزة . فاما زعيمة فهى الكاتبة البارعة الشهيرة بمقالاتها البليغة في مختلف الصحف والمجلات مثل مجلة « صوت المربي » الطرابلسية ومجلة « الافكار » الجديدة العهد بطرابلس .

وتمتاز باسلوبها القصصي الشيق الخفيف الروح ، كما تمتاز هى بالروح الفدائية التى ورثتها عن والدها المرحوم، حتى انها اختارت لنفسها حياة الانقطاع والفناء في مبدإ المفاداة لدينها ووطنها عن الحياة الزوجية التى تقيدها بحقوق

الزوج عن كثير من الاعمال والخدمات العمومية .

ومما يؤثر عنها — في هذا الباب — انها قالت فى شأن القيام بابناء أخيها ابراهيم ما مؤداه : « أنى اعاهد الله ان أبذل جهدى في تنشيئة ابناء اخى ابراهيم التنشيئة القويمة التي ارادها لهم جدهم المرحوم الوالد الباشا ، ولو كلفني ذلك الى ءاخر قطرة من دمي »

ولها مراسلات قيمة في امثال هذه الشئون العامة مع اخيها هذا تدل على مبلغ علمها وثقافتها واخلاقها واخلاصها لمبدإها .

اما مقالاتها النفيسة فاننا نشير الى ما اتصلنا به منها بعناوينها فقط ليعلم الاخ الباحث من هي (زعيمة) زعيمة الجنس اللطيف بالشمال الافريقى ، وهى :

١ ـ أبي كما عرفته	فى حياة سليمان باشا البارونى
٢ ـ فزان البعيدة	فى صوت المربى عدد ١
٣ ـ وفق الله الجهود النبيلة	— ٤
٤ ـ الكرامة الحقة	فى هذا الكتاب
٥ ـ أجوبة صادقة عن اسئلة مهمة	— —
٦ ـ بنت الحاضرة	فى الافكار عدد ٦

واما رسائلها فنحن نقتصر هنا على واحدة منها كنموذج لها مورخة في ٦ جوان ١٩٥٦ الى كاتب هذه السطور ليأخذ منها الاخ الباحث صورة كمرءاة لآلامها وءامالها ، وهذه نصها :

باسمه تعالى — الى حضرة عوض الوالد الشيخ . . . المحترم

بعد التحية اللائقة بمقامكم الكريم ، منذ مدة انقطعت رسائلكم المحترمة كما منعتني مشاغل العمل وانحراف الصحة عن الكتابة اليكم والسؤال عن اخباركم التي أرجو ان تكون سارة .

فأقول منذ اسابيع جاءني ابن عمي وزوج اختي السيد عمر احمد الباروني برسالة وجهت الى الشيخ أبي الربيع تتضمن الاسئلة التي طلبتموها من صاحب الرسالة . . . وقد اغتنمت فرصة قصيرة فكتبت بعض ما امكنني الاجابة عن اسئلتكم ، وها انا ارسلها راجية من المولى تعالى ان يوفقكم لنشرها ضمن الكتاب المنتظر (وقد نشرت في صفحة ١٦٩ من الجزء الاول)

وطبعا أرى نفسى مسئولة عما اجبت لانه الصدق والامانة والحمد لله .

وهو بعض ما يستحق اسم أبي رحمه الله حيث حرمتنا الايام والناس عن القيام بما علينا نحوه للحقيقة والتاريخ الانساني الكريم .

والرجاء عدم المؤاخذة اذا وجدتم فيها اخطاء لأني كتبتها بعجلة ومن غير تبييض يذكر ، وفوق ذلك لم أترك عندي نصا لضيق الوقت .

وعلى كل حال ستتفضلون بقبولها ولكم الشكر سلفا .

انتهت السنة الدراسية على خير ، وقريبا يعود طارق ابراهيم الباروني من مصر فادعوا لهم بالنجاح ، انه مجيب قريب . اما هنا فلا يزال سليمان نور الدين ابراهيم الباروني ابن الاخ الاصغر منحرف الصحة سلمه الله .

هذا فتفضلوا بقبول احترامات افراد اسرتنا جميعا لكم ولمن يلوذ بكم من الاهل والاحباب . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته من المخلصة :

زعيمة الباروني باشا

نائبة مديرة دار المعلمات

اما وظيفتها ، فقد كانت ـ مع قيامها بشئون الاسرة وابناء اخيها ابراهيم البارونى ـ معلمة ببعض مدارس البنات بطرابلس ، ثم ترقت لحسن سيرتها وكمال استعدادها الى ان أصبحت نائبة لمديرة دار المعلمات بطرابلس كما رأى الاخ الباحث ذلك من امضائها الآنف الذكر ، زادها الله عزاً وسمواً وارتقاء .

واما الحفدة فهم طارق وعز الدين وسليمان وهم ابناء ابراهيم بن البارونى باشا

فاما طارق، وهو المكنى ابا يحيي ابن ابراهيم وقد ولد سنة ١٩٣٥ وكان في اول نشؤه ريحانة قلب جده لما يتوسم فيه من الذكاء ومخـائل النجابة ، ولما يعلق عليه من الآمال الواسعة ، وقد احتضنته بعد جده المرحوم الباشا عمته الفضلى « زعيمة » وءالت على نفسهـا ان تنشئه هو واخوته النشـأة القويمة التى يهدف اليها جدهم المرحوم ولو كلفها ذلك ما كلفها ولو الى ءاخر قطرة من دمها كما مر ، وقد برت ـ حفظها الله ـ بيمينها ، فبعد ان حصل على شهادته الابتدائية في بعض مدارس طرابلس التحق بالمدرسة الثانوية الى ان حصل على الشهادة الثانوية (البا كالوريا) فيها .

وعندما كانت حكومة (ليبيا) تعد بعثة من ابنائها لأرسالها الى المدرسة الحربية بمصر لتخريج الضباط عملت (زعيمة) جهدها ليكون طارق ضمن البعثة الملكية لمصر فكلل سعيها المبرور بالنجاح فذهب طارق مع تلك البعثة المباركة الى القاهرة .

وفى هذه الصائفة رجع لزيارة وطنه واهله فيمن رجع من زملائه ، ونحن لاننسى لحكومة ليبيا هذه المزية الكبرى .

واما عز الدين فهو المسمى محمد بن ابراهيم البارونى ، وقد ولد هو كذلك في حياة جده المرحوم الباشا ببغداد فى اوائل عام ١٣٥٥ .

وقد أحتضنته كذلك بعد جده عمتـه (زعيمة) كأخيه طارق فنشـأ نشأته في المدرسة الابتدائية ثم التحق بالمدرسة الثانوية بطرابلس .

صورة طارق بن ابراهيم بن سليمان باشا البارونى ، من مواليد بغداد سنة ١٩٣٥

كيف أنتقل البارونى باشا الى الرفيق الاعلى

لما ألح عليه المرض وأحس بدنو أجله أنتقل بعائلته من بغداد الى مسقط (عمان) مسقط أجداده الاقدمين ، واقتضت حكمته ان يستقر بها ويجمع شمله فيها ، وقد نزل لدى جلالة السلطان السيد سعيد فى منازل العز والكرامة ، وتولى فيما بلغنا امراً هاما من شئون الدولة ، ولكن المرض لم يمهله كثيراً .

وكان آخر رسالة وردت منه الى الشيخ امتياز ابراهيم مورخة فى ١٢ صفر ١٣٥٩ جاء فيها ما نصه :

تقرر ان اسافر مع جلالة السلطان الى الهند في الاسبوع المقبل ان شاء الله وتحيتى الى الاخوان كافة والى الاخ ابي اليقطان المحترم وجماعته الافاضل .

من اخيكم : سليمان البارونى

اما كيف كانت نهايته رحمه الله ، فلنستمع لما كتبته ابنته البارة زعيمة فى هذا الشأن فى الفصل المومى اليه ، والذي عنوانه (أبى كما عرفته) وهذا نص محل الحاجة منه ، قالت لا فض فوها :

ظل المرض ملازما للزعيم الكبير وظلت صحته معتلة ولكنه دبر في داخلية نفسه امراً من الامور وبيت في حناياه عملا من الاعمال ، واظهر لنا رغبة في السفر قصد المعالجة وما كان يخفي علينا ما يكنه فى صدره من امنية قوية تتلخص في انه مصمم على السفر الى احدى الجهات في تونس او مصر ليجتمع بمواطنيه للقيام بواجب الوطن فى تلك الظروف وتخليصه من نير الاستعباد الغاشم والاستعمار المستبد ، ورغم معارضتنا وتخوفنا فقدتم السفر كما احب واراد

شاءت المقادير وجاء وقت الوداع فقلت له : أهكذا يا والدي تترك طارقا وعز الدين ؟ فوقف وقفته المهيبة والشيب والوقار يجللانه وقال بصوت حازم قوى لا أثر فيه لما كان يعانيه من امراض : (ماذا على طارق وعز الدين وانتم

في رفقتهما ؟) وان أخى جلالة السلطان يرعى صوالحكم جميعا وهو منكم بمنزلة الوالد والوصى .

ثم اغرورقت عيناه بالدموع وأخذه شبح الفراق الاخير ، وكأنه كان يعلم جيداً ان هذا ءاخر موقف له بين اولاده واحفاده ، فاسرع يزاول مكانه هابطا درج القصر وهتاف حفيديه يملأ ءاذانه ، وهما لا يعلمان من حقائق الامور شيئا

كان ذلك صبيحة يوم المولد النبوي الشريف من عام ١٣٥٩ ، ولم تمض بعدها ايام حتى جاء نبأ وفاته برقيا صبيحة يوم ٢٣ من نفس الشهر الانور الى مقر الحكومة السلطانية بمسقط (١)

لقد فاضت روحه الطاهرة الى بارئها الاعلى وانتهت حياته الحافلة بعيداً عن طرابلس المحبوبة وثراها الطيب .

فلم يعش في بمباي غير ساعات قليلة سقط بعدها مغشيا عليه فحمل وقتئذ الى المستشفى فلما افاق كان قد فقد قوة النطق والحركة .

ولم يستطع اخوانه العمانيون ان يفهموا شيئا مما كان وقتيئد يجول بخاطره او يفكر فيه سوى ما سمعوه يتردد على لسانه فى اللحظة الاخيرة من حرفين اثنين هما : ز ـ م ! فلم يفهموا من ذلك شيئا وفي الحال اغرورقت عيناه بالدموع وفارقت روحه الجسد .

بذلك انتهت حياة الباروني باشا المخلد الذكر فى حياته الشجاع الصابر المتجلد الذي عرف كيف يكون شديداً متمسكا بتقاليده الاسلامية الطاهرة .

انتهت هذه الحياة بدمعة حزينة وشفتاه ترددان حرفين عربيين هما اول اسمي حفيديه : زكريا ومحمد عز الدين اللذين تركهما ينتظران عودته حاملا معه

---

١) يوافقه يوم ١ ماي ١٩٤٠ وهو يوم الاربعاء الذى كان يتفاءل به دائما خيرا اذ فيه كانت اغلب انتصاراته كما اشار اليه سابقا فنرجو له فيه رقيه الى عليين .

كل جميل من لعب الاطفال ، وليسكنوا معه طرابلس العزيزة فيما بعد وليتحف الجميع بتفاحها الطيب وبرتقالها الجميل الجيد ، كما كان ينتهى دائما في حواره معهما فى شأن حب طرابلس وبعد مسافة طرابلس والعودة القريبة ال طربلس التي من أجلها تحمل عداوة الرجال حقا وباطلا فسهر الليالي منكبا غير ءابه لما يصيبه من صعاب وعراقيل طرابلس التى جعل اسمها جزء من عنوانه ، طرابلس التى خلق لحبها وتمجيدها واخلص لأجلها قلبا وقالبا مهما كانت ظروفه واحواله الخاصة طرابلس التي وضع نفسه جنديا فدائيا لها لا يهاب المخاطر ولا يفكر في سواها انتهى بعيداً عنها وهي ملىء حياته وتفكيره وخواطره ، يعاتب القدر لما كسته ويستمهل الاجل حتى ينحو نحوها تاركا وراءه كل شيء .

وبعد — فليت شعري هل عرفت الحكومة الليبية الفتية لكفاح وجهاد هذا الرجل الفذ حقه فى شخص أسرته الكريمة التى ما زالت ولا تزال تكابد مضض العيش والحرمان من جراء ذلك الكفاح المرير الذي توج اخيراً بالتاج الملكي السنوسي ، ولا نخال والحكومة تعرف ابناءها الابطال الا فاعلة ما تبيض وجه العزة والكرامة الوطنية .

فهرسة الجزء الثاني
من كتاب البارونى باشا فى اطوار حياته

٣ سياحته الثانية في دواخل عمان
٤ جزيرة العرب - لا خوف على عمان من المعاهدة
١٠ البارونى في مهرجان الاستقبال
١١ سياسته الداخليه والخارجية يصرح بها فى نزوى
١٧ مؤتمر بهلا
١٩ فى تسليم (الظاهرة) آيات الاتحاد ظاهرة
٢١ صدى هذه السياسة الحكيمة
٢٥ رأيه فى الآثار النبوية
٢٧ انقلاب عظيم فى عمان
٢٩ اشارة البارونى الى ذلك
— مرسوم ملكي
٣١ الهزة العنيفة بالانقلاب الجديد
٣٨ البارونى يجيب
٤٤ ماذا كان بعد وزارة البارونى فى حكومة الامام ؟ ١ - فى المالية
٤٥ ٢ - واما المعارف
٥٠ ٣ - واما الجيش
— ٤ - واما الصحة
٥٢ نماذج من احكام الامام
٥٤ حديث طريف عن مملكة عمان
٥٨ الامامة الاباضية
— سلطان مسقط لا يعترف بامامة الداخل ولكنه يبادلها الرسائل
٥٩ التقرب بين السلطان والامام
— معاهدة السيب
٦٠ ولايات الساحل وولايات الداخل
٦١ الاسواق التجارية
— طراز الحكم
٦٢ البلاد تعيش بالضرائب
— السكان والجندية
٦٣ النفير العام
— محصولات البلاد
٦٤ المعادن
٦٥ جواسيس الاجانب وحيلهم
٦٦ المياه والآبار — مهندسو المياه

٦٧ الجدب — عناية الامام
٦٩ البعثات التبشيرية وعملها فى البلاد
— الحالة الصحية
— الطب والتبشير
٧١ حول مناورات الانكليز نحو عمان
٧٦ ماذا يعاني البارونى من الامراض
٩١ مراجعة البارونى للحلفاء
٩٨ مقام البارونى لدى الاسرة المالكة وعظماء الشرق فى بغداد
١٠٣ كيف تجتمع الفضيلة والبؤس في مكان واحد
١٠٥ نوايا آل الحسين ازاء البارونى ابن البارونى فى بلاط ملك العراق
١٠٧ حكمة البارونى وحسن تدبيره
١٠٩ فى انفراج ازمته بعد صبره
— قال يا بشراي هذا غلام
١١٠ أبدل الله الدرهم ديناراً
١١٢ بشرى - كيف أنفرجت الازمة
١١٤ آلام البارونى وآماله
١٢٠ اهداف البارونى ومطامحه
١٢١ عاطفة تسيل - يا ظل
١٢٦ آراء البارونى فى المشاكل الكبرى
١٢٧ ١ - المشاكل العالمية مشكلة نزع السلاح
١٢٨ أنجح عمل لمنع الحرب هو الغاء الاستعمار
١٢٩ لا امل فى السلم مع بقاء الاستعمار
— سبب انتصار الحلفاء فى حرب ١٩١٤ الخ
١٣١ اساءة الدول لمستعمراتها
— استعداد المستعمرات للثورة
١٣٢ صعوبة امداد الثوار سابقا ١٩١١ ١٢ الخ
١٣٣ سهولة امدادهم فيما بعد فى حرب ١٩١٤
١٣٤ سهولة امدادهم فى المستعمرات
١٣٥ تزايد اعداء دول الاستعمار فى الحرب المقبلة
١٣٦ النتيجة
— نصيحة الى دول الاستعمار
١٣٧ جواب رئيس المؤتمر
١٣٨ رسالته الثانية الى مؤتمر نزع السلاح
٢٤٠ نص جواب المؤتمر
١٤١ رسالته الثالثة الى المؤتمر

١٤٣ جواب المؤتمر
— رسالته الرابعة حول خروج المانيا من عصابة الامم
١٤٤ الزعيم البارونى ينتصر لفلسطين
١٤٥ المشاكل الاسلامية العامة
١٤٦ صورة الرسالة
١٤٨ حول المؤتمر الاسلامى العام
١٤٩ شرح اسباب المواد المذكورة
١٥٤ حول المؤتمر العربى العام
١٦٠ حول حرب الجزيرة العربية
١٧٠ على ذكر العقبة
١٧٣ حول التداعي بالعنصريات
١٧٨ هيام البارونى باقطار شمال افريقيا
طرابلس تونس الجزائر مراكش
١٧٩ رسالته لموسوليني
١٨٤ كونوا كما تريدون
١٨٧ اصداء مقالاته في اندية الشرق
١٩٨ كلمة الشيخ الثعالبي فى محاضرة الامير
٢٠٦ عاطفة البارونى نحو وادي ميزاب
٢١٠ فى سياسة ميزاب
٢١٣ فى اهتمامه بمشاكل ميزاب
٢١٦ فى عنايته بمنشئاتنا
٢١٧ علاقته بخواص اخوانه بني ميزاب
٢٢٧ أسرة البارونى باشا
٢٤٣ كيف انتقل البارونى باشا الى الرفيق الاعلى

تنبيه واعتذار

نعتذر لقرائنا الكرام عن بعض غلطات مطبعية وقعت ، وهي لا تغير معنى ولا تغيب على الفطن اللبيب ، والتي لا يخلو منها في الغالب أي مطبوع والكمال لله وحده .

انتهى بعون الله وتوفيقه طبعه فاتح رمضان المعظم ١٣٧٧
الموافق ٢٢ مارس ١٩٥٨